

#مختارات

ش

المشروع القومي للترجمة

فرناندو بيسوا

مختارات

1 - فرناندو بيسوا

2 - ألبرتو كاييرو

3 - ريكاردو ريبس

4 - ألبارودي كامبوس

ترجمة

المهدي أخريف

أنجزت ترجمة هذه الأشعار
عن الإسبانية اعتماداً على :

1 - Fernando : en palobros yen Imagenes
Selección de textos, traóducción y notas
josé Antonio Uordent.

Edicioin Siruela
Ministrio de Cultura 1995
Madrid. Espoina

2 - Fernando Pessoa : Antologia de
Alvaro ole Compos,
Edicioin preporda por josé Antonio Llardeivt
Madrid 1984

3 - Fernando Pessoa, Antologia, prólogo, Seleccion
traduccion Octavio Paz
Edicioi999n Laia Madrid 1985

- المجلس الأعلى للثقافة / المشروع القومى للترجمة
- فرناندو پيسوا : مختارات
- ترجمة : المهدي أخريف
- الإشراف التنفيذي : محمد عيد إبراهيم
- الغلاف : ميسون صقر
- التنفيذ والإخراج الداخلى : عبد الرحمن سعد
- الطبعة الأولى / ١٩٩٨

إضاءة

هى ذى « مختاراتى الثانية » من أشعار فرناندو
پيسوا أضعها بين يدى القارئ لتضاف إلى المختارات
الأولى التى صدرت فى القاهرة (هيئة قصور الثقافة) ،
ثم الدار البيضاء (دار الرابطة) منذ بضعة أشهر .

مايُمِّز هذه المختارات هو شموليتها بعدم اقتصارها
على قصائد لشاعر واحد كسابقاتها (ثلاث قصائد
لألبارودى كامپوس) مع توفرها على تمثيل واسع
ومتكامل لشعراء پيسوا الأربعة : پيسوا أولاً ، فمُعَلِّمه
ألبرطو كاييرو ، فريكاردو ريبس ، ثم ألبارودى
كامپوس « الپيسوى الأكثر پيسوية من پيسوا » .

لم يكن العمل فى هذه الترجمة خالياً بالطبع من
المصاعب والمثبطات ؛ لقد اصطدمت بعوائق وإرغامات
متباينة أجبرنى بعضها على التخلّى كلية عن مراودة
قصائد عديدة شغفت بها ، كما دفعنى بعضها الآخر إلى
التوقف والتأنى وابتكار صيغ و « أساليب » خاصة
لتجاوز بعض المآزق التركيبية والتغيرات المجازية
« الپيسوية زيادة على اللزوم » .. وإذا كنت قد توصلت
فى النهاية إلى إنجاز ما أنجزته فلأننى كُنْتُ مَقُوداً بِقُوَّةِ
الشغف ولذة الإنصات ، ولأننى أيضاً عرفتُ كيف أروّضُ
« لغاتى » و « أَلْيَنَ » اختياراتى ، مستعينا ، بغية التدقيق ،
بأكثر من ترجمة واحدة من الترجمات الإسبانية ،
التى اعتمدتها ، للنص الأسمى ، مع مقابلتها ، كلما كان

ذلك ضرورياً ، مع القصائد فى لغتها البرتغالية الأصلية ، بفضل العونِ الشغوف للصديق الأستاذ بيدرو فيلاسكيز دورو تارة وبجهد تتبُّع الشخصى تارة أخرى ، خاصة وأن القرابة بين اللغتين الإسبانية والبرتغالية تصل إلى حد التطابق التام فى الكثير من التراكيب والصيغ .

لَقَدْ اضْطُرَرْتُ غَيْرَ مَا مَرَّةً إِلَى إِدْخَالِ تَعْدِيلَاتٍ شَتَى ، تَحْوِيراً وَتَنْقِيحاً وَتَجْوِيداً ، عَلَى قِصَائِدٍ عَدِيدَةٍ تَرَجَمْتُهَا بَعْدَ إِطْلَاعِي عَلَى تَرْجُمَاتٍ إِسْبَانِيَّةٍ أُخْرَى بَدَتْ لِي أَجُودَ وَأَدَقَّ . وَهُوَ مَا جَرَى لِي بِالْفِعْلِ مَعَ بَعْضِ « أَنْاشِيدِ » رِييس ، وَقِصَائِدِ پيسوا ، وَخَاصَّةً مَعَ « نَشِيدِ الظُّغْرِ » لِأَلْبَارُودِي كَامِيُوسِ الَّتِي أَدْخَلْتُ عَلَى تَرْجُمَتِهَا الْمُنْجِزَةَ مُنْذُ سِنَوَاتٍ ، تَعْدِيلَاتٍ وَاسِعَةً اعْتِمَاداً عَلَى نَصِّ الْأَسْتَاذِ خَوْصِي أَنْطُونِيو جَارْدِينْتِ * الْأَدَقُّ وَالْأَلْصَقُ بِالْأَصْلِ مِنْ تَرْجُمَةٍ أَوْ كِتَافِيُوپَاثِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْبِدَايَةُ .

رَبَّمَا يَكُونُ نَجَاحِي فِي تَرْجُمَةِ « الْأَشْعَارِ الْحَارَةِ » ، أَشْعَارِ كَامِيُوسِ كَايِيرُو ، أَبْرَزَ مِنْ مَثِيلِهِ فِي « الْأَشْعَارِ الْبَارِدَةِ » ، أَشْعَارِ پيسوا وَرِييسِ تَخْصِيصاً ؛ لِأَنَّ « الْقِصَائِدَ الْحَارَةَ » تَلِكُ تَمْنَحُ نَفْسَهَا بَيْسَرَ أَكْبَرَ وَتُتِيحُ ، عِبْرَ أُسْلُوبِهَا السِّيَالِ وَالْمُبَاشَرِ ، الْإِمْسَاكَ بِتِيَارِ الْإِيقَاعِ بِسُهُولَةٍ لَا تُتِيحُهَا « الْقِصَائِدُ الْبَارِدَةُ » ذَاتِ الْبَنِيَّةِ

القصيرة المراوغة والنبيرة السهلة الممتنعة حيناً أو
الملتبسة حيناً آخر . وهذا ما يفسّر ويبرّر الحيز المتقلّص
الذى تحتله « أناشيد » ريبس فى هذه المختارات بالمقارنة
مع الحيز الممنوح لباقى الأنداد .

آمل أن يجد القارئ فى هذه الأشعار الموسومة
بجهد وصدق إنسانين نادرين ، ما وجدتُ شخصياً من
متعة ، متعة الشعر والفكر والإحساس ، كما آمل أن
تكون كافية لتمثّل وتذوّق خصوصيات الأنداد
وفراديتهم وفى نفس الآن للإمساك بذلك الخيط
الرؤيوى والروحي الذى يجمعهم ويوحد مقصدهم
الشعرى ، خيط الإحساس بانعدام الوزن ، ذلك أنهم
جميعاً ، على ما بينهم من فوارق مظهرية ، ينتمون إلى
تلك الفصيلة النادرة من « الكائنات ذات الخِفة التى
لا تحتل » ، (ميلان كونديرا) ، والتى مهنتها الهروب
الدائم إلى الداخل وإدمان اللعب فى زوايا الخيال الكثيبة
فراراً من ورطة الوجود بالقسر ...

إن الوشائج التى تجمع هؤلاء الأنداد تتجاوزُ
ما خلّفوه من أثر شعري ، لتمتد إلى النثر وإلى ما
مارسوه من أفعال رمزية ، وحيوات مصطنعة ومقنّعة ،
فقد تبادلوا علاقات صداقة متفاوتة المستوى (باستثناء
ريبس وپيسوا اللذين لم يتعارفا شخصياً) . كما تبادلوا
النقد والتعليق على أشعار بعضهم بعضاً وجرت بينهم

مساجلات ومجادلات إسטיبيقية خصبة مست الشعر
والنثر وامتدت إلى الفلسفة والدين والأخلاق والسياسة**
وعلى الرغم من تباين مسالكهم ومصائرهم فقد عرفوا
تقريباً نهايات مشابهة وتبخّروا في صمت ، داخل بئر
عزلتهم الخاوية ، عزلة خالقهم بيسوا الذي كان آخر
ماخطّه عشية موته هذه الكلمات : اسقني مزيداً من
الخمير ، لأنّ الحياة لا شيء .

المهدى أخريف

(*) خوص أنطونيو جاردينت : (1935 - 1987)
Jo.ose Antonio LLardent حاصل على الجائزة الوطنية في الترجمة
الأدبية سنة 1987 بفضل ترجماته الجيدة للعديد من أعمال بيسوا الشعرية
والنثرية .

(**) يمكن الرجوع لمن أراد التوسّع في معرفة النشاط النقدي
والنظري لبيسوا وأنداده إلى كتاب : Fernonedo Pessoa :

El Regreso de los Dioses

Troducción del Portuguez Ydel Inglés : ANGEL Crespo
Seix Barral . Primero edición 1986 - Barcelana .

إسطيطيقا التنازل

فرناندو أنطونيو نوغيرا پيسوا ؛ ولد فى لُشبونة يوم 13 يونيو 1888 وتوفى فيها يوم 30 نوفمبر 1953 . طوال السنوات السبع والأربعين التى عاشها ، تميزت حياته وأعماله الخارجية « البيوغرافية » حسب توصيف ذاتى محكم له ، بالرتابة والبساطة ، حياة « رجل عايش الأشياء التى تحدث فى الحياة ، من بعيد ، مبتسماً ، بدون أن يختلط بها » . فى البداية جعل من « مهمة العبقرى المقدسة والرهيبية » هدفاً حيويًا لحياته ، غير أنه لم يلبث أن اكتفى بالاعتقاد بامتلاك مزايا عالية من الذكاء والحساسية مناقضة « للآخرين » الذين وجب عليه أن يتجاهلهم فى علاقته كإنسان وككاتب .. وهكذا قَرَّر التخلّى عن جميع أشكال الشهرة التى تليق فقط « بالمثّلات والمنتوجات الصيدلية » حسب تعبيره . بدون إظهار أى ندم أو مرارة أوحقد . لقد حَوَّل ، ببساطة ، طاقته الاستثنائية إلى مادة أدبية من خلال « إسطيطيقا » أطلق عليها نعت « إسطيطيقا التنازل » ، وحرص على

الالتزام بها حتى نهاية أيامه . غير أنه كَانَ قد نظَّر لها منذ 1985 بهذه العبارات : « إن الظافرين عموماً سرعان مايفقدون المزايا الناجمة عن الظفر؛ لأن الشعور بالرضى يستولى عليهم . ووحده القانع يشعر بالرضا . أما الذى يفوز حقاً فهو الذى لا يملك عقلية الظافر ، والذى لا يصل أبداً إلى مبتغاه . وحده القوى ، هِمَّتْه فى فُتُور مستمر » . الأفضل ، إذن ، هو التنازل عن كل طموح . « فالإمبراطورية العليا هى فى ملك الإمبراطور الذى يتنازل عن كل حياة عادية وعن البشر كافة » .

هذه « الاسطيطيقا التنازلية » مَسَّت كل جوانب حياة بيسوا. بدءاً من الوضع المادى - كان مخططة المالى المعلن هو ضمان الحصول على 70 دولاراً فى الشهر ، كحدٍّ أقصى ، بدون زيادة دولار واحد - إلى نظام العلاقات الإنسانية ، من الحب إلى الصداقة على أساس أن « فعل الوجود الإلهى يجب ألاَّ يتماثل مع فعل التعايش الشيطانى ، لكنَّهُ على عزلته ، واحتفاظه بالمسافة الدائمة بينه وبين الآخرين لم يستطع التخلص من أسر الحياة اليومية الظاهر ؛ تلك الحياة التى شكلت المكان الملائم لإنجاز « مهمته : مهمة الرجل العبقري » إنها قضاء الإنصهار فى الكتابة عبر الخضوع « لمعلمين لايتساهلون ولا يغفرون » ، لكن ألا يصحُّ اعتبار ذلك التخلُّى فى النهاية شكلاً من أشكاله « خَجَله المتعالى » الذى دفعه إلى التأكيد : « ... تفرزنى كل الحركات

والإشارات ، كل عباراتى مُنتَزعة من سهولة الانفعال
المباشر « ! . مهما يكن من أمر فقد توالى أيام ييسوا بين
اليومى الأكثر مباشرة بإرغاماته المستمرة وبين
مغامرات الكتابة باعتبارها الرغبة الوحيدة الفاعلة فى
الحياة .

فرناندو پيسوا
أولاً : مختارات شعرية II
ترجمة : المهدي أخريف

مطر مائل

I

بهذا المشهد يَمُرُّ

حُكْمِي بِمِيناءٍ لَامِتْنَاهِ ،

لون الأزهار هو شفافية أشرعة السفن الكبرى

التي تُقلع من الرصيف ساحبةً على المياه فيما
يشبه الظِّلَّ

أطيافَ تلك الأشجار العتيقة تحت الشمس .

مينائى المحلوم به معتم وشاحب ،

والمشهد مفعم بالشمس فى هذه الناحية ...

لكن شمس اليوم ميناء مظلم فى روى

والسفن المقلعة من الميناء هى الأشجار تلك تحت
الشمس . متحرراً ، أغادر المشهد الأسفل ،

شبحُ الرصيف هو الطريق فى وضوحه وهدوئه

منتصباً مثل جدار ، لدى ارتفاعه ،
من داخل جذوع الأشجار تمر السفن
بعمودية أفقية
ثم تمضي بآئته في المياه مرساتها داخل الأوراق
واحدة فواحدة ..

زمن لمن أحلم ؟ لا أدري
فجأة تشفى كل مياه البحر ،
فأبصر في العمق ، كما لو أن صورة هائلة كانت
منشورة هناك .
كل هذا المشهد ، صف الأشجار ، الطريق المضطرب
في ذلك الميناء ،
ثم ظل سفينة شراعية أقدم من الميناء ذاته ، يمر
بين حلمي بالميناء ورؤيتي لهذا المشهد ،
ظلاً يصلني فيتغلغل في
منتقلاً إلى الجانب الآخر من روحى ...

من الداخل تُضاء الكنيسة بمطر هذا النهار ،
كُلُّ شمعَة تُضاء هي مَطَرٌ آخر يخفق في
الشمعدان ...

يُهجنى الإصغاء إلى المطر ، مَطَرٌ هُوَ تَلَأُلُ الكنيسة
بالأضواء ،

وشمعدانات الكنيسة مرئية من خارج هي صوت
المطر مسموعاً من الداخل .

رَوْنَقُ المذبح الأعلى يَحُولُ دُونَ مُشَاهَدَتِي الجبالِ
مِنْ خَلَلِ المطر ، المَطَرِ الَّذِي مِنْ ذَهَبٍ مَهِيْبٍ عَلَى
سَفَرَةِ المذبح

هُوَذَا رَنِينُ غَنَاءِ الكورس الكنائسيِّ ،
بداخلي صَوْتُ اللاتينية مَمْرُوجاً بالريح يَرُجُّ
الشمعدان ،

فيما زَقْرَقَةُ المَاءِ تُحَسُّ مِنْ مَجَرَّدِ أَنْ ثَمَتِ كورس
ليس القُدَّاسِ سوى سَيَّارَةٍ تَمُرُّ
مِنْ خِلَالِ المخلصين الراكعين لَأَنَّ اليومَ حزين ..
ريح فجائية تَهْزُ بِبَهَاءٍ أَعْلَى
احتفال الكاتدرائية ، بينما صخب المطر يمتصُّ
كُلَّ شَيْءٍ

إلى حَدٍّ أَلَّا صَوْتٌ يُسْمَعُ غَيْرَ صَوْتِ الْقَسِيسِ
مَاءٌ مَهْدُوراً فِي الْبَعِيدِ
رَفْقَهُ صَوْتٌ عَجَلَاتِ سَيَّارَةٍ ...

وَفِي الْمَطَرِ الْمَتَوَقِّفِ
تَنْطَفِئُ أَضْوَاءُ الْكَنِيسَةِ

III

أَبُو هَوُلٍ مِصْرَ الْأَكْبَرِ وَرَقٌّ حَالِمٌ فِي الدَّخْلِ ...
اَكْتُبْ - وَأَبُو الْهَوُلِ يَتَمَرَّأُ مِنْ خَلَلِ يَدَيِ الشَّفَافَةِ ،
وَعَلَى حَاشِيَةِ الْوَرَقِ تَنْتَضِبُ الْأَهْرَامَاتُ ...
اَكْتُبْ - مَنْزَعِجاً مَنْ كُونِ رَأْسِ قَلَمِي
عِبَارَةٌ عَنْ بَرُوفِيلِ لِلْمَلِكِ keops
فَجَاءَ أَتَوَقَّفُ
لَقَدْ تَعَتَّمْ كُلُّ شَيْءٍ ، ... أَسْقَطَ فِي هُوَّةٍ مِنْ زَمَنِ .
مُغَطًى بِالْأَهْرَامَاتِ ، اَكْتُبْ أَشْعَاراً عَلَى الضَّوْءِ
السَّاطِعِ لِهَذَا الْقَنْدِيلِ

وَمِصْرُ كُلِّهَا تَضْغُطُ مِنْ أَعْلَى عَلَى عُبْرَ جَرَّاتِ الْقَلَمِ ...
أَسْمِعْ أَبَا الْهَوْلِ يَضْحَكُ مِنَ الدَّاخِلِ ،
أَسْمِعْ صَوْتَ قَلَمِي يَعْبُرُ الْوَرَقَ ...
يَدٌ هَائِلَةٌ تَتَخَطَّى مَا لَسْتُ قَادِرًا عَلَى رُؤْيَتِهِ ،
ثُمَّ تَسْحَبُهُ بِالْكَامِلِ إِلَى حَافَةِ السَّقْفِ الْقَائِمِ عِنْدَ
كَاهِلِي ،
وَفَوْقَ الْوَرَقِ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْتُبُ ، بَيْنَ الْوَرَقِ وَالْقَلَمِ
الَّذِي يَكْتُبُ ،
يَرْقُدُ جِثْمَانِ الْمَلِكِ KEOPS مُحَدِّقًا فِيَّ بَعِينَيْنِ
مَفْغُورَتَيْنِ ،
بَيْنَ تَقَاطِعِ نَظَرَتَيْنَا يَجْرِي النَّيْلُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ مَا أَفْكُرُ فِيهِ ،
تَائِهَةٌ تَمْضِي بِانْحِرَافٍ مَبْهَمٍ مَسْرَّةً مُرَاكِبِ
مَزْدَانَةٍ بِالْأَعْلَامِ .

مِنْ ذَهَبٍ عَتِيقٍ وَمِنْ مَائَتِ الْمَلِكِ KEOPS ...

IV

يألزيف السكون الثاوى فى هذه الغرفة !

– فى الأندلس تُوجد الجدران –

ثمت رقصات شهوانية فى السطوع الثابت للنور

الفضاء بكامله ينحبس فجأة

يتوقّف ، ينزلق ، يتحلّل ..

وفى رُكنٍ ما من السَّقْف ، أبعد من السقف بكثير ،

هناك أياد بيضاء تفتح نوافذ سرية عديدة

فيما باقَاتُ بنفسج تمضى منهمرة

من تكلم الليلة الربيعية المحتملة فى الخارج ،

فوق وجودى هذا بالعينين المغلقتين ...

V

فى الخارج أحصنة المعرض الاصطناعية تحت

دوارة الشمس تدور

أحجار ، أشجار وجبال ترقص فى داخلى دون

حركاك ...

ليل شامل فى المعرض المضاء ، قَمَرٌ فى النهار مَعَ
الشمس التى هناك

وكل أضواء المعرض تَرِنُ على حيطان الحديقة * ...
جموع صبايا بأباريق على الرؤوس
سائرات فى الخارج ، مبهجات بوجودهن تحت
الشمس ،

وهن يتقاطعن مع جموع لَزِقَةٍ كبيرة مِنْ أناسٍ
يسIRON

عبر المعرض ، مع كل أولئك البشر المختلطين بضوء
الأكواخ بالليل والقمر ...

يلتقى الجمعان ويتداخلان
مكوْنَيْنِ فحسب مجموعة واحدة ، هى فى حد ذاتها
مجموعتان ...

المعرض والأضواء والناس السائرون عبر المعرض ،
والليل الذى يمسك بالمعرض ويقوده بغير استقرار ،
جميعها فوق رؤوس الأشجار المفعمة بالشمس ،
مرئية تسير تحت الأحجار الالامعة تحت الشمس ،

* ترجمة غير دقيقة لـ Quintal . وال Quintal هو تلك الفسحة
البستانية الصغيرة المتصلة بالمنزل بدون أن تكون لابستاناً ولا حديقة .

متدفقة من خلف الأباريق المحمولة على رؤوس
الصبايا ،

مشكلة كلُّها بضوضائها وأضوائها أرضَ هذا اليوم
الشمس .

فجأةً هناك من ينفض ، هذه الساعة المزدوجة ،
كَمَنْ ينفض غربالاً ،

بينما غُبارُ الواقِعَيْنِ * المختلط يسقط

فوق يَدَيَّ المليئتين برسوم موانئ

تُقلعُ منها سُنُنٌ كبيرة لا تفكر في الرجوع

غبار من ذهب أبيض وأسود فوق أصابعي ...

يداي هما خطوات تلك الصبيّة التي تترك المعرض

وحيدةً مبتهجةً بهجة هذا النهار ...

v

القائد يحرك عصا الأوركسترا

التي تقتحم العزف بفتور وكآبة

* مُكْنَى واقع : Realidad .

أتذكّر طفولتى ، ذلك اليوم الذى كنتُ أَلعب فيه قرب
حائط الحديقة

قاذفاً إيَّاهُ بالكرة التى كان وَقَعُها شبيهاً
بانزلاقة كلب أخضر تارةً ،
وبحصانٍ أزرق يَعُدُّو بفارس أصفر ، تارةً أُخرى
الموسيقى تتواصل ، وها هنا فى طفولتى ،
ها هنا فجأةً بينى والجدار الأبيض ، وقائد
الأوركسترا ،

تذهب الكرة وتجيءُ ، كلباً أخضر حيناً
وحصاناً أزرق بفارس أصفر حيناً
المسرح كله هو حديقتى ، طفولتى
موجودة فى كل مكان والكرةُ محمَّلةٌ بالموسيقى
تجيءُ ،

بموسيقى غامضةٍ كئيبةٍ تتجولُ عبر حديقتى
مُرتديةً هيأةَ كلب أخضر وهى تدور فى ثوب
فارس أصفر ؛

(بسرعة تدور بينى وبين الموسيقيين الكرة)

أَقْذِفْ بِهَا فِي وَجْهِ طِفُولَتِي فَتَقْطَعْ
كُلَ هَذَا الْمَسْرَحِ الْمَوْجُودِ عِنْدَ قَدَمِي لَاعِبَةً
بِفَارِسٍ أَصْفَرٍ ، بِكَلْبٍ أَخْضَرَ ، وَبِحَصَانٍ أَزْرَقٍ
يَطُلُ مِنْ حَائِطِ حَدِيقَتِي .
بَيْنَمَا الْمَوْسِيقَى تَقْذِفُ بِالْكِرَاتِ صَوْبَ طِفُولَتِي ..
وَحَائِطِ الْحَدِيقَةِ مَصْنُوعٌ مِنْ إِشَارَاتِ
عَصَا الْأُورْكَسْتَرَا وَمِنْ تَعَاقِبَاتِ مَلْتَبَسَةِ لِكَلَابِ
خُضْرَاءَ
وَبِضْعَةِ أَحْصَنَةِ زَرْقٍ وَبَعْضِ الْفَرَسَانِ الصُّفْرِ ...
الْمَسْرَحِ بِكَامِلِهِ حَدِيقَةِ مَوْسِيقَى بِيضَاءُ
حَيْثُ الْكَلْبُ الْأَخْضَرُ يَرْكُضُ خَلْفَ
نُوسَطَالْجِيَّةِ طِفُولَتِي ، حَصَانًا أَخْضَرَ يَعْثُلِيهِ
فَارِسٌ أَصْفَرٌ ..
مِنْ جِهَةٍ إِلَى أُخْرَى تَذْهَبُ الْكُرَةُ ، إِلَى الْيَمِينِ ، إِلَى الشَّمَالِ ،
حَيْثُ الْأَشْجَارُ وَوَسْطُ الْغُصُونِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْقِمَّةِ
تَعْرِزُ الْأُورْكَسْتَرَاتِ ،
حَيْثُ صَفُوفٌ مِنَ الْكِرَاتِ مَجْمُوعَةٌ فِي الدَّكَانِ الَّذِي
ذَهَبْتُ إِلَيْهِ لِابْتِاعِ كَرْتِي ،

ووسط ذاكرات طفولتي يبتسم البائع ...

لكنَّ الموسيقى توقَّفتُ مثل انهيار جدار ،
والكرة ظلَّتْ تدور حول هاوية أحلامى المجهضة .
والقائد ، الفارس الأصفر من أعلى الحصان
الأخضر
انحنى مقدِّماً تشكُّراته واضعاً العصا فى فتحة
جدار ،

انحنى ، باسمًا ، بِكْرَةٍ بيضاء على الرأس
كرة بيضاء تدحرجت من أعلى الظهر
واندَمجتُ فيما هو أسفل .

فصول / الموميااء

I

أَمْيَالاً مِنْ الظِّلِّ قَطَعْتُ

دَاخِلَ تَفْكِيرِي .

مِنْ السَّطْحِ يُزْهِرُ فَرَاغِي

مَعَ مَا لَا جَنْسَ لَهُ .

وَالْمَصَابِيحُ أُطْفِئْتُ

فِي الْمَخْدَعِ الْمَهْتَزِّ .

فَجَاءَ يَتَحَوَّلُ كُلُّ شَيْءٍ

إِلَى صَحْرَاءَ نَاعِمَةٍ

لَا أَبْصُرُهَا بِعَيْنِي

بَلْ بِمَلْمَسِي الْمَقْدُودِ مِنْ مُخْمَلِ الْمَخَادِعِ .

ثَمَّةٌ وَاحِدَةٌ فِيمَا هُوَ مَلْتَبَسٌ

وفيما لا صدوع فيه
هناك قافلة تمرُّ
مثل شبهة ضوء
فجأة أنسى الفضاء
كيف هو ، والزمن يغدو عمودياً
بدلاً من أن يكون أفقياً .

لا أدري المضجع
أين يتحدر
حتى لا يعثر على .
ثمة بخار خفيف يعلو
من أحاسيسي .
أكف عن أن أوجد
داخل ذاتي . لا وجود
له هنا في الداخل / هناك في الخارج

والآن تلك الصحراء
أضحت فما محنياً

مَعْرِفَتِي بِحَرَكَاتِي
نَسِيتُ اسْمِي .
لَقَدْ ثَقُلَ الْجَسَدُ عَلَى رُوحِي
أَحْسُ بِحُلُوءِي
مُعَلَّقٍ فِي الصَّالُونَ
حَيْثُ يَرْقُدُ أَحَدُهُمْ مَيِّتًا .
تَمَّتْ شَيْءٌ هَوَى
يَطْنُ فِي مَا لَا يَتَنَاهَى .

II

مَيِّتَةٌ فِي الظِّلِّ تَرْقُدُ كَلْيُوبَاتِرَا .
يَنْهَمِرُ الْمَطَرُ .
لَقَدْ أَسَاءُوا تَزْيِينَ الْمَرَاجِبِ بِالرَّايَاتِ .
دَائِمًا يَسْقُطُ الْمَطَرُ
لَأَجَلَ مَاذَا تَتَطَّلَعُ أَنْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْبَعِيدَةِ ؟
رُوحُكَ هِيَ الْمَدِينَةُ الْبَعِيدَةُ .

ببرود يسقط المطر.

أما بالنسبة إلى الأم التي تهدد الابن الميت في
حضانها

فكلنا نُهدِّدُ في الحضان طفلًا ميتًا .
المطر ، المطر .

الابتسامة الحزينة الفائضة عن شفّتكِ المتعبتين
أراها في الحركة التي تتشبّث فيها أصابعك
بالخواتم .

لماذا يسقط المطر ؟

III

لمن النَّظْرُ
المؤمضُ عبْرَ عينيَّ ؟
عندما أتفكّرُ ما أراه
من يستمر في الرؤية
وقت انشغالي بالتفكير ؟
وأيّ طريق تتابعه

لا خَطَوَاتِي الكَثِيبَةِ ،
بل واقع خَطَوَاتِ بِمَعِيَّتِي ؟
أحياناً في ظل غُرْفَتِي المبتور
عندما لا أَكُون موجوداً حتى
على مستوى الروح ،
يكتسى الكون فيَّ شكلاً آخر :
شكل بُقْعَةٍ كُـسُوفِيَّةٍ مِنْ وعِيهِ
بفكرتي عن الأشياء .

إن أشعلتم الشموع

ولم يكن وحده الضوء
الخارجي المبهم موجوداً
- من فنار موقد في الشارع
لا أدري أين ولا ماهو ؟ -
ستكونُ لدي الرغبة
القائمة في ألا يوجد أبداً
في الحياة والكون

غير الساعة الغامضة
التي هي حياتي الآن :
هنيهة رافدة
لنَهْرٍ مُتَّجِهٍ عَلَى الدَّوَامِ
إلى نسيان أنه موجود ،
فضاء خفي
بين فضاءات صحارى
مَعْنَاهُنَّ باطل
وحيث العدم عدم .
هكذا ميتافيزيقياً
تَمُرُّ السَّاعَةُ .

IV

متدحرجاً يسقط
قَلْقِي عَلَى السَّلَامِ
رغباتي وسط حديقة
عمودية تتدحرج .

عند المومياء الوضع مضبوط تماماً .

موسيقى نائية ،

موسيقى نائية جداً

لكي تُمرَّ الحياة

وتُلمَّ الحركات

v

لماذا تفتح الأشياء الشوارع لخطواتي ؟

إنني أخشى المرور وسطها ، بتصلُّبها الواعي

أخشى أن أتركها تزيح القناع إزاء ظهري .

لكن دائماً ثمت أشياء إزاء ظهري .

أحسُّ بغيا بهن الذي كله عيون تحدِّق فيَّ فأرتعش .

الجدران ، حتى بدون أن تتحرك ، ترشقني بالمعنى .

الكراسي ، من غير صوت تكلمني به ، تتحدَّث معي .

رسوم سُفرة الطعام تملك حياة : كل رسم هاوية .

بشفاه لامرئية منْظورة يبتسم الباب

الذى ينفتح واعياً تماماً
بدون أن تكون هناك يد تفتحه غير الطريق
من أى مكان ينظرون إلى ؟
أية أشياء عاجزة عن النظر تلك التى تنظر إليّ
من يتجسس على كل شئ .
التماعات السنابل تحملق فيّ
الجدران الملساء تبتسم بالفعل .
إنه الإحساس بكوني أوجد فحسب
من خلال عمودى الفقري .

السيوف

السيوف .

نعم ، سأفعل ، وساعة إثر ساعة تَمُرُّ الأيام *

سأفعل ، ويوماً إثر يوم تَمُرُّ الشهور
وأنا ، ممتلئاً دائماً فقط بما سأفعله ،
أرى أنَّ ما سأفعله لا يُفعل ،
داخل النوسطالجيا اللأمجدية لذاتي نفسها .

سأفعل ، سأفعل ... الشهور تصبح أعواماً
والأعوام هي الحياة بكاملها ،
هي الكل ... ودائماً نفس الإحساس
بأنَّ كُلَّ شيء في المتناول ،
دائماً القدم ساكنة واليد جامدة .

سأفعل ، سأفعل ، سأفعل ... نعم ، بإمكان
أية لحظة ربّما أن تمدّني بالجهد والظفر ،
لكن ذلك ممكن فحسب إذا أمدّتنى به من الخارج .
لقد رغبت في كل شيء - السلم ، الأمل ، المجد ...
أى لأمعقول مظلّم ينتحب في روحى ؟

(*) ترجمها عن البرتغالية إلى الأسبانية : Gustavo FBra .

كُنْ هَادئاً أَيُّهَا الْقَلْبُ ! لَا تَيْأَسْ ! ..

رُبَّمَا ذَاتَ يَوْمٍ ، فِيمَا وَرَاءَ الْأَيَّامِ ،
تَعْتُرُ عَلَى مَا تُرِيدُ لِأَنَّكَ تَرِيدُهُ .
حِينَئِذٍ ، مُتَحَرِّراً مِنَ النُّوسِطِ الْجِيَّاتِ الزَّائِفَةِ ،
تُدْرِكُ كَمَالَ الْكَائِنَاتِ .

لَكِنْ ، كَمَ هُوَ مُسْكِنٌ حُلْمٍ مِنْ لَا يُرِيدُ سِوَى عَدَمِ
امْتِلَاكِ حُلْمِهِ :

كَمَ هُوَ بَيْئِسٌ أَمَلٌ أَنْ تَكُونَ مُوجُوداً وَحَسَبَ !
كَمَنْ .. يُمَرِّرُ عَلَى الشَّعْرِ يَدَهُ
وَهُوَ يَشْعُرُ فِي ذَاتِهِ بِأَنَّهُ مُخْتَلَفٌ ،
كَمَ مِنْ ضَرَرٍ يُلْحِقُهُ بِالْحُلْمِ حَمْلُ الْحُلْمِ !

كُنْ هَادئاً أَيُّهَا الْقَلْبُ ، بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَقَتَّكُمْ ،
الْهُدُوءُ لَا يُجَشِّمُ مُبَرِّراً وَلَا حِجَّةً ،
إِنَّهُ يَتَطَلَّبُ فَقَطِ اللَّيْلَ السَّاكِنَ الْهَائِلَ ،
تِلْكَ الْوَقْفَةُ الْمَهِيْبَةُ ، الْعَظِيْمَةُ الْكُوْنِيَّةُ
الَّتِي تَنْحُلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ .

ربما ذات يوم أنظم قصيدة لى

لأذلك الشئ الذى ، إذا حَلَّتْهُ ،
وجَدَّتْهُ فحسب الثُّوب الذى نسج فى داخلي
من كثرة الارتجال اللاشخصى والمجهول
الذى نسيني أو نسي ذاته .

قصيدة تنتسب إلى ، وفيها تنساب كينونتى ،
فيها أقول ما أحسُّ وما أنا إياه .
بدون تفكير ، ولا إرادة ، ولا تكلف ،
مثل مكان مضبوط تماماً ، حيث كُنْتُ
وحيث بإمكان الغير ، أن يرونى ، مثلما أنا عليه .

آه ، لكن مَنْ يستطيع أن يكون من هو ؟ من يعرف
تَمْلُكُ الروح التى يَمْلِكُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِى هو بالذات من هو ؟
نحن ظلال لأنفسنا وحسب ، وَحْدَهُ الانعكاس يطابقنا .
لكن أىّ انعكاس ؟ انعكاس غصون لا واقعية ؟
رُبَّمَا الهواء وحده يطوينا وَيَنْشُرُنَا .

كتابات قبرية

I

نَمْرُ حالمين . الأرض تبتسم ، الفضائل تزداد نُدرة .
العمر ، الواجب ، الآلهة تتحكّم فى سعادتنا الواعية .
ترقّب الأحسن وتهياً للأسوأ .
فى هذه الوصفة تتكثف خلاصة الحكمة .

II

الأقدار العاتية استسلمت إلي ، أنا كَلَوِي ، الصبيّة .
التى ماكانت تعنى شيئاً بالنسبة إليهن ، إلى الظلال
الممتلئة .

هكذا هو الحب لدى الآلهة . لم تكن سنواتى
قد جاوزت السبع مرّتين

فى مروجى السحيفة أرقد منسية .

III

من خلوتى على التل حدقت ملكياً نحو الأسفل ،

نحو المدينة الصاخبة ؛

بعدئذ أمضيت أحد الأيام (ضجيراً من مراقبة

الحياة متخلياً عن الأمل الأبله)

بدلتى فوق رأسى

(كما لو كانت هذه الحركة شيئاً ذابال)

كأننى أرفع جناحاً .

IV

Cécrops لم يرع نحلاتى . أشجار زيتونى

أعطت زيتاً كالشمس ، من بعيد تغت قطعانى

المسافر المتعب مال إلى بابى

الأرض المبتلة محتفظة ماتزال برائحتها .

حاسة شمى ميتة الآن .

عرفتُ الظفرُ البرابرة الأبعاد سمعوا باسمي .
الرجال مثل البيادق في لعبتي هذه
لعبتي التي لم أستفد فيها أنا بالذات من دورى غير
القليل
قذفتُ بالبيادق إلى الهواء . والقدر تكفل
بالحساب .

ثمت من أُحبُّوا وثمت من سَعُّروا كالأسهم .
ياقرينة رفيقى الراضى الطبيعية .
كافياً كنتُ لمنْ كانَ كذلك ،
مشيتُ ، نمتُ ، أنجبتُ ، وبلا هدَفِ شِخْتُ .

كمن يبُعد كوباً للغير أبُعدتُ اللذة .
جَادٌّ ، متباعد ، واثق ، وجهت نظري إلى حيث
يتراءى الآلهة

من ورائي انزلق الظل العمومى
وأنا أنومُ حلمى حَالِماً بأننى لم أنمُ .

خمس سنوات شحيحة مررنَ قبل أن أمرُّ أنا أيضا .
جَاءَ الموت ومضى بالمخلوق الذى كان هناك .
مامن إله قَدَم الغوث ، ولا القدر ابتسم لليدين
الصغيرتين
وهو ينقضُّ على الفريسة الصغيرة .

لَقَدْ نُصِبَ السكون حيث أقيمت المدينة العتيقة .
هنالك ينمو العشب حيث مامن ذاكرة تدوم

غبارٌ نحن الذين نتناول الغذاء بصوت مسموع .

التاريخ تَمَّت روايته .

فى البعيد يهدم وقع الحُدُوات وآخر أضواء الخان
يختفي .

X

لقد تبادلنا الحب ، نحن المستريحون هنا . إنها
لمفارقة .

يدى المفقودة تجنح إلى التحلُّ فى فراغ تجويفتها .
كل محبوبٌ مجهولٌ ، بالنسبة إلى العارف بالحب .
كم أحسَّسنا بوسامتنا ، وكانت القبلة شعارنا الأثير *

XI

من أجل مدينتى البعيدة كَافَحْتُ وسقطتُ
لم أُعبِّر جيِّداً عَمَّا كانت تريد ، بيد أنها كانت فى
حاجة إلى .

* ترجمة مغايرة نسبياً للأصل .

لقد تَحَرَّرتْ أسوارها ،
لسانها يحفظ ما قلتُ ، والرجال يموتون ،
لكنها لا تموتُ ، مثلى .

XII

نحن لم نعش الحياة ، الحياة هي التى عاشتنا ،
بنفس الطريقة التى يرشف فيها النحلُ الرحيق ،
نرى ، نتكلم ونحيا . الأشجار تنمو ، بينما نحن نيام .
نحب الآلهة تماماً مثلما نُشاهد مركباً ،
بدون أن نعى أبداً أننا واعون ، نَمْضى .

XIII

لقد أنجزت الأشغال . المطرقة تستريح .
العمال الذين شيدوا المدينة النامية ببطء
تمَّ استبدالهم بالذين مازالوا يشيدون
هذا كله شئٌ يُخفي الحاجة إلى شئٍ آخر .
التفكير داخل المجموع ليس له معنى

لكنه على جدار الزمن يرقدُ مثل جرةٍ مقلوبة .

XIX

عندما كانت السماء الزرقاءُ سمائي ، كان هذا
يغطيني .

هذه الأرض التي وطئتها في زمن آخر تخنقني
الآن .

ويدي هي التي ألفتُ هذه الكتابات القبرية ،
بدون أن تعرف بالكاد لماذا .
وأنا آخر العابرين ، الذي من هنا يتأمل الجميع .

من :

ديوان الأغاني

I

ورقات ، ابتسامة مسموعة
خفيفٌ ريحٌ بالكاد
إن كنتُ أنظرُ إليك وتنظرُ إليَّ
فمن منّا سيبتسم الأول ؟
أول من يبتسم
هو أول من ، بعدئذ ، سيضحك .

فجأة يضحك وينظر
ينظر كي لا ينظر
وسط الأوراق الملتفة
يمرُّ صوتُ الريح .

كل شيء قناع ، كل شيء ريح .
ذلك الناظر منشغل بالنظر .
إلى حيث لا ينظر : ينقلب بصره .
نحن الاثنان معاً منشغلان بالكلام
عَمَّا لَمْ يَتَمَّ فيه كلام .
هل يبدأ هذا أم ينتهى ؟

II

ثمّة غيمة تمرُّ تحت الشمس
ثمّة حُزْنٌ مرصودٌ للناظرين .
الروح شبيهة بعباد الشمس
ترى فقط مايقع عند قدميها
أيّة ساعة وبيلة تُلْفُكُ
كالراية المرفرفة ؟
تمرُّ الغيمة . والشمس تعود
فينقلب الفرّح .

III

دورانُ الريح .
الريح تدور . تدورُ الريح .
فكرى حالمًا يسير معى
نحوَ أعالي الغابات
حتى أشعر ، بلاخوف ،
بالمرور العالى لبرودة الهواء .

حتى أعرف أننى
ذاك الذى أردت أن أكونه
حينما سمعتُ ما قالت
الريح من كلام .

IV

على ضفة هذا النهر
أو على حافات ذاك
مصفوفةً تمرُّ أيامى

مَا مِنْ شَيْءٍ يَعْوِقُنِي أَوْ يَحْجُبُنِي
أَوْ يَمْنَحُنِي حَرَارَةً أَوْ بَرودةً .

إِلَى النهر أنظر ، وإلى ما يفعله النهر
عندما لا يفعل النهر شيئاً .
أنظر إلى ما يَخْلُفُ من غُثَاءٍ
عندما يَمْحُو ، في مروره ،
ما ترسَّب في الوراء .

أنظر وأمعن النظر متأملاً ،
لا في التيار الذي يَمُرُّ
بل في ما أفكر فيه ،
إذ ما أبصره في الماء
هو تعذر رؤية ما يَمُرُّ .

عبر ضفّة النهر أسير
عبر ضفّة النهر الذي يمضي إلى حيث
لا أدري .

واثقاً بتياره النهري : سيان نظري
أو عدم نظري إليه .

V

آخر . أن أكون دائماً آخر .
أن أسافر . أن أفقد بلداناً .
أن أعيش نظراً متواصلاً .
والروح بلا جذور .

أن أسير جنباً إلى جنب مع ذاتي
متخلصاً من كل انتماء .
مع قلق الظفر
بالغياب الذي هو مواصلة مستمرة .

أن أسافر هكذا . ياله من سفر !
في أفكارى وحدها
يسافر تفكيرى .

ماتبقى : سماء وأرض .

لو قُدر لي ، ولو لم أكن أحداً ،
أن أملك على صفحة وجهي ، ذلك الصفاء العابر
الذي تملكه تلك الأشجار
لَكَانَ لي إذن ، ذلك الفرع
الذي تملكه الأشياء في الظاهر .
لأنَّ الفرع ابن اللحظة هو
عندما تبرد الشمس يزول .

تجدُر بي أيُّ حياة أخرى
أكثر ممَّا تجدُر بي حياتي هذه
أن أمتلك تلك الحياة الغريبة
التي من الشمس فحسب تجيءُ .

XII

منبوز أنا

فى ذاتى حبسونى
بعد ولادتى
غير أننى لُذت بالفرار .

من نفس المكان
يضجر الناس
وأنا من وجودى فى ذاتى
أليس خليقاً بى أن أضجر ؟

روحى تبحث عنى ،
فى السهول والجبال ،
ليتها لا تعثر أبداً على .

أن أكون واحداً قيداً ،
ألا أكون موجوداً هو أن أكون
أنا ذاتى .

هارباً من ذاتى أحياناً ،

وأنا بذلك حيّ .

VIII

أتأمل ما لا أراه

إنَّه المساء ما هو مظلم يتقدّم

كُلُّ ما هو رغبة بداخلي يصطدم بجدار .

كبيرة هي السماء في العلوّ

رفاعة هي الغاية

الريح تخترق الدّغل .

نُمت أوراق . حُضُور متمايل .

هناك في الجانب الآخر

يوجد كُلُّ شيء ، ما لا وجود له ولا فكرة لي عنه .

وكُلُّ عُصْن متمايل

يجعل السماء أكثر شسوعاً .

بين ما أنا عليه وبين أنأى .
مُضْطَجِعاً ، ثُمْتُ خَلَط .
لا أَحْسُ بِشَيْءٍ ، وَلَسْتُ حَزِيناً .
الْحُزْنُ هُوَ هَذَا الَّذِي أَنَا فِيهِ .

IX

فوق القمح المتموج
شمس عاطلة تستريح .
بدون تَفَاهُمْ مع ذاتي ،
مخدوعاً أمضي على الدوام .

لو في إمكاني ألا أعرف البتة
عَنِّي أَيُّ شَيْءٍ
لكنْتُ نَسِيتُ نسياني هذا لِذَاتِي .

القمح يميل
والشمس غريبة . سيان .

الروح موجودة ، ما أقصرها
بِخيرها وشرها .

ثلاث قصائد من :

رسالة

1 – الأمير دون إنريكي

فى عرشه ، وسط سطوع الأفلاك ،
بمعطفه المنسوج من العزلة والليل
والبحرُ جاثياً عند قدميه والعصور الميَّتة ،
– إنه الإمبراطور الوحيد الذى يمسك فعلاً
بالكرة الأرضية بين يديه .

2 - دون خوان الثانى

ذراعاه بهيأة صليب

تَخُمُّ ما وراء البحار يبدو كقمة فى سلسلة جبال .
تخم أرض يحكمها بحر آخر فيما وراء البرّ .

شبحه المتوحد المخيف

يحتلُّ البحر والسماء لمجرد حضوره
ومع ذلك يبدو متهيباً من العالم المتنوّع
الذى يتقدم بذراعيه ويمزّق له اللّثام .

3 – كتابة على قبر برطلوميو دياز

فى هذا الشاطئ النائى
يرقد قبطان النهاية
البحر نفس البحر وقد تُخطّيت الدهشة :
لا أحد يخشاه .
عالياً يستعرض أطلس
العالم على كتفيه .

قصائد أخرى

عيد الميلاد

يولد إلهٌ . يموت آخرون .
الحقيقة لا تأتي ولا تمضى .
الخطأ يتبدل .
الآن لدينا خلود آخر .
لكنّ الذى مضى كان الأفضل دوماً .

العلم أعمى يحرق تربة عقيمة .
والإيمان ، بجنون يحيا الحلم فى عبادته .
كل إلهٍ جديد هو لفظة فحسب .
لاتبحث . لاتؤمن . محجوبة هى الأشياء كلها .



فى ذاتى أوجد ، بعيداً عنى ،
أوجد بمعزلٍ عمَّن أكون وعن الظلِّ
وعن الحركة التى بها أتشكل .



عدم وجود إله هو بذاته إله ..
ما أقلُّ ما تدومين : أيتها النوسطالجيا الخالدة .



أنامُ . أأعودُ أم أنتظر ؟
لا أدرى . آخرَ كنتُ
بين ما أنا إياه وما أبغيه
بين ما أكون وما كنتُ .



طبيعة شاسعة متنوعة
طبيعة كثيفة حينما
من فُسْحَةٍ ضوء تمرُّ الغيوم .
فى الوقفات المهيبة
للطبيعة
تصبحُ ديوكٌ مهيبة .



لَقَدْ ذَهَبَتِ الشَّمْسُ رَأْسُكَ الْأَشْقَرُ .
مَيِّتَةٌ أَنْتَ . وَأَنَا حَيٌّ
ما زال هناك عالم وفجر .



كذلك انفعالاتى

هى أشياء تحدث لى



أريدُ ، سيكونُ لدى ،

ليس هنا ،

فى مكان آخر لا أعرفه .

لم أخسر شيئاً .

كُلُّ شئٍ ساكون .



أيها المصباح الساكن الضئيل

ماضيئك ومايمنحنى النور ،

يظلُّ ينوس

بين من كنتُ ومن أكون .

سونيتاتان

لقبر كريستيان روسنكرويتز

I

أثناء استيقاظنا من حلم الحياة
سنعرف من نحن ، ونعرف
حقيقة السقوط في الجسد ،
والسقوط في الليل الذي حبس رُوحنا .

هل سنعرف الحقيقة كلها ،
بعدئذ ، حقيقة الكينونة كلها ،
السكون السيّال ؟
كلا : لا الروحُ ، وقد صارت حرّةً ومعروفةً ،
ولا الإله ، خالقنا ، يحتويانها في ذاتيهما .

الله مخلوق من إله آخر أكبر منه :
هو أيضا عرف السقوط ، آدم أعلى كان ،
وعلى الرغم من أنه خالقٌ فقد كان بدوره مخلوقاً ؛
من أجله ماتت الحقيقة ...
لقد حَرَمَها ، ما هو أبعد من روحه ، حَرَمَها
الجحيم :
في هذا العالم تتجسّد ، هنا يوجد جسدها .

II

هنا . تائهون لا واقعيون
نحلم بالحقيقة وبما نحن إياها نحلم
لو رأيناها نياماً ، فمُجَرّد حلم تكون
لا الحقيقة ، بل صورتها وحسب ما نراه
ظلال تبحث عن جَسَدٍ نحن ،
لو عثرنا عليه كيف سنحسُّ كينونته
وكيف نتلمّسه ؟
ظلال ، أيادي ظلال ؟ نلمس ماذا ؟
الفراغ نلمسُ ، الغياب .

من يعتقنا من هذه الروح المقفلة ؟
من الصالة المجاورة ،
نُصغى إلى الكينونة ، لكنْ لانراها .
من سيفتح الباب ؟ ..
... هادئاً فى ميّته الزائفة أمامنا
الأب روسكروث العارف الصموت ،
بالكتاب مغلقاً فوق صدره المهيّب .

ألبرطو كا ييرو

Alberto Caeiro DA Silva

ولد فى لشبونة يوم 16 أبريل 1889 ، ومات
مسلولاً فى لشبونة أيضاً ، عام 1985 .

أمضى الشطر الأكبر من سنواته السبع والعشرين
فى ضيعة صغيرة واقعة على ضفة المجرى السفلى لنهر
التاج ، قرب العاصمة . وقد أمكنه ، بفضل إيرادات
متواضعة ، أن يتفرغ ، فى عزلة كاملة ، لتأمل الطبيعة ،
مهووساً عبر نثرية أشعاره « ببساطة » و « طبيعياً » كل
تلك الأشياء التى « يراها الإنسان ولا يراها » . قائلاً عن
نفسه : « لستُ بشاعر : أنا فحسبُ أرى » .

تلامذته - ريس ، كامپوس ، ياشيكو . أنطونيو
مورا ، وبيسوا أيضاً - يعتبرونه « شاعراً طبيعياً » .
بيسوا يؤكّد عَدَمَ تلقّيه لأى تكوين دراسى لامتوسط
ولا عال ، ويقول عنه : « إنه يكتب البرتغالية بشكل سيء » .

أما ريس فيصفه بالأمية ، ومع ذلك ، وكما يشير
أرنالدو سراقيا فقد قرأ ، دون أدنى شك ، الشعراء

الرعيين ، كما قرأ فرجيل (رغم نفيه لذلك في إحدى قصائده) مع فلاسفة متباينى المذهب ، إضافة إلى ثيساريو بيردى وحتى ويتمان (حسب إدواردو لورنسو) .

عملياً لا توجد أية معلومات بيوغرافية عن كاييرو ، « قصائده هى كل حياته » حسب ريكاردو ريبس صديقه المفضل . أما ألبارودى كامپوس الذى كان مقيماً حينئذ فى إنجلترا فيشير إلى أن المعلم كاييرو قد وجد نفسه وحيداً أيضاً ساعة موته : فريبس كان قد عاد إلى البرازيل ، وبيسوا كان فى لشبونة « كمن لم يكن موجوداً : يُحس الأشياء بدون أن يتحرك ، ولا حتى من الداخل » .

يتكوّن الأثر الشعرى لألبرطو كاييرو من ديوانين صغيرين : « راعى القطيع » و « الراعى العاشق » ، المؤرخين من طرف الشاعر مابين 1911 و 1914 . وإن كانا قد كُتبا فى الواقع طوال 1914 - 1915 ، بالإضافة إلى مجموعة متفرقة من الأشعار التى تولّى ريبس ضمّها من بعد تحت عنوان « قصائد غير متجانسة »^(١) .

(١) بعض هذه القصائد مؤرخ بعد وفاة صاحبها مما فاجأ

العديد من النقاد .

مرحى ، براعى القطيع

ماذا تَقُولُ لك الريح

عند هبوبها

هناك جنب الطريق

إنها الريح التى تمرُّ

ولطالما مرَّت من قبل

وعليها أن تمرَّ من بعد

وأنت

ماذا قالت الريح لك أنت ؟

أشياء كثيرة تقولها

الريح لى

تكلمنى عن أشياء أخرى كثيرة
عن ذواكر ونوسطالجيات*
وعن أشياء لم توجد قط

« أنت لم تسمع البتّة مرور الريح .
الريح إنما تتحدث فحسب عن الريح .
محض كذب كُـلُّ ما سمعتَ من حديث .
والكذب فيك أنت بالذات » .

* ترجمة غير دقيقة لفردة لا توجد إلا في البرتغالية هي :
Saudodes . بعضهم يترجمها خطأ بـ « سوداوية » الأفضل الإبقاء على
نوسطالجية الأقرب دلاليّاً وإيحائيّاً إليها .

رعاة فرجيل يعزفون على الناي وأشياء أخرى

وينشدون أغاني أدبية عن الحب

(عَدَا هَذَا ، أَنَا لَمْ أَقْرَأْ فَرَجِيلَ .

لِمَاذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقْرَأَهُ ؟)

لَكِنَّ رَاعَةَ فَرَجِيلَ ، الْمَسَاكِينَ ، هُمْ فَرَجِيلَ ذَاتَهُ

أَمَّا الطَّبِيعَةُ فَجَمِيلَةٌ عَلَى الدَّوَامِ وَقَدِيمَةٌ .

خفيفة ، خفيفة ، خفيفة جداً

ريح خفيفة جداً تهبُّ
ثم تمرُّ ، دائماً خفيفة جداً
وأنا لا أعرف فيم أفكر
ولا أسعى إلى أن أعرف .

أحياناً ، فى أيام النور الكامل والصحيح

عندما تملك الأشياء كل الواقعية التى تستطيع
امتلاكها ،

أتساءل على غير عجلة ؛
لِمَ لا أعزُّو حتى الجمال
للأشياء .

أو تملك الوردية ، بالمصادفة جمالاً ؟
والثمرة ، أجميلة هى مصادفة ؟
كلاً ، إنَّ لها وجوداً وشكلاً
ولوناً فحسب .

الجمال هو اسم شئ لا وجود له ،
وهو ما أمتحه أنا للأشياء مقابل ما تمنحنيهِ من
بهجة .

الجمال لا يعنى أيُّ شئٍ.

لماذا إذن أقول عن الأشياء إنها جميلة ؟

أجلُ ، حتى أنا الذى أحيا فقط من فعل الحياة ذاته ،

لَا مَرْتِيَّةٌ تَأْتِي لِلْقَائِي أَكَاذِيبَ الْإِنْسَانِ

تُجَاهَ الْأَشْيَاءِ ،

تُجَاهَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ فَحَسَبَ فِي حَالَةٍ وَجُودٍ .

مَا أَصْعَبُ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ ذَاتَكَ وَالْأُتْرَى كُلُّ مَا هُوَ

مَرْتِي !

هناك شعراء صنّاع

ويشتغلون على الأشعار
كما يشتغل النجار على الطااولات .
كم هو حزين ألا نعرف الأزهار !
ثم إنَّ عليهم أن يَضَعُوا البيت فوق البيت ،
كَمَن يَشِيدُ جداراً ،
وأن ينظروا إلى ما هو جيّد ، كي ينتزعوا الرديء ،
بينما المكان الوحيد المصنوع هو الأرض برمتها ،
وهي دوماً جيّدة ، وإن تغيرت ، هي ذاتها على
الدوام ..

لا أفكّر في هذا كَمَن يفكّر ، بل كَمَن يتنفّسُ ،
وأنظر إلى الأزهار ، فأبتسم ..
لست أدري إن كانت تفهمنى

أو كنت أفهمها

لكننى أعرف أن الحقيقة كامنة فيها وفى ،

وفى ألوهيتنا المشتركة ،

ألوهية أن نُسَلِّمَ أنفسنا للحياة عبر بقاع الأرض ،

أن ندع أنفسنا نُحْمَلْ على الأذرع عبر المحطّات

المبتهجة

أن ندع الهواء يَنُومُنَا مُغْنِيًا ،

والأ نمتلك أيّ أحلام لنا فى منامنا .

مثل لطخة هائلة لنارِ قذرة

الشمس الغاربة تتباطأ خلف الغيوم المتبقية ،
فى الهدوء الشامل للمساء صَفِيرٌ مُبْهِمٌ يَأْتِي مِنْ
الأقصى
صَفِيرِ قِطَارٍ بَعِيدٍ رُبَّمَا .

نوسطالجية مبهمة تحملها هذه الهنيهة إلى
نُمت رغبةً هادئةً
تظهر نُمَّ تختفى .

يحدث أيضاً أن تتشكَّل لزهرة جَدُولٍ
أحياناً فقاعاتٌ من ماء
تَتَوَالَدُ وتتلاشى
بدون أن يكون لها أىُّ معنى

عَدَا أَنَّهَا فُقَاعَاتٌ مِنْ مَاءٍ .
تَتَوَالَدُ ثُمَّ تَتَلَاشَى .

ثمت الكثير من التفكير الميتافيزيقى

تمت الكثير من التفكير الميتافيزيقى
فى انعدام التفكير فى أى شىء .

ماهى الفكرة التى لدى عن العالم ؟
ماذا أعرف أنا عما لدى من أفكار عن العالم ؟
سأفكر فى هذا كله
عندما أسقط مريضاً .

أية فكرة عن الأشياء لدى ؟
أى تصور عن النتائج والأسباب ؟
ماذا عن تأملاتى حول الله والروح
وخلق العالم ؟
لست أدرى .

التفكير في أمور كهذه معناه
عندي أن أغمض عيني وألاً أفكر في أي شيء
وأن أسدل الستائر على نافذتي
(التي لاستائر لها)
سرُّ الأشياء ؟ أَللأشياء سرٌّ ؟
مِنْ أين لي أن أعرف ماهو السر ؟
السرُّ الوحيد هو أن أحداً ما يفكر
في وجودِ سرٍّ .

أما من يقبع تحت الشمس مغمضاً عينيه ،
فإنَّه يَكْفُ عن إدراك ماهية الشمس
مفكراً في أمور مُفَعمة حرارة ،
وإذ يفتح عينيه ويحدِّق في الشمس
لا يستطيع ، حينئذ ، أن يفكر في أيَّ شيء
لأنَّ نور الشمس أغلَى من أفكار
جميع الفلاسفة والشعراء .
نور الشمس لا يعي ما يفعل .
لذلك فهو لا يخطئ وهو عميم وكُّله خير .

هل للميتافيزيقا وجود ؟

أية ميتافيزيقا عند تلك الأشجار

فى أن تكون خضراء ووَارفة .

تُنبتُ أغصاناً وتَهَبُ الثُّمار فى حينها .

أو كُئِمت ميتافيزيقا أفضل مما لديها ؟

ألا تعرف لماذا تحيا وألا تعرف مالا تعرف ؟

« البنية الحميمة للأشياء ... »

« المعنى الحميم للكون ... »

بَاطِلٌ هذا كله وليس له معنى .

غير معقول أن يتم التفكير على هذا النحو .

لأنه شبيه بالتفكير فى العِلل والغايات

بينما الشمس مشرقة مع بداية الصباح

وعلى جوانب الأشجار تتوغَّلُ الظلال

فى اللون الذهبى المتكاسلِ الصقيل .

التفكير فى المعنى الحميم للأشياء

معناه الزيادة فى المعنى الحميم للأشياء
كَأَنَّ نَحْمَلَ إِلَى النَّبْعِ كَوْباً مِنْ مَاءٍ ،
المعنى الحميم الوحيد للأشياء
هو عدم امتلاكها لأى معنى حميم على الإطلاق .

لَا أَوْ مِنْ بِاللَّهِ لِأَنْنَى لَمْ أَرَهُ قَطُّ .
إِنْ كَانَ يَرْغَبُ فِي أَنْ أَوْ مِنْ بِهِ ، فَسَيَأْتِي ، وَلَا شَكَّ ،
للتحدث معى ،

وإذ يجتاز الباب للدخول إلى
المنزل سيقول : ها آنذا .

(أحياناً يكون لهذا كله وَقَعٌ مُضْحِكٌ
فى آذان أولئك الذين ، بسبب جهلهم بماهية النظر
لا يفهمون من يتحدث عن الأشياء
بالطريقة التى تجعلنا نتعلم عندما نمعن فيها
النظر ..)

لكن إذا كان الله هو الأزهار والشجر
الجبال ، الشمس والقمر

فَأَنَا إِذْنُ مُؤْمِنٍ بِهِ
مُؤْمِنٍ بِهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَكُلِّ حَيَاتِي قُدَّاسٌ وَصَلَاةٌ لَهُ
كُلُّهَا اتِّصَالٌ مَعَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ .

لَكِنْ إِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ الشَّجَرُ وَالزَّهْرُ
الْجِبَالُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
فَلِمَاذَا أَدْعُوهُ اللَّهُ ؟
لِمَ لَا أَسْمِيهِ زَهْرًا ، أَشْجَارًا ، جِبَالًا
وَقَمَرًا وَشَمْسًا .

إِذَا كَانَ مَوْجُودًا كَيْ أَرَاهُ شَمْسًا وَقَمَرًا ،
أَزْهَارًا ، جِبَالًا ، أَشْجَارًا ،
وَإِذَا كَانَ قَدْ تَعَيَّنَ لِي كَذَلِكَ
فَلِأَنَّهُ أَرَادَنِي أَنْ أَتَعَرَّفَهُ بِاعْتِبَارِهِ
جِبَالًا ، شَجَرَةً ، قَمَرًا ، شَمْسًا وَزَهْرًا .
وَلِذَلِكَ ، فَأَنَا خَاضِعٌ لَهُ .
مَاذَا أَعْرِفُ أَنَا عَنْ اللَّهِ ؟
« أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ ؟ »

خاضع له ، بعفوية ، أعيش حياتي
كمن يفتح عينيه لينظر بهما .
وأسميه القمر ، الشمس ، الأزهار والأشجار
والجبال .
وأحبه بدون أن أفكر فيه .
وأفكر فيه ببصري وسمعي ،
ومعه أمضى في كل الأوقات .

أمس مساء

كان أحد ساكنة المدن
يتحدّث بباب الفندق
معى تحدّث أيضاً

عن العدالة تحدّث ، عن الكفاح من أجل العدالة
عن العمّال الذين يكابدون ،
عن العمل المتواصل الشاق ، عمّن يتضوّرون
جوعاً ،
تحدّث عن الأغنياء الذين يديرون ظهورهم
لهذا كله .

حينما استدار نحوي ناظراً إلى الدموع فى عيني
تبسّم ، ظاناً أننى أشعر بنفس مايشعر به من حقد

وبالشفقة نفسها التي يحسبُ أنه يشعر بها .

بالكاد كنتُ أصغى إليه !

ماذا يَعْنِينِي أنا من أمر الناس

وما يعانونه أو ما يَخَالُونَ أنهم مُعانونه ؟

لو كانوا مثلي لما عَانُوا من شيء .

كل كوارث الدنيا تأتي

من تعذيب بعضنا للبعض

بنيّة فعل الخير أو نيّة فعل الشر .

أنا حسبي نفسي

حسبي الأرض والسماء

أن أَرغب فيما هو أكثر

معناه أن أفقد كل هذا المُتاح لي

معناه التعاسة الأكيدة .

في الحقيقة ، كنت مستغرقاً في التفكير ، بينما

ساكن المدينة يتحدث ، (وهو ما دفعني

إلى التأثُّر حتى البكاء) ..
فى أَنَّ صَوْتَ أَجْرَاسِ الْقَطْعَانِ النَّائِي
لَا يَشْبِهْ ، فى هَذِهِ الْعَشِيَّةِ بِالذَّاتِ ،
أَجْرَاسِ تِلْكَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي تُصِيحُ السَّمْعَ
لِقُدَّاسِهَا الزَّهَوْرُ وَالْقَطْعَانُ
وَالْأَوْرَاحَ السَّادِجَةِ الشَّبِيهَةِ بِرُوحِي .
لِأَحْمَدِ اللَّهِ عَلَى أَتْنِي لَسْتُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ
لَأَنَّ أَنَا بِنَايَ طَبِيعِيَّةٍ ،
هِيَ أَنَا الزَّهَوْرُ وَالْأَنْهَارُ الَّتِي تَوَاصَلَ سَيْرُهَا
مَنْشَغَلَةٌ ، بِدُونِ أَنْ تَدْرِي ،
بِالْأَزْهَارِ وَالْجُرَيَّانِ فَحَسَبِ ،
تِلْكَ هِيَ وَظِيفَةُ الْوُجُودِ الْوَحِيدَةِ .
الْوُجُودِ الْمَحْضِ .
مِمَارَسَةُ الْوُجُودِ بِدُونِ تَفْكِيرٍ فِى الْوُجُودِ .

سرُّ الأشياء

أين يُوجد هذا السرُّ ؟

لو يظهر ، لنا نحن ، بالأقل ،
على أنه سرٌّ .

والنهر ؟ ماذا يعرفه النهر عن هذا ؟

ماذا تعرف الشجرة ؟

وأنا الذى لستُ خيراً منهما

ماذا أعرف ؟

حينما أنظر إلى الأشياء أضحك باستمرار

مفكراً فيما يفكر الناس بشأنها

أضحك بصوت النهر بارداً

يسيلُ على الحصى .

المعنى السري الوحيد للأشياء
هو أنَّها خالية من أى معنى سري

« المعنى الخفى » هو أغرب من كل غريب
أغرب من أحلام الشعراء
ومن أفكار الفلاسفة
ذلك أنَّ الأشياء فى الواقع
هى فحسب ما هى عليه
وهى لا تنطوى على أى موضوع للفهم .

بهذه الطريقة أو تلك

بمهارة أو بدون مهارة ، أكتب
قائلاً ، ما أفكر فيه أحياناً ،
بينَ بين أحياناً أخرى وبدناءة ،
أكتب ، لا إرادياً ، أشعاري
كما لو كانت الكتابة فعلاً مُكوّناً من حركات ،
كما لو كانت الكتابة فعلاً لصيقاً بي ،
كتعريض لنور الشمس أثناء خروجي .
أسعى إلى ترجمة إحساسي
بدون تفكير فيما أحس ،
أسعى إلى إنجاب الكلمات عبر التفكير
بدون استخدام لتيّار التفكير في الكلمات .
لا أتوصل دائماً إلى الإحساس

بما عَلَى أن أحسّه
هُوَ ذَا تفكيرى ، بعد تطواف طويل ،
ساحباً يقطع النهر ،
مثقلاً بالثياب التى كسّاهُ البشر بها .

أسعى إلى التجرّد ممّا تعلّمت ،
إلى نسيان نمط التذكّر الذى علّمُونيه ،
إلى محو الحبر الذى به دَهَنُوا أحاسيسى ،
إلى تحرير انفعالاتى الحقّة أسعى
إلى أن أتصفّى وأكون أنا - لا ألبرطوكاييرو ،
بل ذلك الحيوان الإنسانى ، نتاج الطبيعة .
هكذا أوصل الكتابة ،
أريد الإحساس بالطبيعة
لأَكْمَأُ أحس بها كإنسان
بل على نحو طبيعى خالص ، ليس غير .

هكذا أكتب ، بشكل جيّد أو ردىء ،
مصيباً فيما يسعى إليه قولى

أو مخطئاً ، أتعثّر هنا . أنهض هناك ،
مواصلاً طريقى ، طريق أعمى عنيد .

حتى بهذه الطريقة أنا أحد ما :

أنا مكتشف الطبيعة

وأرغون الأحاسيس الصحيحة ،

أهَبُّ الكون كوناً جديداً ،

لأننى أهَبُّ كونه الطبيعى .

هذا ما أحسه وأكتبه

مُدركاً ، بوضوح ، وبدون حاجة إلى استخدام
النظر ،

أنها الخامسة صباحاً ،

وأنَّ الشمس لم تَرَفَعْ بَعْدَ هَامَتِّهَا

فوق جدار الأفق ،

وإن كانت رؤوس أصابعها ، تظهر اللحظة ،

ممسكةً بحافة الجدار الأفقى المكتظ بالجبال
الخفيضة .

من أعلى نافذة فى منزلى

أُلَوِّحُ بمنديل الوداع لأشعارى
وهى فى طريقها إلى الناس .

لست بالفرحان ولا بالحزين
هذا هو مصير الأشعار .
لقد كتبتها وعلىَّ أنْ أعرضها للجميع .
لا تُوجَدُ طريقة أخرى ،
فلا الوردة قادرةٌ على إخفاء لونها
ولا النهر مجراهُ
ولا الشجرة ثمارها .

لقد ابتعدت الآن أشعارى
مثل عربة كبيرة ،

وأنا بغير إرادة
منى أشعر بالحزن
كما لو أنَّ الجَسَدَ يؤلّنى .
من سيقراً أشعاري ؟
صوب أيّة أيدٍ ستّجّه ؟
زهرةٌ أنا قطفونى من أجل مُتعة الأعين
شجرةٌ نَزَعُوا ثمارَها للأفواه
نهرٌ أنا وَقَدَرُ مياهِى أن تُفارقنى ،
مقهور ، ومع ذلك ، تقريبا ، مسرور
كَمَنْ أَضْجَرْتُهُ دَيْمُومَةً حزنه .

لقد ذهبْتُ
ذهبْتُ تماماً ، هكذا ...
تذهب الشجرة ثم تبقى منتشرة فى الأرض
تذوى الزهرة فيمكث سَحِيقُها على الدوام
يوغل النهر فى البحر ومياهاه دوماً هى نفس المياها .
وأنا ذاهب وسوف أبقى ،
ذاهب ، مثلما الكون ، لأبقى .

أدخل ثم أغلق النافذة

يأتون بشمعة إلى قائلين : ليلة سعيدة .
صوتى مبتهج بهذه الليالى الرائقة .
ليت حياتى هكذا على الدوام :
النهار مشمسا كان أم ناعم المطر
أو حتى بإعصار نهاية العالم ،
المساء العذب والشرائط التى تتألى
متفحصةً عبر النافذة .
المنظرة الصديقة الأخيرة للشجرة الساكنة .
وبعد ... إغلاق النافذة ، فايقاد الشمعة
لاقراءة ، لالنوم ، لاتفكير فى شئ ،
وحده الإحساس
بسريان الحياة بداخلى مثل قاع نهر .
وفى الخارج سكون هائل شبيه بإله نائم .

تقول : أنت أكبر من حجر أو نبات

تقول إنك تحس وتفكر وتعرف
إنك تفكر وتحس .

إذن ، أفيكُتِب الحجر قصائد ؟
أَلَدَى النبات أَفْكَارٌ عن العالم ؟

أَجَلٌ ، ثَمَّة فرق .

لا الفرقَ الذى تحسبُ أنتَ :

امتلاكى لوعى ما ، لا يجبرنى على امتلاك
تصورات عن الأشياء :

بل يجبرنى فحسب على أن أكون واعياً .

أأنا أكبر من صخرة أو نبات ؟

لست أدري . أنا مختلف ، أَجَلٌ ،

ولست أدري أفي هذا ما هو أعلى أو أدنى .
هل امتلاك الوعي أرفع من امتلاك اللون ؟
أحياناً ، نعم ، أحياناً ، لا .
أعرف فقط أن هذا مختلف ، مختلف وحسب ،
ما من أحد بقادرٍ على البرهنة
على ما هو أكثر .

أعلم أن الحجر واقعي
وأنّ النبات موجود ، وهذا لأنهما معاً موجودان
بالفعل

أعلم لأنّ حواسي تقول ذلك .

أعرف أيضاً أنني موجود .
أعرف ذلك لأنّ حواسي تقول لي
وإن كانت تقول ذلك بدرجة وضوح أقل
مما عن الحجر والنبات .
هذا كل ما أعرف .

أجل ، أنا أكتب قصائد ، أمّا الحجر فلا ،

أنا أملك أفكاراً عن العالم لا يملكها النبات .

بيد أن الأحجار لسنِ بشاعراتٍ :

الأحجار أحجار ،

والنباتات ليست عقولاً مفكرة

بل نباتاتٌ وحسب ،

فهل أقول بسبب هذا إننى أرفع منهنّ مرتبة ؟

بإمكانى أن أقول العكس كذلك .

غير أننى لا أقول هذا ولا ذاك .

أقولُ عن الحجر : إنّه حجر

وعن النبات : إنه نبات

وأقول عن نفسى : كائن ، لا أكثر .

هل يمكن أن يُقال ما هو أكثر ؟

كلّ يوم أكتشف واقع الأشياء المرعب:

كل شيء هو ماهو .

كم يبدو صعباً أن يُقال هذا :

كَمْ يَسْرُنِي ، كَمْ يَكْفِينِي .

لأكون كاملاً

حسبي أن أوجد .

كتبتُ قصائد كثيرة

وعلىَّ بالطبع أن أكتب أخرى
كلُّ قصيدة لي تقول الشيء نفسه
كل قصيدة لي هي شيء مختلف .
كل شيء هو طريقة مختلفة لقول نفس الشيء .

أحياناً أرى حجراً .
أعرف أنه لا يُحسُّ
لا أغالط إذ أدعوه أخى
وأحبه لأنه حجر ،
أحبه لعدم إحساسه ، لعدم شَبَهه بى .

أحياناً أصغى لهبوب الريح

أحسُّ أنَّ لي قيمةً لأنَّني وُلدتُ
فقط لأصغى إلى هبوب الريح .
لا أعرف ما سيفكر فيه الآخرون
عندما يقرؤون هذا .
أعتقد أنَّه ينبغي أن يكون جيداً
لأنَّ تفكيرى فيه يتمُّ بدون جهد ؛
أفكر فيه بدون تفكير فى أنَّ آخرين
سوف يقرؤون تفكيرى ،
بدون أفكار أفكره ،
مثلما تقوله كلماتى أقوله .

ذات مرّة لقبوني بشاعر المادة

فوجئت تماماً : لم يسبق لى التفكير البتّة
فى إمكان منحهم إياى هذا اللقب أو ذاك ،
لست حتى شاعراً ... ؛ أنظر فحسب .
إذا كان لما أكتب قيمة . فالقيمة ليست لى .
القيمة موجودة هناك ، فى أشعارى .
وهى كلّها مستقلّة مطلقاً عن إرادتى .

لوفجأة متُّ

بدون أن أتمكّن من نشر أى كتاب ،
دون أن أرى المظهر الذى ستتخذه
أشعارى بحروف مطبوعة .
أتوسّل إليها ألا تغتمّ ،
إن كانت ستغتمّ بسبب هذا ،
لَوْ فعلتُ ذلك ، فهو ما ينبغى أن تفعل .

حتّى لو لم يطبعْ أشعارى أحد .
فسيكُونُ لها حظُّها من الجمال ،
إن كانت جميلة .

لا بدُّ أن تُنشر إن كانت جميلة ،
فالجذور تحت الأرض تحيا ،

لكن الأزهار مخلوقة للهواء الطلق ولكل الأنظار .

هكذا هي ، مامن أحد قادر

على جعلها غير ما هي .

لَوْ فجأةً متُّ ، فلتستمعوا إلى هذا :

ما كنتُ إلا طفلاً كان يلهو

وَتَنِيًّا كنتُ كَمَا الشمس والماء ،

على الدين الذي وحدهم البشر يجهلونه .

سعيداً غادرتُ لأنني لم أطلب شيئاً

ولا بحثتُ عن شيء ،

ولا عثرتُ على شيء عداً

أن لفظة تَفْسِير لا تُفسّر شيئاً .

رغبتى كانت أن أمكث قبالة الشمس

أو تحت المطر .

قبالة الشمس حينما تشرق الشمس .

تحت المطر حينما تمطر السماء .

(ليس أبداً على غير هذا النحو)

أن أحسَّ بحرارة وبردٍ وريح

والأأمضى إلى ما هو أبعد .

لو أرادوا كتابة سيرتى

بعد موتى فليس ثمة ما هو أسهل :

يوجد يومان - يوم ميلادى ويوم وفاتى -
كُلُّ ما بينهما مِنْ أَيَّامٍ لَا يَخُصُّ أَحَدًا سِوَايَ .

من السهولة بمكان التعريف بى ،

لقد عشتُ عيشةً فاني ،

بلا عاطفية أحببتُ الأشياء

لَمْ تكن لَدَيَّ رغبات غير قابلة للتحقيق .

لم تَعْمَ بصيرتى .

والسمع لَدَيَّ كان رفيقاً للنظر .

أدركتُ أَنَّ الأشياء واقعية ومختلفة .

بالعين لا بالتفكير .
إدراكها بالفكر مَعْنَاهُ جعلها متماثلة .

ذَاتَ يَوْمٍ حَلَّ بِي النُّومُ كَأَيِّ مَخْلُوقٍ .
أَغْمَضْتُ عَيْنِي مُسْتَغْرِقًا فِي الْكَرَى .
عَدَا هَذَا كُنْتُ شَاعِرَ الطَّبِيعَةِ الْأَوْحَدِ .

ريكاردو ريس

Ricosdo Ries

وُلِدَ في أوپرطو في 19 نوفمبر 1887 . ويُجهل تاريخ وفاته درس في ثانوية يسوعية . ثم تفرغ فيما بعد لدراسة فقه اللغة الكلاسيكية مع متابعة دراسة الطب ؛ حيث تخرج منها دكتوراً ممارساً حسب البعض - عندما تعرّف عليه كاييرو وكامپوس كان طبيباً شاباً منكباً على الشعر ومهتماً بمسائل مُتّصلة بنظرية الأدب .

معتقداته الملكية جرّت عليه مضايقات كثيرة اضطر معها إلى اللجوء إلى المنفى الاختياري في البرازيل ، إبتداءً من 1919 قام بعدّة أسفار إلى البرتغال جدّد فيها الاتصال بصديقه القديم ألبارودي كامپوس ، مع احتفاظه بصداقة حميمة مع كاييرو معلمه في الأدب . لم يتعرّف على فرناندو پيسوا شخصياً .

يمثل ريس بالنسبة إلى پيسوا شاعر « التربية الذهنية » المدبّرة « بموسيقى شخصية » مع نوع من

« النقاء اللغوى المفرط » .

أما كامبوس فيرى أنَّ تركيباته الكلاسيكية تعكس
هوس الشاعر من أجل البقاء دائماً فى أعلى مستويات
الشعر ، وأنَّ التعبير شعرياً من موقع « العلو » ينتج
شعراً منغلِقاً فى « فضاء الذُّرى المختزل » . وفى موضع
آخر يعيب على ريبس كونه يرغم أحاسيسه على أن
تُدسَّ فى أبياتٍ من ستَّة أو سبعة مقاطع . وإن كان يرى
فيه ، رغم هذا ، « شاعراً كبيراً – إن كان يوجد فى هذا
العالم شعراء خارج صمت قلوبهم » .

إنَّ القصيدة بالنسبة إليه « هى موسيقى نصنعها
بالأفكار ، أى بالكلمات تبعاً لذلك ، كلما كانت أكثر برودة
كانت أكثر صدقاً » .

يتكوَّن الأثر الشعرى للدكتور ريبس من 727
نشيداً أغلبها قصير . الأول مؤرَّخ فى يونيو 1914 وهو
مُهدى لمعلمه كاييرو .

أما الأخير ففي 23 نوفمبر 1935 ، أيام قلائل قبل
موت فرناندو بيسوا يقول فيه : (مازلت على قيد
الحياة / غير مكترث بأحد أنا من يجبر الجميع على
الصمت : أنا الذى يتكلم) .

أحب ورود حديقة أدونيس

أحب تلك الورد المتقلبة ، ورود ليديا .
فى اليوم نفسه الذى
تولد فيه تموت :
نور خالد نهارها ، به تتألق ، وفيه تحترق .
وقبل أن تختفى عربة أيولو المجنحة
تموتُ .
لنجعل من ليديا حياتنا ، حياة يوم واحد .
لِنَتَنَاسَ أَنَّ اللَّيْلَ
مَوْجُودٌ قَبْلَ وَبَعْدَ الْقَلِيلِ مِنْ
الزَّمَنِ الَّذِى نَدُومُهُ .

أنا لا أغنى الليل

ففيه يتوقّف غنائى .
الشمس أغنى .
لا أتجاهل ما أنساه
من أجل نسيانه أغنى .
لو كان بإمكانى خارج الحلم ،
إيقاف عدو الشمس ، لو أمكننى
أن أتعرّف ذاتى
مجنوناً ، توأماً
للساعة الخالدة .

لَا التَّذَكُّرُ أَرِيدُ

وَلَا تَعْرِفَ ذَاتِي .
حَسْبِيَ أَنْ أَرَى مَا نَحْنُ إِيَّاهُ .
مِنْ أَجْلِ أَنْ نَعِيشَ
حَسْبُنَا أَنْ نَجْهَلَ أَنَّنَا نَعِيشُ
مِنْحِيَّاهُ مَعَنَا يَعِيشُ كُلُّ لَحْظَةٍ
وَإِذَا نَعِيشُهُ ، مَعَنَا يَمُوتُ :
حِينَما يَمُرُّ ، نَعْلَمُ
أَنَّنَا الَّذِينَ نَمُضِي .
بِدُونَ قُدْرَةٍ ، مَعْرِفَتِنَا لِأَشْيَاءٍ .
الْحَيَاةُ الْأَفْضَلُ هِيَ
تِلْكَ الَّتِي تَمُرُّ بِدُونَ أَنْ تَقَاسَ .

آلهة تمرُّ ، مخلصون إلهيون

تمرُّ أحلامٌ مُخلّصة بدورها :
الأرض هامة قاسية .
لا آلهة أريد ، ولا مخلصين ،
ولا مُثلاً باطلة بورودها : مالدئ
يكفى ، ماذا أريد أكثر ؟

أن تكون كبيراً هو أن تكون كاملاً :

لا تُبالغ ، لن تستطيع شيئاً .
كاملاً في كل شيء : هو كونك أيضاً ،
كبيراً ، فيما هو صغير .
هكذا القمر كُله ، في كل بحيرة ،
يَسْطَع : حياً في العلوّ .

لا أطلب من الآلهة

سوى أن يهبونى ألا أطلب منهم شيئاً .
عبودية هى السعادة .
نيرٌ هو الحظ :

مُضْطَهَّدٌ هُوَ كُلُّ يَقِينٍ .
لا ساكن ولا متحرِّكٌ ، معلق فى مَوْجَةِ الزمن ،
لتكن كينونتى متطابقة مع ذاتها .

ليديا : جاهلون . غرباء نحن

هناك حيث نطأ الأرض

ليديا : جاهلون . غرباء نحن
هناك حيث نموت .

الكل غريب ويتكلم لغة غريبة .
ضد الشتيمة والضجيج
نصنع من ذواتنا صومعة .
الحب . ما الذي يريده أكثر ؟
بيت قربان مقدس من أجلنا .

يحييا بلا ساعات

إذا ما قيس ثقلُ
وهو يُقاس كُلمًا فُكْر .

فى جريانه الملتبس ، مثل النهر ،
موجائه هى ذاته . أنتَ
تَنظُر إليه وهو يَمُرُّ وأثناء
النظر يَصْمُت .

الأزهار التي أقطعها أو أبقيتها

لا أُغَيِّرُ مُصِيرَهَا .

وإصلة هي الطريق التي أتابعها ،
وَلَوْ لَمْ أُوْصِلْهَا .

لَسْنَا بِشَيْءٍ ذِي وَزْنٍ ،
بَاطِلٌ مَا نَحْنُ إِيَّاهُ .

يستطيع القدر أن يمنع عني كلُّ شيء

سوى أن أراه : رواقى بدون فضاظة .
حرفاً حرفاً ، سأتلذذ بالحكم
الذى حفره القدر .

لا أدري ممن جاءني تذكُّر ماضٍ
آخر كنتُ ، لا أكادُ أتعرف على ذاتي
عندما أستشعر مع روحى تلك الروح الغريبة
التي أتذكرها ساعتئذ .

من يومٍ لآخر ، سوف نهجر أنفسنا
لأشياء مؤكداً يربطنا بذواتنا
نحن هم ، من نحن الآن ؟
ماكنَّاه هو ما يرى من الداخل .

رعية لامجدية من كواكب مهيمنة

مثلى مسافرة ، بلا حب أو رغبة ،
فى سجن أنأى أحيا ، حياتى ملكى
لأننى هى ... لكن مع ذلك ، أتحرر
من تفكيرى محدقاً فى النجوم ،
سيّدات الأعلى ، المجبرات
على السطوع وعلى تركنا ننظر إليهن . شساعة
فارغة ، أبدية متصنّعة
(موزونة بالأعين !)
أينبغى أن توهب الحرية لمن لا يملكها ؟

تحت وصاية خفيفة

لآلهة لامباليين

أريد استهلاك الساعات الممنوحة ،
ساعاتي حتى وهي ساعات مقترضة .

إذا لم أكن قادراً على شيء
ضدَّ ما مَنَحُوهُ لى من كينونة
فليهبني القَدَر أنْفَتَه على الأقل :
السلم مقابل هذا المصير .

لا أريد الحقيقة
الحياة فقط أريد .
الآلهة يَهْبُون الحياة ،

لا يهبون الحقائق
ولا يعرفون ماهى الحقيقة .

تَوَجُّوني بالورد

تَوَجُّوني فعلاً بالورد .

بِوَرْدٍ يَنْطَفِئُ

على جبهةٍ سريعة الانطفاء :

حسبي أن

تَتَوَجُّوني بالورد

وبالأوراق القصيرة

حسبي .

بسرعة يمرُّ كلُّ ما يمرُّ

أمام الآلهة شابٌ يموت
كلُّ ما يموت . قليل هو كل شيء !
لا شيء يُعرف ، كل شيء يُتخيل .
طوّق بالورد ذاتك ، اعشق ، اشرب
واصمت . ماعدا ذلك لا شيء .

أنتم ، أيها المؤمنون بكل مسيح ومريم

يامن تعكرون مياه ينبوعى الصافية
من أجل أن تقولوا الى فقط
بأن هناك مياهاً أخرى .

مستحماً فى المروج فى أحسن الأوقات
لماذا تحدثوننى عن مناطق أخرى ،
إذا كانت مياه ومروج الهنا
تروقنى ؟

الآلهة منتحتنا هذا الواقع .
ولكى يكون واقعاً أجود منحنأه خارجياً .

ماذا يمكن لأحلامي أن تكون
سوى صنعة للآلهة .

دَعُوا لى واقعية هذه الهنيهة
دَعُوا لى آلهتى الهائئىن المباشرين
الذين يؤثرون الإقامة فى الوديان والمروج
على الأماكن الغامضة .
دعوا لى هذا المرور الوثنى بالحياة
مَصْحُوباً بالقرطمانات الرقيقة
التي من خلالها تُقدِّم أسلّات الضفاف
اعترافها للإله يان .

فلتَحْيُوا داخل أحلامكم
ولتَدْعُوا لى المذبح الخالد حيث عبادتى
حيث الحضور المنظور
لآلهتى الأقرباء .

يا ذوى التطلُّعات اللامجدية إلى ما هو أفضل من

الحياة ،

دَعُوا الحياة للمؤمنين الأكثرِ قِدْماً

من المسيح وصليبه

ومن مريم وبكائها .

سيرسة ، سيدة الحقول تُسلِّيني

وأبولو وفينوس ، وحتَّى أورانوس الشيخ هنا معي .

ألبارودي كامپوس

وُلد فى طابيرا Tavira ، الميناء البحرى لـ Algarve يوم 15 أكتوبر 1890 . لم يُعَيَّنْ يوم وفاته الذى لا ينبغى حتماً أن يكون سابقاً لشهر أكتوبر 1935 .

بين پيسوا وكامپوس ، انعقدت أواصر علاقة صداقة متينة ، إذ كثيراً ما خاطب الأول الثانى بعبارات ودية غير مألوفة لديه مثل « ولدى » و « صديقى المسكين التعس » . إن كامپوس هو الپيسوى الأكثر پيسوية من پيسوا .

بعد إتمامه دراسته الثانوية انتقل كامپوس إلى إنجلترا لدراسة الهندسة البحرية ، ثم عمل سنوات عديدة ، من بعد ، فى مؤسسة بناء السفن فى نيوكاستل . فى سنة 1934 عاد بصفة نهائية إلى لشبونة ليتفرغ للأدب بعدما تخلى عن مهنة الهندسة .

كان كامپوس خلافاً لأستأذه كاييرو وصديقه ريبس ، ميّالاً إلى التأثر بالظواهر والتقليعات الأدبية

لعصره . مهتماً بوجه خاص بالقضايا التي أثارَتها
الطليعة الأدبية (والتي لم يسايرها بدون شروط في أي
وقتٍ من الأوقات) .

كاميوس بالنسبة إلى ريبس « ناثِرٌ كبير ... مع علم
كبير بالإيقاع » « لأننى - يقول ريبس - لا أرى فرقاً
أساسياً بين الشعر والنثر » .

غير أن كاميوس - كبقية الأنداد - لم يحظ
بمقروئية واسعة في حياته بالرغم من الفضيحة التي
أثارها في عشرين من أعداد مجلة أورفى . وطوال العقد
العشرين اكتفى بنشر بضع قصائد في مجلات أدبية
أبرزها « المعاصر » . وفي بدايات الثلاثينات لم يكن
معترفاً به كشاعر كبير سوى من طرف دائرة محدودة
جداً من مثقفي مجلة « حضور » - غاسپار سيمويس ،
كسايس مونتيرو ، غيرمودى كاستيلو^(١) ، وكذا من
قبل بعض الجماعات الأدبية الصغيرة في لشبونة
وأبرطو ، فضلاً عن كاتبين وناقدين فرنسيين هما بيير
أوركاد وأرماند غيبر^(٢) الذي سيشرع ، فيما بعد ، في
ترجمة أعماله إلى الفرنسية .

(1) Gaspar Simões, Regio, Casais Monteiro,
Guilherme de Castilho .

(2) Pierre Hourcade, Armand Guilbert .

نشيد الظفر

على الضوء المؤلم لمصابيح المصنع الكهربائية
الضخمة أكتب محمومًا .

صاراً بأسناني أكتب ، مغتاضاً مثل وحش أمام كل
هذا الجمال ،

أمام كل هذا الجمال الذي لم يعرفه القدماء بقاتاً .

أوه ، أيتها العجلات ، التروس ، أيُّها الـ /- /- /-
الخالد التشنج الفظُّ المحبوس للآليات المهيَّجة !

المهيَّجة بداخلي وبخارجي ،

على امتداد أعصابي المحنَّطة ،

وكحلمات كل ذلك الذي أحسه

شفتاي تيبَّستا ، لفرط سَمَاعِكَ عن كَثْبٍ ،

أيها الضجيج الحداثي الهائل .

رأسي يتأجَّج اشتعالاً من أجل غنائكُنَّ

بِغُلُوِّ تَعْبِيرِيٍّ بِأَحَاسِيْسِي الْمَغَالِيَةِ كُلِّهَا
بِغُلُوِّ كُنَّ الْمَعَاصِرَ أَيْتَهَا الْمَاكِينَاتِ .

محموماً ، أنظر إلى المحركات كما لو إلى طبيعة
استوائية - مدارات إنسانية هائلة من حديد ونار وقوة -
أغنى ، وأغنى الحاضر ، وكذلك الماضي والمستقبل ،
لأن الحاضر هو كل الماضي وهو كل المستقبل .
وهناك أفلاطون وفرجيل بداخل الماكينات والأضواء
الكهربائية فقط لأن الزمن القديم موجود هناك .
وفرجيل وأفلاطون كأننا إنسانيين ، وثمة قطع
من الإسكندر المقدوني من القرن الخمسيني ربما ،
ذرات قد تُصاب بالحمى ذات يوم في دماغ
أسخيلوس القرن المئة
تسرى عبر أحزمة الاتصال اللاسلكى هذه ، وعبر
هذه الماكيس ، وعبر هذه المقاوِد
مزمجرة ، صارة ، مُفَرِّئَةً ، مُخَرِّمَةً ، مدوية
مُحْدِثَةً فى مداعبة مفرطة فى الجسد
بمداعبة مصنوعة فى الروح .

آه ، لو أستطيع التعبير تماماً كما يُعبرُ محرّك !

لو أكون مضبوطاً تماماً مثل آلة !

لو أستطيع الماضي ظافراً عبر الحياة

كسيارة من آخر موديل !

لو أستطيع أن أتشربَ هذا كله فيزيقياً بالأقل ،

أن أتمزق كلية ، أن أنحل تماماً ، أن أصير مساماً

لكافةً عطور الكربورات والحرارات وفُحوم

هذه الزهرة الفخمة ، السوداء ، الصناعية والشرهة .

متآخياً مع الديناميات كلها !

اهتياج مختلط جرّاء صيرورتى الجزء الوكيل

من الدوران الحديدى والكونى

للقطارات الباسلة ،

لنقل البضائع فى السفن ،

لدوران الروافع البطيئ والشّيق ،

للضّجة المؤدّبة للمصانع

ولما يكادُ يَكُونُ سكوناً هامساً ورتيباً لأحزمة

الاتصال الأسلكى .

ساعات أوربية منتجة مضغوطة

بين الماكينات والاندفاعات النافعة !
مُدُن كبرى راسية بحذاء المقاهى * ،
فى المقاهى - واحات اللامجدى الصاخب
حيث يتبلر ويترسب
ضجيج النافع وإشاراته ،
والعجلات ، والعجلات المسننة ، وحوامل التقدم !
منيرفا جديدة لاروح لها من أرصفة ومحطات !
حماسات جديدة بحجم اللحظة !
رافدات من صفيح حديد بأسم ترقد فى المرافى ،
أو تُرفع ، فجأة ، على الأسطح المائلة للموانى !
حركة دولية ، عابرة للمحيطات ،
! Canadian-pacific
أنوار وحمى ضائعة من زمن فى الحانات ، والفنادق ،
فى الـ Long Champs وفى الـ Ascots وفى الـ
Derbies ،
وتتوغل فى شوارع الأوبرا والإيكاديللى بمثابة
روح فى الداخل !

* يقصد السفن الضخمة الرأسية .

هى - لا الشوارع ، هى - لا الساحات ، هى - لا -
هو الجنون !

كل ما يمرُّ وما يتوقَّف أمام الواجهات !
تجار ، مُشرِّدون ، مخنثون ، متأنقون بإفراط فى
لباسهم ،

أعضاء معروفون فى نِوادٍ أرسقراطية ،
هيات ضامرة مربية ، أربابُ أسر سعداء على نحو
مبهم ،

وأبويون حتى من خلال السلسلة الذهبية
التي تعبر صدريتهم من جيب إلى جيب !
كل ما يمرُّ ، كلُّ ما يمرُّ ، وليس أبداً يمر !
حضور القوادات المبرز زيادة على اللزوم ؛
التفاهة المسلية (من يعلم ماذا يوجد فى الداخل ؟)
للبورجوازيتين الصغيرتين ، الأم وابنتها ،
وهما تسيران فى الشارع بدون هدف ثابت ؛
التغنُّج الأنشوى الزائف للواطيين الذين يمرُّون ،
متناقلين ؛

وكل أولئك البشر الأنيقين
الذين يتجولون مستعرضين ذواتهم

والذين يملكون روحاً فى الداخل !

(أوه ، لكم أَرغب فى أن أكون قوَّاداً لهذا كله !)

الجمال المدهش للفساد السياسى ، فضائح مالية
ودبلوماسية لذيذة ،

عنف فى الشوارع .

ومن حين إلى آخر العوبة قتل الملك

غامرة السماوات الروتينية واللامعة

للحضارة اليومية بأنوار المعجزة والصَّلف !

أخبارُ صحف مُفَنَّدَةٌ ،

مقالات سياسية صريحة فى عدم صراحتها ،

أخبار Possez-à- La Caisse ، جرائم كبرى

— فى عمودين ثم انتقل إلى الصفحة الثانية !—

الرائحة الطرية لمداد المطبعة !

لافتات ألصقت للتو ، مبلَّلة ماتزال !

صفراء تظهر للعيان ، بحزام أبيض !

كم أحبكنَّ جميعاً ، جميعاً

كم أحبكن جميعاً بكل الوسائل
بالنظر والسمع والشم ،
وباللمس (وهو ما يعنى لدى ، لسهن مباشرة !) ،
وبالذكاء الشبيه بهوائى تجعله يهتز
أوه ، لكم تتهيج حواسى كلها من أجلكن !
سمادات ، دراجات بخارية ، تقدم فى الفلاحة !
كيميااء زراعية ، والتجارة تكاد تصير علماً !
أوه فرسان الصناعة الجوالين ،
التمديدات الإنسانية للمصانع والإدارات المتثاقلة !
أوه للثياب فى واجهات المتاجر ، أوه للمانيكيات !
لآخر صرعات الأزياء !
لمواد لانفع فيها يرغب فى شرائها الجميع !
مرحى ، بمخازن هائلة ذات شعب متعددة !
مرحى ، بإعلانات كهربائية تظهر طارفة ثم تختفى !
مرحى بكل ما يصنع اليوم ، وبكل ما هو اليوم
نختلف عن الأمس !

إيه ، أيُّها الإسمنت المسلح ، البلاط ، الطرائق
الجديدة !

التقدم المجيد فى أسلحة الدمار !
المدرّعات ، الغوّاصات ، المدافع ، المدافع الرشاشة ،
الطائرات !

أحبُّكن كُلكن حُبَّ حيوان مفترس .
أحبُّكن حُبَّ أكلة اللحوم ،
مضللاً ونظري مشدودٌ إليكنَّ
أوه أيتها الأشياء الكبيرة ، المبتذلة ، النافعة ،
اللامجدية ،

يا أشياء جديدة بالكامل ،
يامعاصراتى الحميمات ، أيها الشكل الراهن
والقريب لنظام الكون المباشر .
يالها من ثورة إلهية جديدة من دينامية ومعدن !

أوه للمصانع ، المختبرات ، أوه لك Musaïc-Lallr ،
أوه لك Luna-Park

للمدرّعات ، أوه للجسور ، أوه للسدود العائمة

- فى ذهنى المضطرب المتوهج أضاجعكن

كمن يضاجع امرأة جميلة ،

أضاجعكن بالكامل ، مضاجعة امرأة جميلة من غير

حب ،

امرأة نلتقيها مصادفة فتبدو لنا شديدة الإثارة .

Eh - Lá - há واجهات المتاجر الكبرى !

Eh - Lá - há مصاعد كبريات العمارات !

Eh - Lá - há تغييرات حكومية !

برلمان ، سياسات ، مقررو ميزانيات ،

ميزانيات مزورة !

(ما من ميزانية إلا وهى طبيعية تماماً مثل شجرة

وما من برلمان إلا وهو جميل كفراشة)

Eh - Lá الاهتمام بكل شئ فى الحياة ،

لأن الحياة هى الكل ، من لمعان الواجهات

إلى الليل ، الجسر الخفى بين النجوم

والبحر القديم والمهيب الذى يغسل الشيطان

والذى هو نفسه ، يالشفقة ، منذ كان أفلاطون

واقعياً هو أفلاطون

بحضوره المموس حاملاً جسداً وروحاً فى داخله
وهو يُحدث أرسطو الذى ماكان ينبغي أن يكون
تلميذه !

قادر أنا على أن أموت مطحوناً على يد محرك
شاعراً بالاستسلام اللذيذ لامرأة تُضاجع .
فلتقذفوا بى إلى الأفران العالية !
اطرحونى أسفل القطارات !
اجلدونى بحذاء السفن !
هى ذى المازوخية من خلال الماكينوية !
سادية الحداثى المجهول ، سادية الأنا والضجيج !

Up - Lá - hó jockey Ganacdar de Derlaer

من ذا الذى يستطيع قضم ذى اللونين

(طويل القامة أريد أن أكون حَدُّ عدم استطاعتى
اجتياز أى باب !

آه ، النظر عندى عبارة عن شذوذ جنسى !

أيتها الكاتدرائيات , Eh-Lá eh - Lá, eh - Lá,
دَعْنِي أَهْشَمُ رَأْسِي عَلَى زَوَايَا كُنْ ، ثُمَّ فليتعذر
على الجميع التعرف على عِنْدَمَا أُسحب من الشارع
وأنا أنزف دماً !

أوه ، أيتها التراموايات ، القُطْرُ الجبلية ، المترووات ،
ادعُكُنِّي جيداً حتى التشنُّج !

Hillai ! hilla !hilla - hô !

اضحكن مقهقهات ملء وجهي ،
أوه ، أيتها السيارات المكتظة بالداعرين والقحاب ،
أيتها الحشود اليومية ، فى الشوارع ، لا هى
بالفرحة ولا بالحزينة ،
أيها النهر المتعدد الألوان حيث بإمكانى الاستحمام
كيف أشاء !
آه ، كم من حيوات معقدة ، كم من أشياء ، هنالك فى
منازل ذلك كله !
آه ، أن أعرف حياة الجميع ، الصعوبات المالية ،

الدعاوى المنزلية ، الفوضى ، العوائد الداعرة التي
لا يمكن حتى الارتياح فيها ،

الأفكار التي تراود أياً كان منفرداً في غرفته ،
والحركات التي يأتيها حين لا يستطيع أحد رؤيته !
ألا يُعرف شيء من هذا يعنى أن يُجهل بالكامل ،
أوه ، أيها السعار ، الذى ، كما لو كان حمى
واحتياجاً وسغباً

يستنفد وجهى ويرجف تارة يدي
بتشنجات لامعقولة وسط
غوغاء هذه الشوارع المكتظة بالتدافعات !

آه ، ثم أولئك العوام القذرون الذين يظهرون
دائماً مثُلما هم ، ويتلفظون
بالبداءات كالأفاظ مألوفة ،
بينما أبناؤهم على أبواب المتاجر يتعلمون السرقة ،
وبناتهم فى سن الثامنة - كل هذا جميل لدى
ومحبوب !-

يَسْتَدْرِجُن رجالاً ذوى مظهر محتشم
إلى الاستمنااء فى فجوات سلّم العمارة !

أولئك الغوغاء الذين يجتازون السقالات
عائدين إلى بيوتهم عبر أزقةٍ تكاد تبدو غير حقيقية
لضيقتها ونتاجتها !

بشر عجيب مثل الكلاب يعيش ،
تحت حضيض كل النظم الأخلاقية ،
مِمَّا لم تُخلق من أجله أيُّ ديانة ،
ولا أيُّ فنٍّ ،
ولا أيُّ سياسة !
لَكُمْ أَحَبُّكُمْ كُلُّكُمْ لِانَّكُمْ هكذا ،
لا بدعرةٍ أنتم على ضعتكم ،
ولا بأخيار ولا أشرار ،
مُحصنين في وجه كل أشكال التقدم ،
فوضى عجيبة فوضى عمق بحر الحياة !
(في ناعورة روض منزلي يطوف الحمار ،
ويطوف ،

سرُّ العالم يعادلُ هذا الفعل .
امسحِ العرق بِكُمْ ، أيُّها الشَّغِيلُ المتَّبَرِّمُ ،

نور الشمس يخلق سكون الأفلاك

جميعاً علينا أن نموت ،

أوه ، غاباتِ الصنوبر المعتمة في الغسق

حيث طفولتي شيئاً آخر كانت

غير مَنْ أنا الآن ...)

لكن ، آه مرةً أخرى هذا الغيظ الميكانيكى الثابت !

مرةً أخرى ، الوسواس المتسلط لحركة

الأوتوبيسات .

ومرةً أخرى هياج الانوجاد سائراً فى آن واحد ،

فى قطارات الجهات كلها فى العالم كله ،

الانوجاد ملوحاً بالوداع على جانب السفن كافة .

وهى اللحظة ، بصدد رفع المرساة أو مغادرة

الأرصفة .

أوه للحديد ، للفولاذ ، الألومنيوم ، صفائح المعدن

الملّوى !

أوه للأرصفة ، الموانئ ، القطر ، الرافعات ، الجرارات !

Eh - Lá كوارث سككية كبرى !

Eh - Lá كوارث انهيارات فى ممرات المناجم !

Eh - Lá حوادث غرق سفن المحيطات الممتعة !

Eh - Lá ثورات هنا ، هناك وهناك !

تغيرات فى الدساتير ، حروب ، معاهدات ،
اجتياحات ،

ضوضاء . مظالم ، اعتداءات ، وربما بعد قليل تأتى
النهاية ،

اجتياح البرابرة الصفر لأوروبا ،

وشمس أخرى فى الأفق الجديد !

لكن

فيم يهم هذا كله ؟ فيم يفيد هذا كله

بريق الصَّخب المعاصر المحمرَّ السَّاطع ، بريق
حضارة اليوم ؟

هذا كله يمحو الكلُّ ما عدا هذه اللحظة ،

لحظة الجذع العارى والساخن مثل وقاد بخارى ،

اللحظة الصَّارة ، الصاخبة ، الميكانيكية ،

اللحظة الديناميكية التى هى مُرورُ كل سِغِّراتِ

الحديد والبرونز وسُكَّرِ المعادن كافة .

Ea ، القطارات ، Ea ، الجسور ، Ea ، الفنادق ساعة

الأكل

Ea ، أجهزة مِنْ أنواع شتى ، حديدية ، خشنة ،
صغيرة ،

آلات ضابطة ، طواحين ، حفّارات ،
مكابس ، خرّاطات ، مطابع رحويّة .

Ea ! Ea ! Ea !

Ea كهرباء ، عَصَبٌ مَرِيضٌ بالمادة !

Ea تلغرافيا لاسلكية ، لطافة اللاشعوري المعدنية !

Ea انفاق ، قنوات ، پنما ، كييل ، سويث !

Ea الماضي كله فى قلب الحاضر !

Ea المستقبل كله داخل أنفسنا ، Ea

Ea ! Ea ! Ea

ثمار حديدٍ ومنافع الشجرة - المصنع الكونى !

Ea ! Ea ! Ea ! Ea - hâ - hâ - ô !

لأ وجود لى حتى من الداخل . أَلْفُ ، أتدحرجُ وأَغْدُو
آلَةً .

أُشدُّ إلى جميع القطارات ،

أُرفَع فوق كافة الأرضفة ،

أُدور فى مراوح جميع السفن

Ea ! Ea ! hâ ! Êa !

Ea أنا الحرارة المعدنية وأنا الكهرباء !
Ea ، وقضبان السكة أنا وغرف الآلات ، وأورپا
بأسرها !

Ea براقو من أجلى ومن أجل الكل ، من أجل !
الماكينات المشتغلة ، ea

أن أثب مع الكل فوق الكل ! Hup - Lá

Hup - Lá , hup - Lá , hup - Lá, hup Lá !

há - Lá; há - há ! Nô - ô - ô - ô !

z - z- z - z - z - z - z - z - z !

آه ألا أكون الناس جميعاً ولا الجهات كُلُّها

لندن .

مقطعات من الأناشيد

(تتمة نشيدين ...)

I

.....

تعال ، أيها الليل الموغل فى القدم
أيها الملك المولود مخلوعاً عن العرش ،
أيها الليل المساوى للسكينة من الداخل ، ليل
النجوم الخرزية القصيرة
فوق حواشى ثياب اللانهاى .

غامضاً تعال ،

خفيفاً ،

تعال وحيداً ومهيباً ، بين يدين مسبلتين

على الجانبين ، تعال

وأحمل معك الجبال البعيدة عند أقدام الأشجار
القريبة ،

ذوّب في حقلك أنت كلّ ما أشاهد من حقول ،
اجعل من الجبل كتلة وحيدة لجسدك ،
أمح كلّ الفوارق التي أتأملها من بعيد ،
كلّ الشّعاب المصعّدة إليها ،
كلّ الأشجار المتنوعة التي تجعلها من بعيد تبدو
خضراء مُعتمة ،
كافة الدُّور المتصاعد دُخانها بين الأشجار ،
ولتُبقِ على نور واحد فقط ثمّ على نور آخر
ونور آخر
مايزال في المسافة المبهمة المعكّرة ،
المسافة التي فجأة يتعذّر عليّ عبورها .

ياسيدة * الأشياء المستحيلة
التي سُدّي نبحت عنها ،

★ اضطررتُ ، إبرازاً لإحياءات الخطاب الأمومية والدينية ، تحويل
صيغة الليل المذكرة في العربية إلى صيغة المؤنث ، في بعض السياقات ،
للتلاؤم مع التأنيث الأصلي في لفظة ليل الإسبانية البرتغالية .

والأحلام التى تأتينا مع نُزول المساء عبر النافذة ،
والأهداف التى تداعبنا
فى كُبريات سطيحات أحد فنادق الكون ،
على إيقاع الموسيقى الأوربية والأصوات القريبة
والنائية
التي تؤلمنا لمعرفتنا جيداً بأنها لن تكون واقعية
أبداً ...

تعالى وهدهدينا
تعالى وداعبينا ،
قبلينا وبصمت فى الجبهة
بخفة قبلينا فى الجبهة حيث لم نَذُق التقبيل
اللهم إلا من تزييف معين للروح
ومن نشيج غامض تابع بعدوبة
من أقدم مافينا ،
هنالك حيث جذرُ كل تلك الأشجار العجيبة
التي ثمارها هى الأحلام التى نداعبها ونحبها
خارج أية علاقة مع كل مافى الحياة .
تعال أيها الليل أنت

السيدة الفائقة الجلال
السيدة المهيبة والكمال
من إرادة نشيج خفية ربّما
لأنّ الروح أكبر والحياة أضال
وليس الجسد مصدرَ حركاتنا
وما ندركه لا يتجاوز مبلغ ذراعنا
مانراه لا يتخطى ماتدركه أبصارنا .
تعالى ، أيتها الأم المتألّة
الأمُّ العذراء حاملة هواجس الله ،
يا برج الحزانى المهانين العاجي ،
أيتها اليد الباردة على جبهة الوضع المحمومة ،
يامذاق الماء على شفة المهدود اليابسة ،
تعال من عمق
الأفق الغامق ،
تعال واقتل عني
من حُضيضِ اللاجدوى والقلق هذا حيث اخضرارى .
اسحبني من حُضيضى مثل أقحوانة منسيّة ،
ثم ورقة إثر ورقة اقرأ
أى مصير ينتظرني ،

ولتضعنى بجانبك منزوع الأوراق
بجانب رضاك المفعم سكوناً وبرودة .
وَلْتَرَمْ بورقة من أرواقى إلى الشمال ،
حيث مُدُن اليوم التى طالما عشقتها فيك ،
وَأَرْمْ أخرى نحو الجنوب ،
حيث البحار المفتوحة للملاحين
نُـمَّ أطلق واحدة أخرى باتجاه الغرب
حيث يتهيأ فى عنفوانه ذلك المستقبل
الذى أَعْبُدُه على جهلى به ،
ولتقذف إلى الشرق بالورقة الأخرى ،
ببقية الورقات ، وبما تبقى منى إلى الشرق
الذى منه يأتى كُلُّ شَيْءٍ ، نَهَاراً كَانَ أم إيماناً ،
الشرقُ الأَبْهَى ، المتعصَّب ، الساخن ،
الشرقُ المغالى الذى لن أراه أبداً ،
الشرقُ البراهمانى ، البوذى ، السانتستى ،
شرقُ كُلِّ مالىس لنا ،
شرق كل ذلك الذى لسنا إِيَّاه ،
وحيث - المسيح - من يدري ؟ - حياً ما يزال ربما ،

وحيث الله موجود ربما بالفعل ويهيمن على كل
شيء ...

تعال عبر البحار ،
عبر البحار العليا ،
معب البحار غير المحددة الآفاق ،
تعال ومرر على ظهر التنين يدك
وخفية هدته ،
أيها المروض المنوم كل متهيج شديد .
تعال أيها الحاجب
أيها الأمومي ،
خطوة خطوة أيتها الممرضة الموغلة في القدم
يامن كنت جالسة جنب وسادة آلهة
العقائد الغابرة ،

وشاهدت ولادة جيوبا وجوبيتر
باسمة ، لأن كل شيء زائف لديك وقبض ريح .

تعال أيها الليل الساكن المنخطف

كى تُحِيلِ قلبى معطفاً أبيض ،
فى الليل .

صافياً كنسيم عشية خفيفة
هادئاً مثل مداعبة أمومية ،

بنجوم لآ معة فى يديك
وبقناع قمر سرى يسرى على وجهك
كل الأصوات بطريقة أخرى تَرِنُ
عندما تحُلُّ أنت .

والكل يخفض الصوت عندما تجئ
ولا أحد يراك داخلاً .
لا أحد يعلم بأنك حللت .

والأشياء كلها تفقد الأضواء والألوان
وفى السماء الشاهقة التى زرقاء ماتزال ،
صافية كانت ، دائرة بيضاء أم محض نور يصلنا ،
يبدأ

القمر فى التكوّن فعليا .

آه للشفق ، لهبوط الليل ، لإشعال الأضواء فى
المدن الكبرى

وليد السرّ تخنق الضجيج ،

وذلك الإجهاد الشامل الذى يُفسد فينا

إحساسنا الدقيق والنشيط بالحياة .

وكل شارع قنّاة من قنوات البندقية مدينة الضجر .

وكم هو غامض ذلك العمق الذى يوحد الشوارع ،

لدى نزول الليل ،

أوه يا ثيساريو بيردى * ، أوه أيها المعلم ،

أوه يا إحساس الرجل الغربى ** !

ياله من قلق عميق ، ياله من رغبة فى أشياء أخرى

غير البلدان وغير الأزمنة أو الحيوان ،

ياله من رغبة أحياناً فى أنماط مغايرة لأوضاع

الروح

★ شاعر برتغالى عاش فى النصف الثانى من القرن 19 .

★★ « إحساس رجل من الغرب » : عنوان قصيدة لنفس الشاعر

تعكس الروح البرتغالية بكل ثقلها التاريخى إزاء حداثة الغرب .

أَلَا فَلْتُبَلِّلْ مِنَ الدَّاحِلِ أَيُّهَا اللَّيْلُ هَذِهِ اللَّحْظَةُ
الْبَطِيئَةُ وَالسَّحِيقَةُ !

الرَّعْبُ الْمُسَرَّنَمُ بَيْنَ الْأَضْوَاءِ الْمَشْعَلَةِ ،
الرَّعْبُ السَّائِلُ الرِّخْوِ الْمُسْتَنْدِ إِلَى الزَّوَايَا
كَمْتَسَوَّلٍ أَحَاسِيْسٍ مُسْتَحِيلَةٍ
لَا يَعْرِفُ حَتَّى مِنْ يَسْتَطِيعُ مَنْحَهُ إِيَّاهَا ...

عِنْدَمَا سَأَمُوتُ أَنَا ،
عِنْدَمَا سَأَمْضِي بِحَقَارَةٍ مِثْلَ الْجَمِيعِ ،
عَبَّرَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ نَوَاجِهَ فِكْرَتَنَا عَنْهُ
مُبَاشَرَةً ،

عَبَّرَ ذَلِكَ الْبَابَ الَّذِي لَا أَحَدٌ يَطْلُ مِنْهُ حَتَّى
لَوْ تيسَّرَ الْإِطْلَالُ ،
عَبَّرَ ذَلِكَ الْمِينَاءَ الَّذِي رُبَّانُ السَّفِينَةِ يَجْهَلُهُ ،
لِيَكُنْ ذَلِكَ الْآنَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْجَدِيدَةِ بِمَا لَدَيَّ
مِنْ أَنْوَاعِ الضَّجَرِ

فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الصُّوفِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ الْقَدِيمَةِ

فى هذه الساعة ربما قبل زمن أبعد مما يبدو
فى الأحلام رأى أفلاطون فكرة الله
ناحتاً جسداً ووجوداً متلائمين بصفاء تام
داخل فكره المُجلى مثل حقل .

لتكن هذه الساعة مناسبةً حملى إلى الدفن ،
هذه الساعة التى لا أعرف كيف أعيش فيها
ولا أية مشاعر ينبغى أن تكون لدى أو حتى أن
أظهر بأنها لدى ،
فى هذه الساعة التى رافقتها معذبة ومفرطة ،
وظلالها قادمة من أشياء ليست من الأشياء فى
شئ ،
ومُرورها لا يحاذى بثيابه أرضية الحياة
الحساسة
ولا يخلف أى عطر فى مسالك النظر .

ضع على الركبة يديك بهيأة صليب ، أوه أيُّها
الرفيق
الذى ليس لى حتى إمكانية امتلاكه ،

ضع على الركبة يديك وحدِّق في صامتاً
في هذه الساعة ، حيث لا أستطيع أن أرى أنَّك
ترانى ،

انظر إليّ في سكون ، ولتسألني خفية ،
- أنت الذى تعرفنى - مَنْ أَكُون

على مقود الشيفروليت

عبر طريق سينترا

على ضوء القمر وضوء الحلم عبر الطريق
الصحراوي ،

وحيداً أسوق ، ببُطء تقريباً أسوق ، وشيئاً فشيئاً

يبدو لي ، أو أنني أحاول كي يبدو لي ، بأنني

أسير عبر طريق آخر ، عبر حلم آخر ،

عبر عالم آخر ،

وبأنني أتابع السير بدون أن أخلف لشبونة ورائي ،

وبدون أن يكون على الوصول إلى سينترا التي

أمامي ،

وعلى أن أتابع .

وماذا أفعل بالذات سوى أن أتابع المسير

بألاً أتوقّف وأن أتابع وأتابع ؟

سوف أمضي الليلة في سينترا

لأننى لا أستطيع تمضيّتها فى لشبونة
لكن بمجرد وصولى إلى سينترا
سوف أشعر بالحزن لأننى لم أمكث فى لشبونة .

دائماً هذا القلق الذى بلا غاية ، ولا نتيجة
هذا القلق المتقطع ، دائماً ، دائماً ، دائماً .
قنطُ الروح هذا المُجاوِزُ كُلَّ حَدٍّ ، من أجل لا شئ ،
فى طريق سينترا ، فى طريق الحلم أو فى
طريق الحياة ...

مُنقاداً للحركات اللاشعورية التى بها أدير المقود ،
من تحتى ومعى تقفز تلك السيارة التى
أعارُونى إياها .

أثناء لَفِّي نحو اليمين أبتسم للعلامة وأنا أفكر
فى عَدَدِ

الأشياء المُعارة التى بها أمضى مطوّفاً عبر العالم !
كَمْ من أشياء مُعارة أسوقها كما لو كانت ملكى
الخاص !

يا ويحى ، ما أعارُونيه ، ليس سوى أناي بالذات .

على اليسار يوجد كوخ ، أجل ، كوخ على
حافة الطريق .

وعلى اليمين الحقل المنشور ، والقمر مطلا من بعيد .
السيارة التى بدأ منذ قليل أنها تمنحنى الحرية
هى ما أنا الآن فيه محبوس ،
ولست بقادر على سياقتها إلا هكذا .
لا أقدر على التحكم فيها إلا إذا كنتُ
أحتويها وكانت تحتوينى .

إلى الخلف ، على اليسار الآن ، يوجد الكوخ
الوضيع ،

الكوخ الأخط من وضيع ،
هناك ينبغى أن تكون الحياة سعيدة :
فقط لأنها ليست حياتى .
لو رآنى أحد من النافذة لقال :
سعيد هو ذلك الرجل .
بالنسبة إلى الطفل الذى ينظر
من خلف زجاج النافذة العلوية (بالسيارة التى

أُعْرِتُهَا (رُبَّمَا بَدَوْتُ شَبِيهَا بِحُلْمٍ ، شَبِيهَا بِجَنِّيَّةٍ
واقعية .

بالنسبة إلى الفتاة التى أطلت ،
عند سماعها صوت المحرك ، من نافذة المطبخ ،
من الطابق الأرضى ، رُبَّمَا كُنْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْأَمِيرِ
الذى يحتلُّ كُلَّ قَلْبِ الْفَتَاةِ التى ظَلَّتْ خَفِيَّةً مِنْ خَلَلِ
الْأَحْمَرِ الْمَلْصَقِ بِالزَّجَاجِ ، تُتَابِعُنِي حَتَّى الْمَنْعَرَجِ
الذى اختفيت فيه .

أَحْلَاماً أُخَلِّفُ مِنْ وَرَائِي ؟ أَمْ هِيَ السَّيَّارَةُ
التي تخلف من ورائها الأحلام ؟
أَنَا سَائِقُ السَّيَّارَةِ ؟ أَمْ أَنَا السَّيَّارَةُ الْمَعَارَةَ التي
أسوق ؟

فِي طَرِيقِ سَيْنْتِرَا ، عَلَى ضَوْءِ الْبَدْرِ النَّاصِعِ ،
مَغْمُوراً بِالْحُزْنِ أَمَامَ اللَّيْلِ وَالْحَقُولِ ،
وَأَنَا أُسَوِّقُ الشِّيفَرُولِيَّةَ الْمَعَارَةَ ،
فِي طَرِيقِ الْمُسْتَقْبَلِ أَضْيَعِ ، أَغْرَقُ فِيهَا
أُدْرِكُهُ مِنْ مَسَافَةٍ ،

وَبِرَغْبَةٍ رَهْيَبَةٍ ، فَجَائِيَّةٍ ، عَنِيفَةٍ ، لَا مَعْقُولَةَ

أضعف سرعتي
لكنّ قلبي ظلّ هناك ، في كومة الأحجار
التي انحرفت عنها ناظراً إليها بدون أن أراها ،
منبوذاً جنب الكوخ
قلبي الفارغ
قلبي التعيس
قلبي الأكثر إنسانية مني ، والأكثر كمالاً من الحياة .
على طريق سينترا ، في حافة منتصف الليل ،
على ضوء البدر ، على المقود
على طريق سينترا ، يالتعب المخيلة
على طريق سينترا ، أكثر فأكثر دُناً من سينترا
على طريق سينترا ، أقلّ فأقلّ دُناً من نفسي .

رسم تخطيطي

مثل كوب فارغ تحطمت روحى
هاويةً من أعلى السُّلم حتى الحضيض .
من يدى خادم لا مبالية هوتُ ،
متناثرة إلى شظايا أكثر بكثير
مما يحويه الكوب ذاته من شظايا .

أو غير معقول هذا ؟ أمستحيل ؟ ذلك ما حدث
بالفعل .

أمتلك من الأحاسيس مايفوق
جميع تلك التى امتلكتها عندما أحسستُ
بأننى هو أنا .
كومة أشياء أنا مُشَتَّة فوق بساط سينفُض
سقوطي أحدث ضجة كُوب يتحطم .

الآلهة المتكئون على درابزين السلّم
ظَلُّوا ينظرون بثبات إلى الحطام
الذى حوّلتنى خَادِمُهُمْ إليه .
خادمهم التى لم تُثّر البتّة غضبهم
فهم متسامحون .

كوب فارغ إذن ، أليس هو ماكنّته ؟
إنهم ينظرون إلى الحطام واعين ، على نحو عبثى ،
بأنفسهم ذاتها ، لا بكونهم واعين .

ينظرون وييسمون
ييسمون ، متسامحين تجاه الخادم
التى لم تفعل ذلك عن عمد .
السلّم الأعظم المفروش بالنجوم يتمدّد ،
ثمت حطام يلمع ، ممسوساً باللمعان الخارجى
وسط النجوم
حطام تُحْمَلِقُ فيه الآلهة بتأنٍ
لا تدري ماذا يفعل هناك .

أحشاء على طريقة أويرطو

ذات يوم ، فى مطعم ، خارج المكان والزمان ،
قدّموا لى الحُبّ وجبةً من أحشاء باردة .
قلت بكثير من الرّقة لرئيس الطباخين
إننى أفضل الأحشاء ساخنة ،
لأنّها (وكانت على الطريقة البرتغالية)
لا تؤكل أبداً باردة .

نَقد صبرهم معى ،
لا يمكن أن تكون على حق أبداً
حتى فى مطعم .
ولم أخجل ، لم أطلب شيئاً آخر
أدّيت الثمن ، ومضيتُ أتجول فى الشارع

من يدري مامعنى هذا كله ؟
لقد حدث لى أنا الذى لست أدري ...
أعرف جيداً أن الناس جميعاً كانت لديهم ،
فى الطفولة ، حديقة خاصة أو عمومية أو لأحد
الجيران .

أعرف جيداً أنَّ اللَّعب كان شأننا الأوحد
وأنَّ الحزن وليدُ اليوم ،
هذا ما أعرفهُ زيادة على اللزوم ،
لكنى ، إذا كنتُ قد طلبتُ حبّاً ، فلماذا
أتونى بأحشاء باردة ، على طريقة أوبرطو ؟
ماهى بِصُحْن يمكن أَكْلُهُ بارداً ،
بارداً أتونى به
لَمْ أَتَشَكَّ ، غير أنه بارداً كان
لا يمكن أَكْلَه بارداً لكنه بارد
أتانى بارداً .

Lisbon Revisted

لا شئ يشدنى إلى شئ .
خمسين شيئاً أريد فى وقت واحد .
لدى اشتياق مصحوب بقلق من يعانى
من جوع فى اللحم لا أعرف ماهو .
قَلِقاً أنام ، وأحيا الحلم القَلِق
لِمَنْ على قلق ينام متقاسما أحلامه .

كل الأبواب المجرّدة والضرورية أُغلقت فى وجهى
أُسدلت الستائر فى وجه كافة الفرضيات
التي كان باستطاعتي مشاهدتها فى الشارع .
فى الزقاق حيث كنتُ لا يوجد البتّة
رقم المنزل الذى أعطونيّه .

الحياة التى نُؤمِتُ فيها استيقظت فى نفسى
حتى جِوشى الحُلُمِية تكبَّدت الهزيمة
حتى أحلامى أحسَّت ببطولانها
حين كنت أحلم بها .
حتى الحياة ، حتى الحياة لمجرد أنها مشتهاة
تشعرنى بالامتلاء ،
حتى تلك الحياة .
وَأَع بکل المسافات اللأمتصلة .
ومن أَجل لحظات الإِجْهاد أو اصل الكاتبة .
ضَجَرُ الضَجْرِ نفسه هو ما يقذف إلى الشاطئِ بى .
لا أدرى أىَّ هدفٍ وأىَّ مستقبل
ينتظر قلقي الذى لا دَفَّة له .

لا أعرف أىَّ جزر من الجنوب المستحيل
تترَقَّب غَرَقى ،
ولا أية صفحة أدبٍ ستهبني
بيتاً من الشعر بالأقل .
لا أعرف هذا ، ولا ذاك ، ولا أىَّ شئ على الإطلاق

وفى قرارة روى ، حيث أحلم بما استهلك من
أحلام

فى الحقول الأخيرة للنفس ، حيث أسترجم
الذكرىات بلا مبرر ،

وحيث الماضى ضبابية طبيعية من دموع مصطنعة ،
فى طرقات الغابات البعيدة .

حيث كينونتى المفترضة ، هنالك ،
تفر محطمة ، البقايا الأخيرة للوهم النهائى ،
جيوشى المحلومة المهزومة بدون هزيمة ،
كتائبى لأنها ممزقة فى ذات الله .

مرة أخرى أعود إلى رؤيتك
يامدينة طفولتى الضائعة بطريقة رهيبة .

أيتها المدينة الحزينة والفرحة
مرة أخرى أحلم ، هنا أحلم
أنا ؟ لكن ، أنا نفسى الذى هنا عشت
والى هنا عدت ، وعدت

كى أعود وأعود وأعود وإلى
هنا أعود من جديد كى أعود ؟

أَمْ أَنْ كُلَّ الْأَنْوَاتِ * الَّتِي عَشْتُهَا أَوْ عَاشْتُ

هَنَا كُنَّا كُنَّا سِلْسِلَةً خَرَزَاتٍ - كَائِنَاتٍ

مَنْظُومَةٍ فِي خَيْطٍ - ذَاكِرَةٍ ،

سِلْسِلَةُ أَحْلَامٍ فِي دَاخِلِي

مَنْ أَجَلَ شَخْصٍ مَوْجُودٍ خَارِجَ ذَاتِي ؟

مَرَّةً أُخْرَى أَعُودُ كِي أَرَاكَ ،

بِقَلْبٍ أَنَايَ مِمَّا كَانَ ، وَبِرُوحٍ أَقْلٍ انْتِمَاءً إِلَى

مَرَّةً أُخْرَى أَعُودُ كِي أَرَاكَ

- كِي أَرَى لَشَبُونَةَ وَالتَّاجِ وَكُلِّ شَيْءٍ -

إِنَّهُ مُرُورٌ غَيْرُ مُجْدٍ مِنْكَ وَمِنِّي ،

أَجْنَبِيٌّ هَنَا كَمَا فِي الْجِهَاتِ كُلِّهَا ،

طَارِيٌّ فِي الْحَيَاةِ كَمَا فِي الرُّوحِ ،

شَبَّاحٌ ضَالٌّ فِي صَالُونَاتِ الذِّكْرِيَّاتِ

بِضَوْضَاءِ الْجُرْذَانِ وَالْأَخْشَابِ الصَّارَةِ

فِي قَلْعَةِ الْعَيْشِ الْمَلْعُونَةِ ...

★ جَمْعٌ : أَنَا .

مرّة أخرى أعود كي أراك
ظلاً يَمُرّق عبر الظلال ، يسطع
لهُنيّه على ضوء جنائزى مجهول
تُمّ يوغل فى الليل
مثلنا يضيع مُخور المركب فى الماء ...

مرة أخرى أعود كي أراك
لكن ، آه ، لن أعود إلى رؤية ذاتى ،
لقد تكسّرت المراة السحرية التى
اعتدتُ العودة إلى رؤية ذاتى فيها .
فى كل شظية متناثرة مشؤومة
لا أرى سوى فلذة منى -
فلذة منك ومنى .

1926

فى ساحات المستقبل

أية إكسيرات سيقعُ الإشهار لها
فى ساحات المستقبل - نفس ساحاتنا ربما - ؟
بإتيكيتات مغايرة ، نفس إتيكيتات مصر الفرعونية ؛
بأساليب أخرى تحثُّ على شراء
نفس مالدينا الآن .
ثم الميتافيزيقات الضائعة فى زوايا
مقاهى الأمكنة كلها ،
والفلسفات المتوحدة ،
من فرط الإقامة فى غرف أسطح الإخفاق ،
وأفكار فرط مصادقة العرضى المتواتر
وحدوس السيد لا أحد المتكاثر ،
كلُّها قد تشكَّل ، ذات يوم ، بعُصارة مجردة

وَبِمَادَّةٍ غَيْرِ مُسْتَسَاغَةٍ ، إِلَهَا تُمَّ تَسْتَوَلِي

عَلَى الْعَالَمِ ، لَكِنْ لَا سَلَامَ

مِنْ أَجَلِي الْيَوْمِ ، أَتْنَاءَ التَّفْكِيرِ فِي خَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ

فِي الْمَصَائِرِ الَّتِي لَمْ أَقْضُ مُضْجِعَهَا بَعْدُ ،

فِي مِيتَافِيزِيْقَايَ الْخَاصَّةِ . مِيتَافِيزِيْقَايَ

طَالَمَا أَفَكَّرَهَا وَأَحْسُهَا .

لَا سَلَامَ .

عَلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ نَصَبَ الشَّمْسِ

ثُمْتُ الْكَثِيرَ مِنَ السَّكُونِ الصَّافِي

أَوْ ثُمْتُ سَكُونٍ بِالْفِعْلِ ؟

فِي الْجِبَالِ الْوَاقِعَةِ نَصَبَ الشَّمْسِ

لَا وَجُودَ لِمَا يُشْبِهُ الرُّوحَ ،

مَا كُنْتُ لَتَكُونُ جِبَالاً ، نَصَبَ الشَّمْسِ

لَوْ اِمْتَلَكْتُ رُوحاً .

هُوَ ذَا أَتَعَبَ الْفِكْرَ الَّذِي يَمْضِي حَتَّى قَرَارَةِ الْوُجُودِ ،

قَدْ غَمَرَنِي بِالشَّيْخُوخَةِ مِنْذَ مَا قَبْلَ الْأَمْسِ

مَعَ بُرُودَةٍ تَمْلَأُ الْجَسَدَ .

ماذا عن الأهداف الضائعة والأحلام المستحيلة ؟

ولماذا تحتمُّ وجود أهداف ميّنة

وأحلام لا عقل لها ؟

أيام المطر البطيء ، الرتيب ، المتّصل

تحملنى على النهوض من المقعد الذى

عليه جلست بغير انتباه، بينما

الكون فراغ مطلق حوالى

والسأم الذى يُقوّم عظامنا

يُبَلِّل كينونتى .

ثمت ذاكرة شىء لا أتذكره

تُبرّد روحى .

لا شك أن هناك احتمالات حُلم عديدة

لجزر بحار الجنوب

ورمال الصحارى تعوّض الخيال بشكل ما ؛

لكننى فى قلبى بالذات يَقَعُ إحساسى

قلبى بالذات بلا بحار ولا جزر ولا صحارى

وفى روحى الخاوية أوجد .

ومع ذلك ، وكما لو كنت مجنوناً ، مُسَهَباً ،

أواصل السرد بلامعنى .

ثورانُ القدرِ الباردُ ،

تقاطعُ كل شيء ،

اختلاطُ الأشياء ، وأسبابها ونتائجها

عاقبةُ امتلاكِ جسد وروح ،

وصوت المطر ينحل في ذاتي ، يصير أناي ،

وهو شديد القتامة .

فبراير 1923

تأجيل

بعد غَدٍ ، نعم ؛ لكن فقط بعد غَد .
غداً سأَصْرِفُه مَفَكِّراً فى بعد غَد
وبذلك يصبح الأمر ممكناً ؛ أما اليوم فلا ..
لا .. اليوم لا شئ ؛ اليوم لا أستطيع .
هناك الإلحاح الغامض لِدَخِيلَتِي المُرثِيَةِ ،
حلم حياتِي الواقعية ،
التعب المُسْبِق واللانهاثى ،
تَعَبُ عوالم الصعود فى ترام ..
هذا الطراز من الروح ..
فقط بعد غَد
أما اليوم فأريد التهيؤ .
المخطط جاهز لدي ؛ ذلك أفضل

اليوم لن أرسم مخططات .
غداً سيكون يوم التخطيطات .
غداً سأجلس أمام طاولة العمل من أجل أن أفتح
العالم ،

لكن سأفتح العالم فقط بعد غد .
لدىَّ رغبة في البكاء فجأة ، من الداخل ...
لا .. لا ترغبوا في معرفة أكثر ، لأن الأمر
سرى ولن أبوح به .
فقط بعد غد ..

عندما كنت طفلاً كان سيرك الأحد
يسلّيني أسبوعاً بكامله ،
اليوم يسلّيني فقط سيرك أحد كُُلّ أسبوع طفولتى .
بعد غد سأكون آخر
ظافرة ستصير حياتى ،
كل مزاياى الواقعية ، مزايا الذكى ، المثقّف العملى
سوف تُستحضر بقرار رفيع .
لكن بقرار من الغد .
اليوم أريد النوم . غداً سوف أكتب ..

واليوم ؟ ماهى الفُرجة القادرة على
أن تُعيد إلى طفولتى ؟
بالرغم من أننى مُجبرٌ على اقتناء تذاكر الغد
لِما بعد غد حيث ستكون الفُرجة ممتعة .
قبل ذلك لا ..
بعد غد سيكون لدى العرض العمومى
الذى سأبحثه غداً .
بعد غد سأكون فى النهاية
ذلك الذى لست قادراً على أن أكونه بأى شكل .
فقط بعد ...
أشعر بالرغبة فى النوم
بارداً وبرودة كُلب سائب ،
لدى رغبة فى كثير من النوم
غداً سأبوح لك بالسر ، أو بعد غد ،
نعم ، ربما فقط بعد غد
المستقبل ..
نعم ، المستقبل .

14 أبريل 1948

غيبوم

أَوْثَمَّةٌ فِي النَّهَارِ الْكُثِيبِ ،
حَيْثُ قَلْبِي الْأَشَدُّ كَأَبَةٍ مِنَ النَّهَارِ
وَاجِبَاتٌ أَخْلَاقِيَّةٌ وَمَدْنِيَّةٌ ؟
تَعْقِيدَاتٌ مُتَرَتِّبَةٌ عَنِ الْوَاجِبَاتِ ،
وَالْعَوَاقِبِ ؟
كَلَّا .. لَا شَيْءَ
النَّهَارِ كُثِيبٌ ، الرِّغْبَاتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ضَعِيفَةٌ
لَا شَيْءَ .

بَعْضُهُمْ يَسَافِرُ (أَنَا أَيْضًا سَافَرْتُ) ،
آخَرُونَ تَحْتَ الشَّمْسِ يَقْبَعُونَ (كَذَلِكَ تَحْتَ الشَّمْسِ
كَنتُ أَوْ ظَنَنْتَنِي كَذَلِكَ)
جَمِيعُهُمْ يَمْلِكُونَ الصَّوَابَ ، أَوِ الْحَيَاةَ
أَوِ الْجَهْلَ الْمُقَنَّ ،

الغرور ، الفرح وحسن المعاشرة ،
ويهاجرون كي يعودوا ، أو كي لا يعودوا
فى سَفْنٍ تتكَلَّفُ تلقائياً بنقلهم ،
غير شاعرين بما يكمن من موت
فى كُلِّ إقلاع ،
وبما يكمن من أسرار فى كل وصول ،
وبما تُمَتَّ من رهبة فى كل جديد ...
إنهم لا يحسُّون ؛ لذلك هُمُ مَا هُمُ عليه ،
نواب ورجال مال ، مستخدمون تجاريون
يذهبون إلى كافَّة المسارح ويعرفون الناس جميعاً .
يفتقرون إلى الإحساس :
من أجل ماذا يتحتم عليهم الإحساس ؟
قطيع مَكْسُوٍّ من حظيرة الآلهة ،
دَعُهُ يَمُرُّ ، مُكَلَّلاً بالغار ... قرباناً تحت الشمس
باسماً ، حياً . مسروراً بكونه يُحَسُّ .
دَعُهُ يَمُرُّ ، لكن ، آه ، أنا مَعَهُ مَاضٍ
بدون إكليل غار
نحو نفس المصير !

معه أمضى بغير الشمس التي أحس بها ،
بغير الحياة التي لدى ،
معه أمضى دون أن أجهل ...

فى النهار الحزين ، بقلبي الأشد حزناً من النهار
فى النهار الكئيب ، الكئيب ككل النهارات
فى النهار الأشد كآبة

13 مايو 1928

تَكْتُمَات

أريد أن أرتب حياتي ، أن أضع رفوفاً للإدارة
والفعل ،

أريد ذلك الآن ، كما أردت دائماً ، بالنتيجة إياها ،
إذن ، ما أفضل امتلاك هذا الهدف الواضح ،
واثق الإرادة من فعل شيء ما ، في تمام الوضوح !

سألمُ حقائبي من أجل اللانهائي ،
سأرتب ألبارودي دي كامپوس جيداً .
وأواصل كينونتي غداً تماماً كما قبل أمس
- ما قبل أمس الذي هو كل الأيام ...

أبتسم لمعرفة المسبقة بالاشيء الذي سأكونه .

أبتسم على الأقل ؛ فالأبتسام هو دائماً شئ ما .
هكذا يُصنَع الأدب ...

أيُّها الإله المقدَّس ، هكذا تصنع حتى الحياة ذاتها .

الآخرون هم روما نطيقيون أيضاً ،
الآخرون أيضاً لا ينجزون شيئاً ، أغنياء أم فقراء
الآخرون أيضاً .. يُمضون الحياة في تأمل
الحقائب

التي عليهم أن يكموها .
الآخرون أيضاً ينامون بجانب أوراق تصف
مكتوبة ،
الآخرون هم أيضاً أنا .

أيتها البائعة المتجولة ، يامن تنادين
على بضاعتك بغناء شبيه بنشيد لاشعورى ،
أيتها العجيلة المُسنَّنة لساعة الاقتصاد السياسي ،
أيتها الأم الراهنة والمستقبلية
للميتين سلخاً في المستعمرات ،
صوتك يصلني مثل نداءٍ مُوجَّه إلى اللامكان ،

مثل سكون الحياة ...

أَنْقُلُ النَّظْرَ مِنَ الْأَوْرَاقِ الَّتِي أَنْوَى تَرْتِييَهَا
إِلَى النَافِذَةِ الَّتِي لَمْ أَرَ مِنْ خِلَالِهَا الْبَائِعَةَ
الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَصَخْتُ السَّمْعَ ،
بينما ابتسامتي التي مازالت مُرْتَسِمَةً
تَتَضَمَّنُ نَقْدًا مِيتَافِيزِقِيًّا ...

أمام طاولة شغل مُرْتَبَّةٍ
تَخَلَّيْتُ عَنِ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الْأَلْهَةِ ،
أَبْصَرْتُ وَجْهًا لَوْجَهُ كَافَّةُ الْمَصَائِرِ
وَأَنَا أَتَسَلَّى بِالْإِصْغَاءِ إِلَى مُنَادٍ يَمُرُّ
وَتَعَبَى قَارِبَ عَتِيقٍ يَتَعَفَّنُ
فِي الشَّاطِئِ الْقَاحِلِ .

وبهذه الصورة ، صورة أي شاعر آخر
أغادر الطاولة والقصيدة ... مثل إله ،
لم أرتب لأهذا الشيء ولا ذاك .

15 مايو 1929

شاسعة هي الصحارى

شاسعة هي الصحارى ، صحراء هو كل شيء
لا يسبب أطنان من الأحجار واللبنات العالية
يظل الحضيض مقتنعا ، مثل هذا
الحضيض الذى هو كل شيء .

هائلة هي الصحارى ، قاحلة هي الأرواح وكبيرة ،
قاحلة إذ ما من أحد يجتازها سواها -
وكبيرة إذ من هناك يظهر كل شيء ،
وكل شيء قد مات .

هائلة هي الصحارى ، ياروحى
هائلة هي الصحارى

لم أحصل على تذكرة الدخول إلى الحياة ،
أخطأت بوابة الإحساس .

لم توجد قطُّ رغبة ولا فرصة لم أهدرها
لم يبق لي اليوم ، (بانتظار السفر) ، مع
الحقيبة مفتوحة بانتظار ترتيبها المؤجل ،
جالساً على المقعد صحبة قمصان غير لائقة ،
لم يبق لي اليوم (بمعزل عما يُسبِّبه
لي جلوسى هكذا من ضيق)
سوى أن أعرف هذا :

كبيرة هي الصحارى ، كل شئ صحراء ،
كبيرة هي الحياة ، ولا قيمة بتاتاً لأن توجد الحياة .
سأرتب الحقيبة ، بعينى سأرتبها على نحو
أفضل :

التفكير فى ترتيبها خيرٌ من ترتيبها بيديَّ
المصطنعتين

(أقول ، وأؤمن جيداً بما أقول)
أشعل السيجارة كى أؤجل السفر ،
كى أؤجل جميع الأسفار ،

كى أَوْجَل الكون بتمامه

عُدَّ غَدًا إِلَى أَيُّهَا الْوَاقِع

أَيُّهَا النَّاسُ ، حَسْبُكُمْ هَذَا الْيَوْمُ .

أَيُّهَا الْحَاضِرُ الْمَطْلُوقُ ! أَعْرِفْ ، هُنَاكَ يَوْمَ آخِرِ

أَلَّا أَكُونُ خَيْرًا مِنْ أَنْ أَكُونُ هَكَذَا !

فَلتَشْتَرُوا شوكولاتات للطفل

الَّذِي كُنْتُهُ خَطَاً

اسْحَبُوا الْأَفْتَةَ ، لِأَنَّ اللَّانْهَائِيَّ

غَدًا سَيَجِيءُ ،

وَلَكِنْ يَتَحَتَّمُ أَنْ أَلْمَ الْحَقِيقَةَ ،

أَنْ أَلْمَ بِالْقُوَّةِ الْحَقِيقَةِ ،

الْحَقِيقَةِ .

لَا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ الْقُمْصَانِ فِي الْخِيَالِ

وَالْحَقِيقَةِ فِي الْعَقْلِ

أَجَلْ ، لَقَدْ أَمْضَيْتُ حَيَاتِي كُلَّهَا بِدُونِ إِعْدَادِ

الْحَقِيقَةِ

أَمْضِيَّتْهَا جَالِسًا عَلَى طَرْفِ
كُومَةِ الْقَمِصَانِ
أَجْتَرُّ الْمَصِيرَ ، كَثُورٌ لَمْ يَصِلْ بَعْدَ إِلَى هَاطِيسِ

عَلَى أَنْ أَلُمَّ حَقِيبَةَ الْوُجُودِ
عَلَى أَنْ أَوْجَدَ لَأَمَّا حَقَائِبِي
رَمَادَ السَّيْجَارَةِ يَسْقُطُ فَوْقَ قَمِيصِ
كُومَةِ الْقَصِمَانِ .

أَنْظُرُ حَوَالِيَّ وَأَتَأَكَّدُ مِنْ اسْتِغْرَاقِي فِي النَّوْمِ
أَعْرِفُ فَقَطْ أَنَّ عَلَى أَنْ أُهَيَّئَ الْحَقِيبَةَ ،
وَأَنَّ الصَّحَارَى شَاسِعَةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَحْرَاءُ
وَأَنَّ هُنَاكَ ...

فَجَاءَ أَنْهَضُ ، كُلُّ الْقِيَاصِرَةِ بِدَاخِلِي يَنْهَضُونَ .
سَوْفَ أُهَيَّئُ الْحَقِيبَةَ ، عَلَى نَحْوِ نَهَائِي
هَاهُ ، لَقَدْ رَتَّبْتُهَا وَ أَحْكَمْتُ إِقْفَالَهَا .
عَلَى أَنْ أَرَى كَيْفَ سَيَمْضُونَ بِهَا مِنْ هُنَا .

كبيرةٌ هي الصحارى ، كل شئ صحراء ،
عدا ما جاء خطأ أو سهواً بالطبع .
ما أبأس الروح الإنسانية لا واحات أمامها
سوى فى الصحراء المواجهة
سيكون من الأجدى أن ألّم الحقيقة

4 مايو 1930

فرناندو پيسوا
ثانياً : مختارات شعرية I
ترجمة : المهدي أخريف

(تقديم)

تعود صلتى ببيسوا إلى بداية الثمانينات حينما قرأت « نُتْفَا » من شعره فى إحدى المجالات الأدبية الإسبانية ، مترجمة عن البرتغالية . كنت قد سمعت عنه أو مررتُ بإشارات تخص « حالته » النادره .. لا أتذكر . وحينما قرأت « نشيد الظفر » فى ترجمة إسبانية أخرى ألهمتُ إحساسى نكهتها المتميزة ضمن أشعار المستقبليين . ومنذ ذلك اللقاء بدأت « حالة » بيسوا تغزونى بالتدريج مع اتساع اطلاعى على أشعاره وأشعار أنداده الذين ابتكرهم بضرب من اللعب فإذا هم يتحولون إلى « شعراء حقيقيين » لكل واحد منهم طريقه المستقل داخل ذاته هو ، موصولين به ، منفصلين عنه فى آن ، عبر لعبة تناوب تمثيلية باهرة تحول هو نفسه فيها إلى مجرد اسم من جملة أسماء ، شاعر ضمن شعراء خرجوا من رحم تخيلية واحدة ، تعبيرا عن تعدد ذواتى شعري لا مثيل له فى تاريخ الشعر الإنسانى .

لقد أثارَ طريقى عكوفى على قراءة رسائله وبعض كتاباته النظرية التى نشرَ كما هائلاً منها باسم عشرات الأقنعة والأسماء المستعارة . كما أنَّ اطلاعى على بعض الدراسات الأساسية حول « ظاهرة بيسوا » وآثاره الأدبية - خاصة دراسة أوكتافيو ياث المستبصرة التى تصدر هذه المختارات - قد أتاح لى فهماً أفضل لإنتاجه الشعري .

وهكذا وجدت نفسي أنتقل تلقائياً من الافتتان
والإنصات إلى حالة من « التماهى » مع عوالم الشعر
المقروءة تمثلت في تجربة الترجمة التي انخرطت فيها
بشغف منذ ثلاث سنوات ، والتي انصبّت حول نصوص
متنوعة للشاعر البرتغالي وأنداده مع عناية خاصة
بألبارودى كامپوس .

تجربة مضمّنية ممتعة أثمرت بعض النجاح ، كما
أسفرت عن إخفاقات عديدة ، لكنها غمرت قلقي
الشعري الخاص بفيض من الكشف والأسئلة . لقد
سعدت بالإقامة في مناطق وعرة من الشعر الجذري ،
ومن شعر الشعر ، الشعر الصدى ، الشعر الخواء ، حيث
الجراح السريّة عارية ، حيث الصور ، الهذيان ،
المونولوجات ، الأصوات الحانية العاتية ؛ كلها تشظيات
حيّة لكينونة متفرّدة متعددة متمردة على شرطها
الوجودى تعيش الوهم واقعاً والواقع وهماً .

كان طموحى أن أهيب للنشر مختارات موسّعة
متكاملة لأشعار بيسوا وأنداده ، لكنّ بروز صعوبات
غير متوقّعة أملّ تذليلها مستقبلاً ، أجبرنى على الاكتفاء
بنشر هذه المختارات الخاصة بألبارودى كامپوس ،
وتضم ثلاث قصائد ذات تمثيل عالٍ لعالم هذا النديد
الأكثر جسارة وغازاة وتعقيداً من كل الأنداد .

وإننى لمدين للصديق د . محمد برادة بالعديد من

التصويبات والتنقيحات التي أدخلت على هذه الترجمة ؛
وذلك خلال المراجعة المُدَقِّقَة التي قام بها للنصوص
الشعرية والدراسة ، والتي عملنا فيها معاً على
« معالجة » أبرز الاختلافات الموجودة بين النص
الفرنسي - الأدق في جوانب معينة - والنص الإسباني
معالجة أفادت النص العربي وقومته .

كما أنني مدين للصادق الشاعر محمد الأشعري
بما أمدني به من اقتراحات نيرة ومن تحفيز ومؤازرة
هما من صميم « تواطئنا الشعري المشترك » .

ولا يفوتني أخيراً أن أعبر عن امتناني للأصدقاء :
بيدرو فيلاسكيز دُورو ، وإدمون عمران المليح
وفرانسيسكو طاركيني والشاعر محمود درويش
لتشجيعهم ومساعدتهم .

المهدي أخريف

المجهول من لدن ذاته

أوكتافيوياث

ليس للشعراء بيوغرافيات ، أشعارهم هي
بيوغرافياتهم ، وبيسوا الذى كان دائم الارتياب فى
واقعية هذا العالم سوف يوافق ، دُون تردُّد ، على المضى
إلى أشعاره مباشرة ، متجاهلا حوادث ومصادفات
وجوده الأرضى . لا يُوجد فى حياته شئ غير متوقَّع ،
لا شئ ، باستثناء أشعاره . لا أعتقد أن « حالته » ينبغي
أن تخضع لهذه المفردة الثقيلة « حالة » . سأفسر لكم :
على ضوء أشعاره ، أرى أن هذه « الحالة » تنتفى تماما .
وماتبقى من السرِّ مكتوبٌ فى اسمه : لأن Pessoa تعنى
« شخص » فى البرتغالية ، وقد تحدَّرت من لفظة
Persona قناع الممثلين الرومانيين . إنَّه ، إذن ، قناع ،
شخصية خيالية ، لا أحد : بالإمكان اختزال حياة بيسوا
فى العبور بين لا واقعية حياته اليومية وواقعية تخيلاته
. هذه التخيُّلات تتمثَّل فى هؤلاء الشعراء : ألبَرُطو
كابيرو ، ألبَارُودى كامپوس ، ريكاردو ريبس . وفوق
كل شئ فرناندو بيسوا نفسه . وهكذا فإنَّ التذكير
بالوقائع البارزة لحياته ليس عديم الجدوى ، شريطة
أن نعلم أنَّ الأمر يتعلق فحسب بآثار ظلِّ ما . بيسوا
الحقيقى هو شخص آخر .

فى لشبونة وُلِدَ عام 1888 . فَقَدَ أباه وهو صغير ،
فتزوَّجت أمُّه من جديد ، وانتقلت سنة 1896 مع أبنائها
إلى دوربان بإفريقيا الجنوبية ؛ حيث أرسل زوجها

الثانى إلى هناك كقنصل للبرتغال . وهناك تلقى بيسوا
تربية إنجليزية . عاد إلى لشبونة عام 1905 وقد أنهى
دراسته الثانوية وهو على وشك الالتحاق بجامعة الكابو .
شاعر مزدوج اللغة . سوف يغدو التأثير الساكسونى
مكوناً ثابتاً فى فكره وكتابته . فى عام 1907 يترك كلية
الآداب فى لشبونة وينشئ مطبعة صغيرة . إن لفظة
« فشل » سوف تتكرر باستمرار فى حياته . اشتغل فيما
بعد كمحرر متجول للمراسلات التجارية بالإنجليزية
والفرنسية . شغل متواضع سيمنحه القوت طيلة حياته
تقريباً . أكيدٌ أن أبواب الجامعة قد فُتحت أمامه بحذر
ذات مرّة . لكنه بكبرياء الخجلين رفض العرض . لقد
كتبتُ « بحذر وكبرياء » ، ولربما كان ينبغى أن أقول :
بفتور وواقعية : عام 1932 يتقدّم بطلب الحصول على
منصب موثق فى إحدى المكتبات فيرفض طلبه . لكن ما
من تمرّد فى حياته : وحده التواضع الشبّيه بالأنفة .

منذ عودته من جنوب إفريقيا لم يغادر لشبونة قط .
سوف يعيش فى البداية فى دار عتيقة مع خالة عانس
وجدة مجنونة . ثم مع خالة أخرى بعد ذلك ، ثم
سيمضى فترة مع أمّه وقد ترمّلت من جديد . وماتبقى
سيعيشه فى منازل مشبوهة . يرى الأصدقاء فى المقهى
وفى الشارع . شريب متّوحد فى حانات الحى القديم .
تفاصيل أخرى ؟ .. عام 1916 خطط للعمل كمنجم . وفى

عام 1920 سوف يعرف الحب أو سوف يظن أنه أحب
مستخدمة تجارية : لم تَدُم العلاقة طويلاً : « إنه قَدَرى »
يقول فى رسالة القطيعة « إنها تنتمى إلى شريعة أخرى
لا ترتاب أنت فى وجودها » . لا يُعرف شىء عن تجارب
عاطفية أخرى له . ثمة تيار لوطية معذبة يسرى عبْرَ
قصيدتيه « نشيد بحرى » و « تحية إلى ويتمان » ، وهما
العملان الكبيران اللذان يحملان على التفكير فى
غارسيا لوركا الذى سيكتب ، بعد خمس عشرة سنة
« شاعر فى نيويورك » . غير أن ألبارودى كامپوس ،
محترف الاستفزاز ، ليس كُلُّ پيسوا . ثمة شعراء
آخرون فى پيسوا . ذلك العفيف الذى أهواؤه كلها
محض تخيُّلات . أو بالأحرى : من عيبه الأكبر هو
التخيُّل ؛ لذلك فهو لا يتململ من مقعده . وهناك پيسوا
آخر لا ينتمى إلى الحياة اليومية ولا إلى الأدب ؛ هو
التلميذ ، والمبتدئ . لاشئ حول هذا الـ پيسوا يمكن أو
ينبغى أن يُقال : كشف ؟ خداع ؟ تزييف ذاتى ؟ ربما كُلُّ
هذا مجتمعا . إن پيسوا ، مثل معلِّم إحدى سونيئاته
الهرطقية ، يعلمُ ويصُمّت .

أنكلومان ⁽¹⁾ . حسير النظر . مهذب . ميَّال إلى
الهروب . داكن الثياب ، كتوم وعائلى . كَوْنى ييشر
بالقومية . بحاثة جليل فى أمور تافهة . هازلٌ كبير لا
يبتسم ألبته . ويجمّد فينا الدم . مبتكر شعراء آخرين

ومدمر ذاته . خالق مفارقات كالماء صافية ومدوخة
كالماء : أن تتنكر هو أن تتعرف .. وهو الغامض الذى لا
يزرع الغموض . غامض كقمر منتصف النهار . صموت
هو شبح منتصف النهار البرتغالى . من هو بيسوا ؟

بيير أوركاد الذى عرفه فى أخريات حياته يكتب
عنه « لم أجرؤ أبداً حين ودّعته على أن أستدير بوجهى .
كانت بى خشية من أن أراه وقد تلاشى وذاب فى
الهواء » . أو نسيت شيئاً ؟ لقد توفى عام 1935 فى
لشبونة من تشمع فى الكبد . تاركاً كراستين من
القصائد بالإنجليزية ، وكتاباً نحيلاً من الأشعار
البرتغالية ، وصندوقاً مليئاً بالمخطوطات .

ينبغى أن نصف حياته الخارجية بكونها سائرة فى
الظل الفاتر . أدب الهوامش . منطقة مضاءة سيئاً حيث
تتحرك - متواطئة أم مجنونة ؟ - الظلال الحائرة
لألبارودى كامپوس ، ريكاردو ريبس وفرناندو بيسوا
الذين تضيئهم اللحظة معينة الأنوار المفاجئة للفضيحة
والجدل . ثم لا شئ بعدئذ غير العتمة من جديد . إنه
المجهول - تقريباً المشهور - تقريباً . لا أحد يجهل اسم
فرناندو بيسوا ، لكن ما أقل من يعلم من هو ، وماذا يعمل .
إنه لَدُو صيت برتغالى إسبانى وإسبانى أمريكى :
« لا سمكم رنة معروفة لدى . سيادتكم صحفى أم
مخرج سينمائى ؟ ! » . لا أتخيل بيسوا حزيناً لهذا

التلبيس . رُبَّما يكون شَكْلُ درساً له بالأحرى . لقد عرف دائماً مواسم من الفوران الأدبي موصولة بمواسم من الخمود . وإذا كانت لحظات ظهوره « الأدبي » معزولة ومتشَنِّجة ، عبارة عن ضربات بالكفِّ لإرعاب القطط الأربعة للأدب الرسمي ، فإنَّ عمله المتوحدَّ تميِّز بالثبات والاستمرارية . ولسوف يمضي ككُلِّ الكسالى الكبار حياته فى وضع جَرْد بأسماء كتب لن يكتبها أبداً . وعلى غرار ما يحدث للخامدين أيضاً إذا ما كانوا مشبوبي العاطفة والخيال ، ولكى لا ينفجر ، لكى لا يُصاب بالجنون ، وخفية تقريبا ، وعلى هامش مشاريعه الكبرى ، يكتب كلَّ يوم قصيدة ، مقالة ، خاطرة تأملية . تشتت وضغط . جذبٌ وشد .. وكل شئ موسوم بالعلامة نفسها : بدافع الحاجة كتبت تلك النصوص . وهذه القدريّة هى التى تميِّز كاتباً حقيقياً عن آخر يمتلك شيئاً اسمه ببساطة : العبقرية .

فى الإنجليزية سوف يكتب أشعاره الأولى بين 1905 و 1908 . فى تلك الفترة كان يقرأ ملتون ، شلى ، كيتس ، إدغار پو . فيما بعد سيكتشف بودلير ، ويخالط عدداً من الشعراء البرتغاليين الثانويين . وبطريقة لا شعورية سوف يعود إلى لُغته الوطنية ، وإن لم يتخلَّ قَطُّ عن الكتابة بالإنجليزية . وحتى سنة 1912 كانت كفة التأثر بالقصيدة الرمزية والـ Saudasismo ⁽²⁾ هى

الراجعة . فى تلك السنة نشر محاولاته الأولى فى مجلة AAgüia لسان حال « النهضة البرتغالية » . وتمثلت مساهماته فى سلسلة من المقالات حول الشعر البرتغالى . وإنَّها لظاهرة ييسويَّة حقاً أن يبدأ بالنقد الأدبى حياته ككاتب . ليس أقل دلالة من ذلك عنوان أحد نصوصه Na Flaresta de Al - beamento . إن موضوعه الانخطاف والبحث عن الذات فى الغابة المسحورة أو فى المدينة المجردة لَهى أكبر من مجرد موضوع . إنَّها جوهر عمله . وتلك كانت سنوات بحث لديه ، ولن يتأخر فى ابتداع ما ابتدعه .

سنة 1913 يتعرف على شابَّين سوف يغدوان رفيقيه الأكيدين فى مغامرته المستقبلية القصيرة الأمد : الرسام ألامادا نيغريرا والشاعر ماريودى ساكارنيرو وصداقات أخرى : أرماندو كورتيس رودريغيز ، لويس دى مونطالبور ، وخصوصى ياشيكو الذين كانوا ما يزالون سجناء القصيدة « المنحطَّة » ، والذين سيحاولون بغرور تجديد التيار الرَّمزى . ييسوا سيبتكر الـ El Pau-lismo . وبسرعة ومن خلال ساكارنيرو المقيم فى باريس ، والذى جمعته به مراسلات محمومة سيأتى الإعلان عن التمرُّد الحداثى الكبير : مرينيتى . إن خصوبة المستقبلية لا يمكن أن تنكر ولو أن تألقها قد خبا فيما بعد بسبب تنازلات مؤسسها .

صدى الحركة كان لحظياً ، ربما لأنها كانت تمرُّداً
أكثر من كونها ثورة . كانت الشرارة الأولى ، الشرارة
التي أطلقت البارودة ، ثم سرت النار من طرف إلى آخر ،
من موسكو إلى لشبونة . ثلاثة شعراء كبار : أبوللينر ،
ماياكوفسكى وبيسوا . السنة الموالية ؛ أى 1914 ستكون
بالنسبة للشاعر البرتغالى سنة الاكتشاف أو بعبارة
أدق : سنة الولادة : ظهور ألبرطو كاييرو وتلامذته .
المستقبلى ألبارودى كامپوس والنيوكلاسيكى ريكاردو
رييس .

إن هجوم « الأنداد »⁽³⁾ هو حدث داخلى بمثابة
تحضير للحدث الخارجى العلنى : انفجار « أورفى » . إذ
فى أبريل من سنة 1915 سيظهر العدد الأول من المجلة
المعنونة باسم « أورفى » ؛ فى يوليو يظهر العدد الثانى
والأخير . أقليل هذا ؟ بل هو بالأحرى زائد على اللزوم .
فالمجموعة لم تكن متجانسة ، والاسم نفسه يدل على
أثر الرمزية .

لقد لاحظ النقاد البرتغاليون عند كارنيرو ، رغم
عنفيته ، الإصرار « الانحطاطى » . أما لدى بيسوا
فالانقسام خالص : ألبارودى كامپوس مستقبلى
خالص . أما فرناندو بيسوا فيظل باستمرار شاعراً
ياولياً .

الجمهور استقبل المجلة بالسخط ، نصوص
ساكرنيرو وكامپوس أثارت هياج الصحفيين المؤلف .
بعد الشتاء جاءت السخرية ثم الصمت .

لقد اكتملت الحلقة إذن . ماذا تبقى منها ؟ فى العدد
الأول ظهرت قصيدة « نشيد الظفر » . فى العدد الثانى :
قصيدة « نشيد بحرى » تمتلك الأولى رغم
كلماتها المكرورة وإهمالاتها ، النغمة المباشرة لقصيدة
طبكيرية ، بما تنطوى عليه من إحساس بضالة وزن
الإنسان فى مواجهة الثقل المتوحش للحياة الاجتماعية .
أما القصيدة الثانية فهى أكبر من مجرد ألعاب نار
اصطناعية للشعر المستقبلى ، إنها روح عظيمة تهذى
بصوت عالٍ وصرختها ليست حيوانية بتاتاً ولا فوق
إنسانية والشاعر ليس « إلهاً صغيراً » ، بل هو كائن
سقوط . والقصيدتان معاً تذكّران بويتمان أكثر من
مرينيتى ، بويتمان منزو ونكّار . ليس هذا كل شئ :
فالتناقض هو جوهر النسق ، وهو شكل تماسكه
الحيوى : فى نفس الوقت ، وقت كتابة النشيدين سيكتب
أيضاً : « راعى القطيع » : الكتاب اليتيم لألبرطو كاييرو ،
القصائد الملتئنة لريكاردو ريبس و Epithalamium y Antinous
« وهما - كما يقول پيسوا - قصيدتان من شعري
الإنجليزى ، جدّ مخالفتين للمألوف ، ولذلك لا يمكن
نشرهما » .

nous علّقتُ عليهما « التايمز » اللندنية و « كلاسكو هيرالد » بكثير من المجاملة وقليل من الحماس . فى سنة 1922 تظهر مساهمة ييسوا الأولى فى مُعاصر ، مجلة أدبية جديدة تحت عنوان : « رجل البنك الفوضوى » .. وإلى تلك السنوات تنتمى أهواؤه السياسية : مدائح للقومية وللنظام الاستبدادى . إنَّ الواقع دائماً يخيب ظنَّه ويُجبره على التكذيب : سوف يُضطرُّ مرَّتين إلى مواجهة الرأى العام من جهة والكنيسة والأخلاق السائدة من جهة أخرى . فى المرة الأولى من أجل الدِّفاع عن أنطونيو بوطو مؤلف : قصائد حب أورانوسية . فى المرة الثانية ضد « رابطة العمل الطلابى » التى كانت تشدد الخناق على التفكير الحر بدعوى القضاء على ما يسمى بـ « أدب سدوم » . إنَّ القيصر أخلاقى دائماً . ألبارودى كامپوس سوف يوزع ورقة تحت عنوان : تنبيه من أجل الأخلاق . فرناندو ييسوا سينشر بياناً : أمَّا المُعتدَّى عليه رَاوول ليال فيكتب منشوراً بعنوان : « درس أخلاقى لطلبة لشبونة ولا رتيابية الكنيسة الكاثوليكية » . لقد انتقل مركز الثقل من الفن الحر إلى حرية الفن . فالطبيعة المحافضة لمجتمعنا تجعل المبدع محكوماً عليه بالهرطقة والاعتراض . ولا شك أن الفنان اللامع لا يسعى إلى تجنب هذه المخاطرة الأخلاقية .

فى عام 1924 صدرت Atena : مجلة جديدة استمرت لخمسة أعداد فقط ، الواقع أن Atena هى جسر رابط بين أورفى وبين شباب مجلة حضور (1927) . كل جيل سيختار ، على ما يبدو ، تقليده الخاص . لقد تم اكتشاف پيسوا من طرف المجموعة الجديدة : فى النهاية عثر على مخاطبين ، متأخراً جداً كما هى العادة . بعد ذلك بزمان قصير وقبل سنة واحدة على وفاته ، يقع الحدث المضحك ، حدث المسابقة الشعرية المنظمة من طرف لجنة الإشهار الوطنى . موضوع المسابقة حدد بوضوح : التغنى بأمجاد الوطن والإمبراطورية . أرسل پيسوا « رسالة » وهى عبارة عن قصائد تنطوى على تأويل « تنجيمى » ورمزى للتاريخ البرتغالى . ولا شك أنها تركت الموظفين المكلفين بالمسابقة فى غاية الحيرة . منحوه جائزة من « الدرجة الثانية » . فكان ذلك آخر اختبار أدبى له .

كل شئ يبدأ فى الثامن من مارس من سنة 1914 . لكن من الأفضل نقل فقرة من رسالة لپيسوا إلى أحد شبان مجلة حضور اسمه أدولفو كاسايس مونتيرو : « حوالى سنة 1912 راودتنى فكرة كتابة قصائد ذات صبغة وثنية . لفقت بعض الأبيات على نمط الشعر الحر (ليس وفق أسلوب البارودى كامپوس) . تخلّيت عن المحاولة فيما بعد . ثم فى غمرة ما يشبه

الظلال الغامضة تبينتُ صورةً مُبهمة للشخص الذى كنتُهُ فى تلك الأثناء (كان ريكاردو ريبس قد وُلد ، من غير أن أعلم) . بعدَ عام ونصف أو عامين عنَّ لى أن أُمَازح « ساكارنيرو » باختراع شاعر رعوي ، معقِّد بعض الشئ وأبرزه للوجود كمخلوق حقيقى ، لا أتذكر الآن على أيِّ نحو . أمضيتُ بضعة أيَّام ، مُحاولاً ، من دون أن أحقق شيئاً . ذات يوم عندما كنتُ قد تخلَّيت بصفة نهائية عن المشروع – وكان ذلك يوم 8 مارس 1914 – دنوتُ من خزانة عالية وتناولتُ حزمة أوراق . شرعت فى الكتابة واقفاً كما أفعل دائماً قدر مستطاعى . وهكذا كتبتُ ثلاثين قصيدة ونيفاً بتتابع ودون توقُّف ، فى لحظة انخفاف لا أستطيع تحديد طبيعتها . لقد كان يومَ الظَّفَر فى حياتى ، ولن يتكرر عندى مثله قط . انطلقت من عنوان محدد : راعى القطيع . أمّا ماتلأه فقد كان انكشافاً لأحد ما فى داخلى أطلقت عليه مباشرة هذا الاسم البرطو كاييرو . لتغفرلى لا معقوليَّة هذه الجملة : فى ظَهَر مُعلِّمى : هذا هو الإحساس الفوري الذى خامبرنى . وهكذا ما إنْ أنهيتُ كتابة الثلاثين قصيدة حتَّى كتبتُ فى أوراق أخرى قصيدة مطر زائغ ، كتبتها كاملة وعلى الفور منسوبة لفرناندو پيسوا ... فكانت عودة من فرناندو پيسوا – البرطو كاييرو إلى فرناندو پيسوا الصرِّف . أو بالأحرى : كانت ردَّ فعلٍ من فرناندو

بيسوا ضدَّ انتفاء وجوده من خلال البرطوكاييرو ...
بظهور كاييرو سَعِيَتْ فيما بعد بطريقة غريزية
ولا واعية إلى اكتشاف تلامذة له . وهكذا انتزعت من
وثنيته الزائفة ريكاردو ريبس المستتر الذي اكتشفتُ
اسمه الذي كنتُ أراه به فى تلك اللحظة فألصقته به .
بغته ومن اشتقاق معارض لا تَجَاه ريكاردو ريبس انبثق
باندفاع مخلوق آخر من آلية الكتابة بلا توقُّف ولا
تعديلات تدفَّق نشيد بحري لألبارودى كامپوس : نشيد
موسوم باسمه المنسوب إلى شخص مُسمًى . لا أدري
ما الذى يمكن أن يُضاف إلى هذا الاعتراف .

يُقَدِّم لنا علم النفس تفسيرات شتَّى « لهذه الظاهرة » .
بيسوا نفسه الذى اهتم بحالته يطرح علينا تفسيرين أو
ثلاثة . أحدها ذو طبيعة مَرَضِيَّة فَظَّة : « يُحْتَمَل أن أَكُونُ
هستيريا نوريستينيا ... وهذا ما يفسر ، جيداً أم سيئاً ،
الأصل العضوى لأندادى » على أن أقول « أقلّ » بدلاً من
القول « جيداً أم سيئاً » . عَيْبُ هذه الافتراضات لا يكمن
فى كونها باطلة : إنها غير مكتملة . المختل عَصَبِيَّاً هو
شخص ممسوس . لكن أنْعُدُ المتحكِّم فى اختلالاته
مريضاً ؟

يعانى المختل من ضغط وساوسه . أما المبدع
فَيَتَمَلَّكُهَا ويحوِّلُهَا . يحكى بيسوا كيف أَنَّهُ مُنْذَ كان طفلاً
وهو يعيش وسط شخوص متخيّلين .

« لا أدري إن كانت الشخصوص هى العديمة الوجود
أم أننى أنا الذى لا وجود له . لا ينبغي أن نكون
دوغمائيين فى مثل هذه الحالات » .

أندادُ پيسوا مُحاطون بكتلة من أنصاف مخلوقات :
بارون الـ Teive ؛ جان سيول الصحفي الفرنسى
الهِجَاء ؛ برنارد سوارس شبح الشبح الأكبر فيسنطى
غيدس ؛ باشيكو ، النسخة الرديئة من كامپوس ..
ليسوا كتاباً كلهم : هناك م . ر . . غروس المشارك دون
مكل فى مسابقات الألغاز والكلمات المتقاطعة فى المجلات
الإنجليزية (نصف معصوم حسب پيسوا ...)
وألکساندر سيرش وآخرون .. وهذا كله - فضلاً عن
عزله وإدمانه الكحولى المتفطن وأمر أخرى عديدة -
يمنحنا أضواء حول مزاجه المتميز ، لكنه لا يفسر لنا
أشعاره التى هى بحق الشئ الوحيد الذى يهمنى .

نفس الشئ يحدث مع فرضية « المنجم » التى
لا يستخدمها پيسوا الميال إلى التحليل زيادة على
اللزوم ، بما يكفى من انفتاح ، وإن كان لا يكفى عن
استحضارها .

معلوم أن الأرواح التى ترشد أقلام الوسطاء ، حتى
وإن كانت أرواح يورويپيدس أو فكتور هيجو توحى
ببلادة أدبية مضللة . تمت آخرون يجازفون بالقول إن

الأمر يتعلق بتزييف . الخطأ هنا ينطوى على فظاظة مضاعفة . فلا ييسوا كذاب ولا عمله خدعة . ثمة شيء ما على درجة فظيعة من الابتذال فى العقلية الحديثة : الناس الذين يتساهلون مع كل أشكال الأكاذيب الشنيعة فى الحياة الواقعية ، وكل .. الواقعيات .. القميئة لا يطبقون وجود الأسطورة : وتلك هى حقيقة عمل ييسوا : إنه أسطورة وتخيل . أن ننسى أن كاييرو ورييس وكامپوس مخلوقات شعرية معناه أننا ننسى أكثر من اللازم . وكما هو الشأن فى كل إبداع فإن أولئك الشعراء قد ولدوا من اللعب . الفن ضرب من اللعب ، فضلاً عن أمور أخرى ، لكن لا يوجد فن بدون لعب .

إن صحة وجود الأنداد متوقفة على تماسكها الشعرى ، وعلى احتمالياتها وبهذا المعنى فهى مخلوقات ضرورية . إذا لم يكن على ييسوا أن يكرس حياته كى يعيش مخلوقاته ويبدعها ؛ ما يحكيه الآن لا يتعلق بما إذا كانوا ضروريين لنا نحن أيضاً . فייيسوا قارئهم الأول ، لم يرتب فى واقعيته . لقد توصل ربييس وكامپوس إلى قول ما لم يكن ليقوله هو . بمناقضتهم له أظهروه ، وبإظهارهم له أجبروه على الابتكار . نحن نكتب من أجل أن نكون من نحن أو من أجل ذلك الذى لسنا إياه ،

وسواء في هذه الحالة أو تلك فإنما عن ذواتنا نبحث .
وإذا حالفنا الحظ في أن نعثر على ذواتنا - كعلامة على
الإبداع - نكتشف أننا عبارة عن مجهول . دائماً الآخر ،
دائماً هو ، غير مفصول ، غريب مع وجهك ووجهي ،
وأنت دائماً معي ودائماً وحيد .

إنَّ الأنداد ليسوا بأقنعة أدبية : « مايكتبه فرناندو
ييسوا ينتمي إلى صنفين من الأعمال نستطيع
تسميتهما : heteronimos y ortonimos ⁽⁴⁾ . لا ينبغي
اعتبار الأنداد من قبيل الأعمال المجهولة المؤلف
أو المنتحلة ؛ لأنها ليست كذلك في الحقيقة . العمل
المنتحل أو المستعار الاسم ينتمي للمؤلف بشخصه
الحقيقي إلا إذا وقَّعه باسم آخر . أما النَّدِيد فهو المؤلف
خارج شخصيته ... » . جيراردو نرقال هو الاسم
المستعار لـ جيرار لا بروني . كاييرو هو شخص آخر في
ييسوا : يستحيل أن نقع في الخلط . حالة أنطونيو
ماشادو هي الأقرب إلينا . أبيل مارتين وخوان دي ما
يرينا ليسا كل أنطونيو ماشادو : إنَّهما قناعان : لكنهما
قناعان شفافان : لا يختلف أيُّ نص لماشادو عن آخر لما
يرينا . وعلاوة على ذلك فماشادو ليس ممسوساً من
قبل تخيلاته ، فهي ليست مخلوقات مقيمة بداخله
تناقضه وتنفيه .

وعلى العكس من ذلك ، فكاييرو ، ريبس وكامپوس

هم أبطال رواية لم يكتبها پيسوا أبداً « أنا شاعر
دراماتيكي » يصرّح پيسوا في رسالة له إلى ج . غ
سيمويس . ومع ذلك فعلاقة پيسوا بأنداده لا تتطابق مع
تلك التي تجمع الكاتب المسرحي أو الروائي بشخصياته .
إنّه ليس مخترع شخوص - شعراء ، بل مبدع أعمال
لـ شعراء . الفارق إذن رئيسي . كما يقول كسايس
مونتيرو : « لقد ابتكر سيرا للأعمال ولم يبتكر أعمالاً
للسير » تلك الأعمال - بالإضافة إلى قصائد پيسوا
المكتوبة في مواجهتها ولأجلها وضدها في نفس الآن -
هي أثره الشعري . وهو نفسه سيتحوّل إلى مجرد عمل
من جملة أعماله الشعرية ، من دون أن يملك حتى
امتياز أن يصير ناقداً لتلك الزمرة من مخلوقاته النديّة
أو المستعارة . فرييس وكامپوس يعاملانه بنوع
من التعجرف . بارون الـ Teive لماماً يحييه . فيسنطى
غيدس الوثائقي يشاكلة كثيراً إلى حدّ أنّه عندما
يصادفه في حانه أحد الأحياء يشعر بقليل من الرأفة
تجاه ذاته . فهو الساحر والمسحور بسحره ، المسوس
كلية من طرف أشباحه حيث يشعر بنفسه أسيراً
لنظراتها ، ربما تحتقره ، ربما تشفق عليه . إنّ
مخلوقاتنا تحكم علينا .

ألبرتو كايير هو معلّم . يشكل هذا التأكيد الحجر
الأساس لكل أثره الأدبي . وبإمكانى أن أضيف : إن عمل

كايريرو هو التأكيد الوحيد الذي قَدَّمه پيسوا . كايريرو هو الشمس وحولها يدور ريس وكامپوس وپيسوا نفسه . جميعهم ينطوون على ذرَّات من النفي واللاواقعية : ريس يؤمن بالشكل . كامپوس بالإحساس . پيسوا بالرموز . أما كايريرو فلا يؤمن بشئ : إنه موجود فحسب . الشمس هي الحياة مترعة بذاتها . ليس للشمس نظر . كل إشعاعاتها هي نظرات متحوّلة إلى حرارة ونور ؛ وليس للشمس وعى بذاتها ، لأن التفكير والكينونة فعل واحد في ذاته .

كايريرو هو نقيض پيسوا ، هو اللاپيسوا . وعلاوة على ذلك كل ما لا يستطيع أن يكونه أيُّ شاعر حديث : الإنسان المتصالح مع الطبيعة ، قبل المسيحية ، أجل ، ولكن قبل ظهور العمل وقبل التاريخ وقبل الوعي . يرفض كايريرو ، لأجل الفعل الصرف للوجود ، ليس الإسطيطيقا الرمزية لپيسوا فحسب ، بل كافّة الإسطيطيقات ، كافة القيم ، كافّة الأفكار . أوَلَمْ يتبقَّ شئ ؟ يبقى كل شئ منقى من أشباح وهَلَلِ الثقافة . إنَّ العالم موجود لأنَّ حواسي تقول لي ، ذلك . وتقول لي في نفس الآن ، إنني أيضاً موجود . أجل . سأموت . وسوف يموت العالم . غير أنَّ الموت أيضاً حياة . تأكيد كايريرو يُلغى الموت . إذ بإبطاله الوعي ، يُبطل العدم . وهو لا يجزم بأنَّ كون كل شئ

موجود هنا معناه الإقرار بفكرة ما . يقول : الكل يوجد .
الكل موجود . وأكثر من ذلك يقول : إنه فحسب ما هو
موجود . وما تبقى محض أوهام . يتكفل كامپوس
بوضع النقطة فوق الحرف : « لم يكن معلّمى وثنياً ، كان
الوثنية بعينها » أمّا أنا فأقول : لقد كان فكرة ما عن
الوثنية .

لم يتردد كاييرو حتى على المدارس ⁽⁵⁾ ، وحينما
بلغه أنهم يطلقون عليه لقب « شاعر المادة » أراد أن
يعرف ما هذا المذهب الذى نُسب إليه . عند سماعه
تفسير كامپوس لم يُخفِ اندهاسه : « إنها فكرة
قساوسة من غير دين . تقولون إنهم يقولون الفضاء
غير متناه ؟ أودُّ أن أسألكم فى أىّ فضاء شاهدوا ذلك ؟ »
وأمام ذهول تلميذه أكّد كاييرو أن الفضاء متناه : « ما لا
حدود له ليس له وجود ... » فردّ عليه الآخر : « وماذا
عن الأرقام ؟ بعد رقم 34 يأتى 35 ثم 36 وهكذا على
التوالى ... » ظلّ كاييرو ينظر إليه بشفقة : « لكنها مجرد
أرقام ! » ثم تابع قائلاً بطفولية عجيبة : « هل يوجد رقم
34 فى الواقع ؟ » . هناك طرفة أخرى : سألوه ذات مرة :
« أسعيدٌ أنت مع نفسك ؟ » فأجاب : « لا .. أنا سعيد » .
كاييرو ليس فيلسوفاً : إنّه حكيم . المفكرون إنما يملكون
أفكاراً ، بالنسبة إلى الحكيم : العيش والتفكير فعلاً لا
ينفصلان ؛ لذلك يستحيل عرض أفكار سقراط على

لا وتسو . لم يخلف الحكماء عقائد ، بل حَفَنَة من التعاليم والألغاز والقصائد . شاو نغتسى أكثر أمانة وصدقاً من أفلاطون . فهو لا يدعى إبلاغنا فلسفة ما ، بل فقط يقصُّ علينا بضع حكايات . الفلسفة غير منفصلة عن الحكاية . هى الحكاية ذاتها . مذهب الفيلسوف يحثه على النقض ، بينما حياة الحكيم لا تقبل أى نقض أو دحض . مامن حكيم قال بإمكان تَعْلُم الحقيقة . مَا قَالَهُ كُلُّ الحكماء أو جُلُّهم ، هو أن الشئ الوحيد الذى يستحق أن يعاش هو تجربة الحقيقة . نقطة الضعف فى كاييرو لا تمكن فى أفكاره (التى هى مصدر قوته) بل هى مُتَضَمِّنَة فى لا واقعية التجربة التى تقول بالتجسيد .

آدم فى إحدى المزارع البرتغالية بدون امرأة ، بدون أطفال وبدون إله ؛ بلا وعى ولا عمل ولا دين . إحساس من ضمن أحاسيس ، كينونة من بين كينونات شتى . إذا كان الحجر حجراً فإن كاييرو هو كاييرو فى هذه اللحظة . أمّا فيما بعد فكل واحد سيصير غير ما كانه أو يبقى مثلما كان . سيان هو أم مختلف : الكل سيان لأن الكل مختلف ، إن التسمية هى الكينونة . فاللفظة التى نسمى بها الحجر ليست الحجر ، لكنها تملك واقعية الحجر ذاتها . لا يقترح كاييرو تسميات للكائنات ؛ لذلك لا يقول قط ما إذا كان الحجر عقيقاً أم حصاة . وهل الشجرة شجرة صنوبر أم شجرة بلوط . كما أنه لا

يحاول تحقيق أيّ علائق مع الأشياء . إنَّ لفظة « كَأَنَّ »
لأتردُّ ألبتة في معجمه . كُلُّ شَيْءٍ مغمور بواقعيته
الخاصة . وإذا كان كاييرو يتكلم فلأنَّ الإنسان حيوان
ناطق مثل العصفور الذي هو حيوان مجنح . ينطق
الإنسان تماماً مثلما يجرى النهر مثلما يهمل المطر .
الشاعر الفطري ليس بحاجة إلى تسمية الأشياء ؛
كلماته أشجار ، غيوم ، عناكب وسحالي . لا تلك
العناكب التي أشاهدها ، بل تلك التي أتلَفَّظُ بها . يُصابُ
كاييرو بالدهشة أمام فكرة كون الواقع يتعدَّرُ الإمساك
به : إنه هناك . في مواجهتنا ، حَسْبُنَا لمسه ، حَسْبُنَا
النطق .

لن يكون عَسيراً أن نثبت لكاييرو أنَّ الواقع
ليس أبداً في متناولنا ، وأنَّ علينا أن نسعى لتملُّكه (مع
ما في ذلك أيضاً من مجازفة أن يتبخَّر في أيدينا مع
فعل الإمساك به أو يتحوَّل إلى شيء آخر : إلى فكرة ، أداة
إلخ) . إنَّ الشاعر الفطري أسطورة ، لكنه أسطورة
تؤسس القصيدة . يعلم الشاعر الواقعي أنَّ الكلمات
والأشياء لا تتماثل ، ولذلك ومن أجل استعادة وحدة
مؤقته بين الإنسان والعالم ، يلجأ إلى تسمية الأشياء
بواسطة الصور والإيقاعات والرموز والمقارنات .
الكلمات ليست أشياء ؛ إنها الجسور التي نمدُّها بيننا
وبين الأشياء . أمَّا الشاعر فهو وعي الكلمات أيّ : أنه

نوسطالجيا واقعية ، واقع الأشياء . أكيد أن الكلمات قبل أن تصير أسماء كانت أشياء . كذلك كانت فى أسطورة الشاعر الفطرى قبل ظهور اللغة . إن الكلمات الغامضة لدى الشاعر الواقعى تستحضر فى طياتها النطق السابق على ظهور اللغة ، تستحضر ذلك التقابل الفردوسى المتوائم . النطق الفطرى الأول : الصمت الذى لا يقال فيه شئ ؛ لأن كل شئ قد قيل . كُلُّ شئ يُنقال . من هذا الصمت الذى هو نطق بكر تتغذى لغة الشاعر . لقد كان پيسوا الشاعر الواقعى والإنسان المتشكك فى حاجة إلى خلق شاعر فطرى كى يُبرر قصيدته هو .

إن ريبس وكامپوس وپيسوا يتلفظون بكلمات مِيَّة ومؤرَّخة ، كلمات ضياع وتشتيت ، هى بمثابة هاجس أو نوسطالجيا الوحدة المفقودة . ونحن نسمعها من أعماق صمت تلك الوحدة . ليس من قبيل الصدفة أن يموت كاييرو شاباً . قبل أن يبدأ تلامذته فى إنتاج أعمالهم ، فهو الأساس الذى عليه يقومون ، وهو الصمت الذى يتغذون منه .

أكثر أنداد پيسوا طبيعية وبساطة هو أقلهم واقعية . وهو كذلك لأنه واقعى أكثر من اللازم . إن الإنسان ، الإنسان الحديث خاصة ، ليس مكوناً من كل

ما هو واقعى فحسب . ليس كائناً متلاحماً كالطبيعة أو الأشياء ؛ الوعى بالذات هو حقيقته المتهافئة . كاييرو هو التأكيد المطلق للوجود . ومن ثم تبدو لنا كلماته بمثابة حقائق من زمن آخر ، من ذلك الزمن الذى كان الكل فيه واحداً غير متجزئ والكل فيه نفس الكل . أما الحاضر فما أشد رهافته وزئبقيته : مانكاد نسميه حتى يتبخر ! إن قناع السذاجة الذى يعرضه علينا كاييرو ليس هو الحكمة : أن نكون حكماء معناه أن نكف عن معرفة أننا لسنا سُذْجاً . پیسوا الذى كان يعرف ذلك كان الأقرب إلى الحكمة .

ألبارودى كامپوس هو الطرف الآخر . يعيش كاييرو فى الحاضر اللازمى للأطفال والحيوانات . بينما المستقبلى كامپوس يعيش فى اللحظة . بالنسبة للأول قريته هى مركز العالم . أما الآخر فهو كونى لا مركز له ، وهو منفىٌ فى ذلك اللامكان الذى هو كل الأمكنة . ومع ذلك فهما يتشابهان : معاً يستخدمان الشعر الحر ، معاً ينتهكان اللغة البرتغالية ، معاً لا يتجنبان الركاكة ، ولا يؤمنان سوى بما تلمسه أيديهما ، معاً يزدريان الأفكار وخارج التاريخ يعيشان . كاييرو الشاعر الفطرى ، هو من لم يستطع پیسوا أن يكونه ؛ كامپوس المتصعلك هو من كان بإمكانه أن يكونه ولم يكنه . إنَّهما يمثلان الإمكانيتين المستحيلتين الأساسيتين اللتين أتيحتا لپیسوا .

تمتلك قصيدة كامپوس الأولى نشيد الظفر أصالة
خادعة . فهي في الظاهر صدى لامع لويتمان
والمستقبلين . هي نشيد لا يمكن أن يُقارَن إلا بتلك
القصائد التي كانت تكتب في نفس تلك السنوات ، في
فرنسا وروسيا وأقطار أخرى⁽⁶⁾ ، لكن الفارق ملموس .
فويتمان آمن فعلياً بالإنسان وبالآلات ، أو بعبارة أفضل
: آمن بأن الإنسان الطبيعي لم يكن مُعادياً للآلات .
عقيدة وحدة الوجود لديه تستوعب حتى الصناعة .
والقسم الأكبر من أخلافه لا يَسِيرُ في نفس اتجاه
تخيلاته ، بعضهم يرى في الآلات لعباً مدهشة . إننى
أفكر في قاليرى لاربو⁽⁷⁾ وفي Su Barnabooth الذى له
أكثر من شبه مع ألبارودى كامپوس . إنَّ موقف لاربو
تُجاه الآلة هو موقف أبيقورى . موقف المستقبلين منها
موقف رؤيوى ، فهم ينظرون إليها كما لو كانت الدركى
المدمر للإنسانوية الزائفة و « للإنسان الطبيعى » تبعاً
لذلك . لا يقترحون أنسنة الآلة ، بل بناء نوع إنسانى
جديد مشاكل لها . الاستثناء هو ماياكوفسكى . لا ، ولا
حتى مايكوفسكى . أما « نشيد الظفر » فليست قصيدة
أبيقورية ولا رومانطيقية ولا ظفريّة : إنها نشيد غضب
واندحار ، وفي هذا تكمن أصالتها .

المصنع هنا عبارة عن « منظر استوائى » مأهول
بحيوانات عملاقة وشهوانية ، بجماع لانهاى للعجلات
والرُزْم والبكرات ، حيث الإيقاع الميكانيكى يتضاعف

وجنّة الحديد والكهرباء تتحوّل إلى قاعة تعذيب .
الآلات هي أجهزة الجنس الهدّامة : لكم أحبّ كامپوس
أن تطحنه تلك اللوالب الفوّارة : هذه الرؤية الشاذّة
هي ، فى الواقع ، أقلّ فانطسطيكية مما تبدو وهي
ليست مجردّ وسواس خاص بكامپوس . الآلات هي
التناسل والتبسيط وتكاثر الأنساق الحيوية . وهي
تَفْتَنُنَا وتبعث فينا القشعريرة ؛ لأنها تمنحنا الانطباع
الأنى للذكاء واللاشعور : كُلُّ مَا تَفْعَلُهُ تَفْعَلُهُ بِإِتْقَانٍ ،
لكنها لا تعرف ماذا تفعل . أليست هذه سمة من سمات
الإنسان الحديث ؟ غير أن الآلات هي فقط أحد وجهى
الحضارة المعاصرة . الوجه الآخر هو الاختلاط
الاجتماعى .

بالصراخ تنتهى « نشيد الظفر » ؛ إذ يفقد
البارودى كامپوس ، وقد تحوّل إلى حزمة ، طرْد ، عجلة ،
القدرة على استخدام الكلمات : فيلجأ إلى الصغير ، إلى
الصّريّر ، يقرع الأجراس ، يدقّ بعنف ويدوى ثم ينفجر .
كلمة كاييرو تستدعى وحدة البشر والحجر والحشرات .
أمّا كلمة كامپوس فتستحضر الصخب المتقطع
للتاريخ . ألوهية الكون وألوهية الآلة ، إذن ، شكلان
لإلغاء الوعى .

قصيدة طبكيرية هي قصيدة الوعى المستعاد . إذا
كان كاييرو يتساءل : ماذا أكون ؟ فإنّ كامپوس

يتساءل : من أكون ؟ من غرفته يتأمل الشارع :
السيارات ، المارة الكلاب . الكل حقيقى والكُلُّ وهمى .
الكل قريب والكل بعيد . فى المقابل يظهر صاحب
الطبكيرية ويختفى واثقاً من نفسه مثل إله ، معمى
مبتسماً مثله .. وهو يفرك يديه كأنه الأب الربُّ وقد
فرغ لتوه من عملية الخلق المريعة . يصل إستيبا إلى
مغارته - معبده - كوخه ، إستيبا اللامبالى الذى بلا
ميتافيزيقا يتكلم ويأكل . له عواطفه وآراؤه السياسية
وهو يحرس أيام العطل الجديرة بأن تُحرس . ومن
نافذته ، من وعيه يتابع كامپوس المهرجَين فيرى من
خلالهما ذاته . أين تُوجد الحقيقة ؟ فى ذاتى أم فى
إستيبا ؟ يبتسم صاحب الطبكيرية ولا يجيب . إنَّ
كامپوس الشاعر المستقبلى يبدأ بالتأكيد على أنَّ
الإحساس هو الواقع الحقيقى الأوحى ؛ بعد سنوات
سوف يتساءل عما إذا كان هو نفسه ذا وجود واقعى
بالفعل .

بالغاء كاييرو لوعيه بذاته ، يلغى التاريخ ؛ أما الآن
فالتاريخ هو الذى يُقصى كامپوس . حياة هامشية تماماً
: فإخوته ، إن كان له إخوة ، هم المشردون ، والمومسات
والمتكيس ، والشحاذ ، وأوباش العلية والأسافل . ليس
لتمردِه أيَّة صلة بأفكار الخلاص أو العدل : « كلا ، كل
شئ مقبول ماعدا أن نكون على حق ! كل شئ ماعدا أن
تقلقنى بشئون الإنسانية ! كل شئ ماعدا الانقياد

للإنسانية !» كامپوس يتمرد كذلك على فكرة التمرد ذاتها . فهو ليس نتاج فضيلة أخلاقية ، أو وَضْع مُعَيَّن للوعي ، إنَّه الوعي الصادر عن إحساس خاص : « ريكاردو ريبس وثنيُّ عن إيمان ؛ أنطونيو مورا عن ذكاء ؛ أنا وثني عن تمرد وهذا عن جبلة » . عطفه على البؤساء مصطبغ ببعض الازدراء ، ازدراء يحسه تجاه نفسه قبل كل شيء :

أشعر بعطف نحو جميع أولئك الناس

خاصة عندما لا يستحقون أيَّ عطف

أجل ، أنا أيضاً صعلوك وشحاذ .

أن تكون صعلوكاً وشحاذاً لا يعنى أنك صعلوك شحاذ .

يعنى أنك موجود خارج التراتب الاجتماعى ...

يعنى ألا تكون قاضى القضاة ولا الموظف المسمّر فى وظيفته ،

ولا المومس ، أو العديم المهابة ، العامل المستغل ، المريض

بداء عضال ، أو المتعطش للعدالة ، أو قبطان الفروسية ،

يعنى ألا تكون ، فى النهاية ، واحداً من تلك

الشخصيات الاجتماعية لدى الروائيين الذين أتحموا
حروفاً ؛ لأنَّ لهم موضوعاً يستثير دموعهم .

والذين يتمردون على الحياة الاجتماعية ؛ لأنهم
يظنُّون أن لهم أسباباً للتمرد »

إنَّ تصعلُكَّه وكُدَيْتَه لا تَقَع تبعتهما على أىَّ ظرف
من الظروف ؛ إذ لافكاك منهما ولا علاج لهما . أن أكون
صعلوكاً هكذا هو : « أن أكون وحيداً مع رُوحى » وفيما
بعد ، وبذلك الفظاظاة الفضائحية التى ميَّزت پيسوا : « لا
أتوفَّر حتى على تعلَّة هى ملكة اكتساب آراء اجتماعية ...
أنا واع . لا مجال للإستطبيقا مع حكايات القلب هذا . أنا
واع . خراء . واع أنا » .

إن الوعى بالمنفى هو علامة ثابتة للقصيدة الحديثة
منذ قرن ونصف . لقد جعل جيراردو نرقال من نفسه
أميرا لأكيتانيا ؛ أما ألبارودى كامپوس فقد اختار لنفسه
قناع المتصعلك . الانتقال هنا كاشف . تروبادور هو أم
شحاذ ؟ ماذا يخفى هذا القناع ؟ لا شئ ربما . ما الشاعر
إلا وعيه بذاته ، وعيه بلا واقعيته التاريخية . ولا يَغْرَقُ
المجتمع فى لاشفافيته الخاصة إلا عندما ينسحب ذلك
الوعى من التاريخ . ويعود إستيبا أو صاحب الطبكيرية
إلى موقعه . لن نعدم من سيقول : موقف كامپوس ليس
« إيجابيا » . كسايس مونتيرو قدَّم جواباً مفحماً
بخصوص مثل هذه الآراء النقدية : « أعمال پيسوا هى

فى الواقع أعمال سلبية لاتصلح كنموذج أو قدوة لا تعلمنا أن نكون حاكمين ولا أن نكون محكومين . بل هى تصلح للنقيض تماما : لإفساد النفوس .

كاميوس لا ينطلق ، مثل كاييرو ، ليكون كل شئ ، بل ليكون الجميع ويوجد فى جميع الجهات . إنَّ ثَمَنَ السقوط فى التعدُّ يُؤدَّى بفقدان الهوية . ريكاردو ريبس⁽⁸⁾ يختار الإمكانية المضمرة فى قصيدة أستاذة . إذا كان كاميوس صعلوكاً فإن ريبس ناسك . ونسكه فلسفة وشكل . فلسفته خليط من الرواقية والأبيقورية . أما الشكل فهو الهجاء والنشيد والرتاء على غرار الشعراء النيوكلاسيكيين . ، وتظهر النيوكلاسيكية فقط من حيث هى نوع من النوسطالجيا ، أى من حيث هى رومانطيقية مبهولة أو متنكرة .

بينما كان كاميوس يكتب مونولوجاته المطولة الأقرب ، كُلُّ مرة ، إلى التأمل الباطنى منها إلى النشيد ، كان صديقه ريبس يحكُّ أناشيد قصيرة حول اللذة ، هروب الزمن ، ورود ليديا ، حرية الإنسان الخادعة ، بطلان الآلهة . لقد تلقى تعليمه فى معهد (الجزويت) اليسوعيين ، واحترف مهنة الطب . فلكى النزعة . نفى إلى البرازيل منذ 1919 . وثنى متشكك عن عقيدة . لا تينوى عن تعلم . خارج الزمن يعيش ريبس . يبدو ، وهو ليس كذلك ، إنساناً من الماضى : لقد اختار أن يحيا فى حكمة لا زمنية . منذ زمن قريب أشار سيورن إلى

أنَّ قرننا هذا الذى اخترع الكثير من الأشياء ، لم يتوصل إلى ابتكار ما نحن بأمسِّ الحاجة إليه . وليس من الغرابة فى شىء أن يلجأ البعض إلى البحث عن هذا الذى ينقصنا فى التقليد الشرقى : فى الطاوية ، بوذية الزن ، الواقع أن رواقية ريبس هى صيغة تخلُّ عن الوجود فى العالم من دون تخلُّ عن الوجود فيه . وإنَّ لأفكاره السياسية معنى مشابهاً : فهى ليست مشروعاً أو برنامجاً ، بل نفيّاً لوضع معين لأشياء معاصرة . هو لا يكره المسيح ولا يحبه ؛ يبغض المسيحية وإن كان يُقرُّ فى النهاية عندما يفكر فى يسوع بكون « أسلوبه المظلم المؤلم قد حَمَلَ إلينا ما كان ينقصنا » . إنَّ القدر هو الإلاه الحقيقى عند ريبس ، والجميع بشراً وأساطير خاضعون لجبروته .

الشكل لدى ريبس عجيب رتيب ، مثل كل شىء مصنوع بإتقان . إنَّ تلك القصائد القصيرة تُشعر بوجود مزيج خبير ومقطَّر من النيوكلاسيكية البرتغالية ومن الأنطولوجية الإغريقية المترجمة إلى الإنجليزية . ومسألة تقويم لُغته أقلقَت بيسوا غير ما مرَّة ، يقول : « يكتب كاييرو البرتغالية سيئاً . كامپوس يفعل ذلك بطريقة معقولة ، رغم ارتكابه لهنات مثل « yopropio » بدل « yo mismo » ؛ ريبس أفضل منى مع نقاوة أعتبرها مفرطة » . إن المبالغة المُسرَّنة لكامپوس تتحوَّل بفعل حركة طبيعية جداً من

التعارضات إلى دقة ريس المبالغ فيها .

لا الفلسفة ولا الشكل بقادرين على تبرير وجود
ريس . إلا إذا كانا يُريدان تبرير الشبح وحده . لأنَّ
الحقيقة هي أنَّ ريس لا وجود له وهو يعلم ذلك .
بإشراق أكثر مضاءً من ذلك الذى عبَّر عنه كامپوس نجد
ريس يتأمل :

لا أدري ممَّن جاءنى تذكر ماضى .

آخر كنتُ ، لا أكاد أتعرف على ذاتى .

عندما أستشعر مع روى تلك الروح الغريبة .

التي أتذكرها ساعتئذٍ .

من يوم لآخر ، سوف نهجر أنفسنا

لا شئ مؤكداً يربطنا بذواتنا

نحن هم من نحن الآن

ماكنأه هو ما يرى من الداخل .

المتاهة التي يضيع فيها ريس هي ذاته بعينها .
والنظر الداخلية للشاعر ، وهي شئ مختلف تماماً عن
التأمل الباطنى ، تقربه من ليسوا . وهما وإن كانا
يستعملان أوزاناً وأشكالاً ثابتة فليست التقليدية هي ما
يجمعهما لأنهما ينتميان إلى تقليدين مختلفين . ما
يُوحدهما هو الإحساس بالزمن ، لا كشيء يمرُّ أمامنا ،

وإنَّما كَشَى يَغْدُو نَحْنُ هُوَ .

كاييرو وكامپوس أسيرا الزمن الآنى يؤكدان
الكينونة أو غياب الكينونة عبر الجرح نفسه .. رئيس
ويسوا فى المسالك الوعرة لفكريهما يضيغان . وفى
أحد المنعرجات يدرك أحدهما الآخر . وبذوبانهما فى
ذاتيهما معاً يغرقان فى معانقة الظل . إنَّ القصيدة ليست
تعبيراً عن الكائن ، بل هى إحياء لذكرى لحظة ذلك
الذوبان ، ذلك الأثر الخواء . ويسوا سَيُشِيدُ معبداً
للمجهول . رئيس القنوع يكتب هجاء هو بمثابة كتابة
قبرية :

يمكن للقدر أن يمنع عنى كل شئ

سوى أن أراه : رواقى بدون خشونة

سأتلذذ ، حرفاً حرفاً ، بالحكم

الذى أصدره القدر .

يستشهد ألبارودى كامپوس بجملة لريكاردو
رئيس : أكره الكذب لأنَّه عديم « الدقة » وهى جملة يمكن
أن نطبّقها على ويسوا شريطة عدم خلط الكذب بالتخيل
و« الدقة » بالصرامة : قصيدة ويسوا فائقة الدقة مثل
رسم خطى . مثل الموسيقى دقيقة ومركّبة . إنَّه شاعر
مركّب ومتعدّد يتحرك فى اتجاهات مختلفة : النثر ،
الشعر بالبرتغالية ، والشعر بالإنجليزية (ينبغى أن

ننسى قصائده المكتوبة فى الفرنسية) أعماله النثرية التى لم تُنشر كاملةً بعد . يمكن بعد تصنيفها إلى صنفين كبيرين : ما وقَّعه باسمه ، وما كتبه بأسماء مستعارة نذكر منها أساساً : بارون الـ Teive الأرستقراطى ، وبرنارد سواريس متعاطى التجارة ... وفى فقرات متعددة يشدد بيسوا على أنهما ليسا من الأنداد .. « كلاهما يكتب بأسلوب هو أسلوبى ، جيداً كان أم رديئاً ... » الوقوف عند القصائد الإنجليزية ليس ضرورياً : لأنها - حسبما يبدو لى - ذات صلة قوية بالشعر الإنجليزي ، بدون التقليل من أهميتها الأدبية والسيكولوجية .

أما الأعمال الشعرية بالبرتغالية منذ 1902 حتى 1935 فتضم « رسالة » القصيدة الغنائية ، وكذا القصائد الدرامية وهى ذات قيمة هامشية حسب رأى ، إذ حتى لو أقصيناها فسيبقى عمل شعري متنوع وشاسع فرمتناولنا . لكن هناك فارق أولى : جميع « الأنداد » يكتبون فى نفس الاتجاه وفى نفس التيار الزمنى . أما بيسوا فيتفرع كالدلتا وكل ذراع من ذراعيه تقدم لنا صورة أو صوراً للحظة واحدة .

فى « رسالة » تتفرع القصيدة الغنائية ، وفى ديوان الأغانى (مع تلك القصائد المتفرقة وغير المنشورة) والقصائد الهرمسية . إن الترتيب ، كما يحدث دوماً ، غير مطابق للواقع « فديوان الأغانى »

كتاب رمزي مشبع بالهرمسية وإن كان الشاعر لا يستخدم التقليد الباطني من الناحية التعبيرية . و « رسالة » هي فوق كل شيء كتاب في علم أشعرة الأشراف heraldica ال heraldica تمثل قسماً من السيمياء ... وتبقى القصائد الهرمسية في شكلها وروحها قصائد رمزية : وإدراك محتواها لا يتطلب أن يكون المرء معلماً من الأقطاب ... إنها تتطلب كسائر آثاره أصعب وأرفع درجات التفهم الروحي .

أن نكون على بينة من اهتمام رامبو بالقبالة وبمطابقته بين القصيدة والسيمياء هو شيء مفيد ولا شك ، لأنه يقربنا من عمله الذي يتطلب منا إلى جانب ذلك وبُغية التغلغل في عالمه ، شيئاً أكثر وشيئاً أقل : لقد حَدَدَ بيسوا ذلك المطلوب على هذا النحو : خَفَّةُ روح ، حدس ، فهم ، ذكاء ؛ ثم ما هو أصعب : تساهل ... لربما يبدو هذا التعداد مغالياً بعض الشيء . غير أنني لا أدرى كيف يمكن أن نقرأ بدون هذه الشروط الخمسة حقاً بودلير وكولردج وييتس . وفي جميع الأحوال فإن الصعوبات القائمة في قصيدة بيسوا هي أقل مما تُصادف في شعر هولدرلين ونرثال وملازمي من صعوبات ... القصيدة لدى الشعراء الحداثيين هي نظام من الرموز والتناظرات مشابه لنظيره في العلوم الهرمسية ، مشابه لا مطابق . القصيدة كوكبة علامات هي سيدة سطوعها الخاص .

لقد تصوّر بيسوا رسالة بمثابة طقس أو شعيرة ،
أى باعتبارها كتاباً سرّياً ... وبالنظر إلى جانب الإتيقان
الخارجى يمكن أن نعدّها عمله الأكثر اكتمالاً بيد أنّها
كتاب مصنوع صنعا ، لا أقصد القول بعدم شفافيته ، بل
الإشارة إلى أنّه ليس وليد حدوس الشاعر بل ، وليد
التأمّلات وإعمال الفكر ... يبدو الكتاب للوهلة الأولى
نشيداً يسبح بأمجاد البرتغال متنبئاً بإمبراطورية
جديدة (الخامسة) سوف تكون روحية هذه المرة
لأمادية كما فى السابق ، وسوف تمتد هيمنتها إلى
ما هو أبعد من المكان والزمن التاريخى (سيذكر
القارئ المكسيكى « الجنس الكونى » لـ
فاسكونسالىس) . إن الكتاب عبارة عن معرض
لشخصيات تاريخية وأسطورية منقولة من واقعها
ومحوّلة إلى مجازات تنتمى إلى واقع آخر . ومن غير أن
يكون واعياً تماماً بما يفعل يُجرّد بيسوا تاريخ
البرتغالى الفعلى ، ويحلّ محله تاريخاً آخر روحياً
خالصاً ينفى . ولعل الطبيعة السرية لـ رسالة تمنعنا من
قراءتها كمجرد قصيدة وطنية ، كما يُريد بعض النقاد
الرسميين . لكن علينا أن نضيف أن رمزيته لا تنقذه من
وضوح مراميه . فلكى تكون الرموز رموزاً بحق لا بد أن
تتخلّى عن رمزيته وأن تصير مخلوقات حية حساسة
لا مومياءات فى متحف .

فى « رسالة » كما فى كافة الأعمال التى يتدخل فيها

الجهد الإرادى أكثر مما يتدخل الإلهام لا نجد إلا قصائد قليلة ترقى إلى تلك الدرجة من العذوبة المميّزة للشعر المنتمى للأدب الجميل . لكن القصائد القليلة تلك إنما تحيا فى نفس الفضاء السّحرى الذى تحيا فيه أفضل قصائد « ديوان الأغانى » إلى جانب بعض السوناتات الهرمسية . ما الذى يحويه هذا الفضاء ؟ يستحيل معرفة محتواه الفضاء هو فضاء القصيدة الخالصة ، هو منطقة حقيقية مُمُوسة . مضاءة بضوء آخر . لا يهم أن تكون تلك القصائد قليلة . لقد قال جوتفريد بن : لا أحد ، ولا حتى أكبر شعراء عصرنا خلّفوا أكثر من ثمان أو عشر قصائد فى غاية الاكتمال . من أجل ست قصائد ، ثلاثون أو أربعون سنة من التنسُّك ، من المعاناة ومن الكفاح .

ديوان الأغانى هو عالم مكوّن من قليل من الكائنات وكثير من الظلال . لكن تنقصه الشمس المركزية ، تنقصه المرأة . فى غيابها يضمحلّ العالم المحسوس ، لا أرض ولا ماء ، ولا إمكانية لتجسّد اللامحسوس . تنقصه الملذات المرعبة والمحرمّة . ينقصه الحب الذى هو الرغبة فى كائن أوحد أياً كان . هنالك شعور مبهم بالأخوة تجاه الطبيعة : أشجاراً ، غيوماً ، حجراً . تجاه كل ما ينفلت وكل ما هو معلق فى فراغ الزمن . إنَّ لا واقعية الأشياء هى انعكاس للاواقعيّتنا نحن . ثمت إنكار وضجر وغم .

فى كتاب القلق الذى لا نعرف عنه سوى بعض المقاطع ⁽⁹⁾ يصف پيسوا وضعه الأخلاقى قائلاً : أنتمى إلى جيل ترعرع مجرداً من الإيمان بالمسيحية . ثم افتقد هذا الإيمان فى كل المعتقادات الأخرى ؛ لم نكن متحمسين للمساواة الاجتماعية أو للجمال أو التقدم ؛ ولأ كُنَّا نبحث عن طرائق دينية أخرى فى المشرق أو المغرب (« مامن حضارة إلا وهى منتسبة إلى الدين الذى يمثلها : بفقداننا ديننا فقدنا أنفسنا جميعاً ») . بعضنا تفرغ لغزو اليومى . بعضنا الآخر من طينة أفضل : انسحب أو بالأحرى انسحبنا من الانشغال بالقضايا العامة بدون أن نتعلق بشئ أو نرغب فى شئ . آخرون منا استسلموا لعبادة الصخب والإلهام : يحسبون أنهم يحْيُونَ إذ ينصت بعضهم إلى بعض ، ويحسبونَه حباً احتكاكهم بقشور الحب ... أما بعضنا الآخر ممن ينتمى إلى السلالة الأخيرة ، سلالة نهاية الحضارة أو الحد الروحى الأقصى لساعتنا الميَّنة فقد اخترنا العيش فى نفى دائم برم مغموم » . هذه الصورة ليست صورة پيسوا بيد أن القعر الذى يبرز فيه وجهه متداخلاً أحياناً عديدة معه . الحد الروحى للساعة الميَّنة . أجل : إن الشاعر إنسان خاوٍ يلجأ ، وقد تخلَّت عنه العناية ، إلى خلق عالم خاص به كى يكتشف هويته الحقيقية ... كل عمل من أعمال پيسوا هو سعى محموم وراء الهوية المفقودة . يقول فى إحدى قصائده المستحضرة بكثرة :

« مُرَّاء هو الشاعر يبلغ من المراءاة حدًّا يجعله يدَّعى
بأنه أَلَم فظيع هو ذلك الألم الذى يُحسُّه بالفعل » . وهو
« إذ يقول الحقيقة يكذب . وإذ يكذب يَقُول الحقيقة » .
لسنا أمام اسطيطيقا معينة ، بل نحن ببساطة أمام فعل
إيمان . القصيدة هى بمثابة كشف عن لا واقعية هذا
الفعل :

بين ضوء القمر وأوراق الشجر

بين الهدوء وممر الأشجار

بين الليل المخيم والنسيم العليل

يمرُّ سرُّ

فتتبعه رُوحى مقتفية أثره .

أهو ييسوا ذاك الذى يمرُّ أم شخص آخر ؟ سؤال
يتكرَّر طوال توالى القصائد والأعوام . وهو لا يدرى
إن كان ما يكتبه ينتسب إليه حقا ، أو بالأحرى يدرى
إن كان هو بالفعل فإنه ليس أبداً هو . « لماذا أحكم
مخادعاً بأن ما هو لى إنما هو لى ؟ » إن البحث عن الأنا
- مفقوداً وموجوداً ومفقوداً مرة أخرى - ينتهى إلى
الاشمئزاز :

« إنه الغثيان ، اللاشئ : أن نوجد لأجل الأ نموت » .

من خلال هذا المنظور فقط نستطيع إدراك المدلول
القبالى « للأنداد » . فهم ابتكار أدبى وضرورة

سيكولوجية معاً . غير أنهم أكثر من ذلك . إنهم بصيغة
من الصيغ أولئك الذين كان باستطاعة ييسوا
أن يكونهم أو من كان يريد أن يكونهم ؛ ولنقل بتعبير
أعمق : إنهم بالذات مالم يكن يرغب فى أن يكون : مجرد
شخصية من الشخصيات ... فى الحركة الأولى
يصنعون قطيعة مع المثالية ومع المعتقدات الفكرية
لصانعهم . وفى الحركة الثانية يظهرون أن الحكمة
الفطرية والساحة العمومية والزهد الفلسفى ماهى إلا
محضٌ أوهام . إنَّ الآتى مثلُ المستقبلِ غير صالح
للإقامة ؛ والرواقية دواء قاتل . ومع ذلك فإنَّ تدمير الأنا
الذى ما هو إلا « الأنداد » أنفسهم يُثمر خصوبة سرية .
الصحراء الحقيقية هى الأنا ليس فحسب لكونها تسجننا
داخل ذواتنا حاكمة علينا بأن نحيا مع مجرد شبح ، بل
لأنها تُذبلُ كُلَّ ما تمسُّه . إن تجربة ييسوا تندرج ، ربما
حتى من غير أن يكون هو قد طرح ذلك ، ضمن التقليد
الذى خطه شعراء الحداثة الكبار منذ نرغال
والرومانطيين الألمان . الأنا يعوق . الأنا هو العائق .
لذلك فإنَّ كل رأى يقتصر على الجانب الإسطييقى
لأعماله هو رأى قاصر قطعاً . وإذا كان صحيحاً أنَّ
جميع ما كتبه ليس على مستوى واحد من الإجادة ، فإنَّ
جُلَّ ما كتبه إنَّ لم نُقلْ كله موسوم بآثار بحثه ومسعاها
المضنى . أعماله هى خطوة نحو المجهول ، وشغف
بتملكه .

لا ينتسب پيسوا لا إلى هذا العالم ولا إلى العالم الآخر .. وحدها كلمة « غياب » فى مقدورها أن تعرفه ، إذ فهمناها على أنها تعنى حالة سيولة حيث الحضور يتلاشى وحيث الغياب يكون إيذاناً بماذا ؟ بلحظة لم يَعدُ للحاضر فيها وجود ولما يكْدُ يبرز ذلك الذى ربما سيكون .. إن الصحراء المتمدنة تتغطى بالعلامات : الحجر ينطق .. الريح تتكلم .. والأشياء كل الأشياء تقول لا هذا الذى أقول بل شيئاً آخر . دائماً شئ آخر نفس الشئ الذى لا يقال أبداً . إن الغياب ليس حرماناً فحسب ، بل هاجس حضور لا يظهر مكتملاً ألبتة . ثمت قصائد هرملسية وأناشيد تتفق مصادفة : فى الغياب ، فى اللاواقع الذى نحن فيه . ثمت حضور شئ ما .

وسط الناس والأشياء الغفيرة منذهلاً يسير الشاعر عبر شارع فى الحى القديم . يدخل إحدى الحدائق . تتحرك الأوراق كأنها على وشك أن تقول ... لا ... لا لم تقل شيئاً ... تلك هى لا واقعية العالم فى الشعاع الأخير للمساء . كل شئ ساكن ... كل شئ فى حالة انتظار ... يعرف الشاعر أخيراً أنه بلا هوية ، وأنه شبيه بتلك الأشياء . المذهبة تقريباً ، الواقعية تقريباً . شبيه بتلك الأشجار المعلقة فى الزمن اللحظى ... يغادر هو الآخر ذاته ... من غير أن يظهر الآخر ، الآخر الصنّو، پيسوا الحقيقى لن يظهر أبداً للعيان : لا يوجد آخر . ما

يتراءى ، مُلمّحاً ، هو شئ آخر ... هو ما لا اسم له ، وما
ليس يقال ، وما تتمسك به كلماتنا الفقيرة . هل هو
القصيدة ؟ كلا : القصيدة هي ما يتبقى ، ما يمنحنا
العزاء . الوعي بالغياب . وَمِنْ جديد ثُمّت صوت ، حفيفٌ
شئ ما : پیسوا أو انبثاق المجهول .

باريس 1961

ثلاث قصائد
لألبارودي كامپو

نشيد بحرى

وحدى ، فى هذه الصبيحة الصيفية ، على
الرصيف الخالى أنظر إلى عارضة النهر ، إلى
اللامحدّد .

أنظر وأنا مبتهج بمرأى سفينة محيطات ، صغيرة ،
سوداء ، واضحة تدخل الميناء .

بعيدة ما تزال ، جليّة ، كلاسيكية على
شاكلتها ، تاركة وراءها فى الهواء القصى ذيلها الدخانى
المبهم .

هى ذى تدخل الآن ، فيدخل بمعيتها الصباح ، وفى
المرفأ النهرى تستيقظ الحياة البحرية ، هنا وهناك ،

أشرعة تُرفع ، جرّارات تتقدّم ،

مراكب صغيرة تنبثق من وراء السفن الراسية فى
الميناء .

ثمت نسيم غامض :

بيد أن نفسى مع مالا يُرى إلا من بعيد ،

نفسى مع سفينة المحيط وهى تدخل الميناء ،

لأنها تنتمى إلى المدى ، إلى الصباح ،

إلى الوجهة البحرية لهذه اللحظة ،

لأنها مع العذوبة المؤلمة المتصاعدة كالغثيان

فى داخلى ، كبداية دوخة ، لكن دوخة فى الروح .

أنظر إلى سفينة المحيط آتية من بعيد وأنا مفعم

بتحرر هائل فى الروح ، وهناك بداخلى

محركٌ يشرع ببطء فى الدوران .

سفن المحيطات اللائى يدخلن عارضة الميناء فى

الصباح

يَجْلِبْنَ معهنَّ كلَّ شئٍ حتى عينيَّ ذاتيَّهما .

يجلبن الأسرار الحزينة والمفرحة لمن يصل ومن

يرحل .

يَجْلِبْنَ ذَاكرات أرصفة بعيدة ، وذاكرات لحظات

أخرى ،

لأنماط أخرى من نفس الحياة الإنسانية في مناطق
مختلفة .

كُلُّ رُسُوٍّ وَكُلُّ إِقْلَاعٍ

— أحسُّ به إحساسى بدمى نفسه —

محملٌ لا شعوريا برمزية طاغية ، وهو يتوعدنى

بدلالات ميتافيزيقية تُخلخلُ فى من كنته من

قبل ...

آه ، الرصيف كله لوعة من حجر !

عندما تغادر السفينة الرصيف

فنحسُّ ، فجأة ، أن مسافة متزايدة قد انفتحت

بين الرصيف والسفينة ،

ينتابنى ، بدون أن أعرف لماذا ، قلق طارئ ،

ضباب من مشاعر الحزن

يلمع تحت شمس هواجسى المتجددة

مثل النافذة الأولى التى يطرقتها الصباح ،

ضبابٌ يُلْفُنِي كذكرى شخص آخر

كان جزءاً منى فى الخفاء .

آه ، من يدري ، من يدري

إن لم أكنُ رحلتُ ، فى الزمن القديم ، قبل مجيئى ،
من أحد الأرصفة . إن لم أكنُ خلَّفتُ ، مركباً تحت
الشمس

ثملاً بالشروق ؟

صيفاً آخر من الموانئ ؟

من يدري إن لم أكنُ خلَّفتُ ، قسبل أن تشرق من
أجلى

ساعة العالم الخارجى وفق رؤيتى ،

رصيفاً هائلاً مكتظاً بأناسٍ قلائل

فى مدينة نصف مستيقظة

مدينة تجارية ، هائلة ، مهددة ،

إن كان ممكناً حدوث ذلك خارج المكان والزمان ؟

أجل ، من رصيف حقيقى ؛ رصيف ماذى على
نحو ما ،

واقعى ، مرئى كرصيف

ذلك الرصيف المطلق المُحاكى فى اللاشعور ،

والذى نستوحيه بدون وعى نحن الرجال
حينما نشيدُ أرصفتنا على الموانئ ،
أرصفتنا من الأحجار الراهنة فوق المياه الحقيقية ،
أرصفتنا التى ما إن يكتمل بناؤها حتى تظهر فجأة
كما لو أنها أشياء - حقائق ، أشباح - أشياء ،
أشياء - كيانات من حجر - روح ،

إزاء لحظات معينة من الإحساس - الجذرى
عندما فى العالم الخارجى ، وكأن باباً يفتح ،
يبدو كل شئ مختلفاً
بدون أن يتغير شئ .

آه يا للرصيف الأكبر الذى منه أقلعنا فى السفن
الدولية !

الرصيف الأكبر السابق ، الإلهي والخالد .
من أى ميناء ؟ وفى أية مياه ؟ ولماذا أفكر فى هذا
كله ؟

الرصيف الأكبر كبقية الأرصفة ، الرصيف الفريد .
الملئ مثلها بالوشوشات الصامتة كل صباح
والمشرع مع الصباح لصخب الرافعات ،

ووصول قطارات البضائع
تحت السحابة السوداء العابرة والخفيفة
للدخان الصاعد من مداخن المعامل القريبة
والذى يظل الأرض المسودة بالرماد الفحمي
اللامع
كما لو كان ظلاً لسحابة ما لدى مرورها فوق المياه
القائمة .
آه ، أى سرّ جوهري ، تُرى ، وأى معنى يخبئهما
الانخطاف الإلهي الكشاف
فى ساعات السكينة والقلق
من كونٍ لا جسرَ هناك يفصل أيّ رصيف عن
الرصيف !
الرصيف المنعكس ، مُحلّولاً ، على المياه الساكنة ،
ثمت دوىٌّ على ظهر السفن ،
أوه لروح الركاب الشاردة القلقة ،
روح الناس الرمزيين الذين يمرون ، مع أولئك
الذين لا يمكنون لحظة واحدة ،
وإذن ، كلما عادت إلى الميناء سفينة
لابدّ من توقع حدوثٍ جديدٍ على متنها !
أوه للهروب المتواصل ، الذهابِ الذهابِ ، نشوةِ

المتنوع !

يا لروح البحّارين الخالدة ويا لروح الإبحار !
قبّعات معكوسة ببُطءٍ على المياه
عندما تُقلع من الميناء السفينة !
أنْ نطفو كأنّنا روح الحياة . أن نرحل مثل صوت
أن نعيش اللحظة ارتعاشاً ، فوق المياه الخالدة ،
أن نُفِيقَ على نهارات أقومَ من أيام أوروبا .
أن نشاهد موانئ سرية فوق عزلة البحر ،
أن نطوى أطرافاً نائية صوب مشاهد فسيحة غير
متوقّعة

لأنحدارات مدهشة لا تحصي ...
أوه يا للشواطئ القصية ، الأرصفة المرئية من بعيد
الشواطئ الدانية ، الأرصفة المرئية عن كثب !
سرُّ كل زهاب وكل إياب ،
اللاثباتُ والاستغلاقُ المعدّبان
لهذا الكون المتسحيل .
كل ساعة بحرية جديدة في الجلد نفسه تُحسُّ
والنشيح العبثي الذي تذرّفه أرواحنا

على امتداد بخار مختلفة ذوات جزر نراها من
بعيد ،

على الجزر البعيدة للشواطئ المتجاوزة عند
المرور ،

على ذلك التنامي البين للموانئ بمنازلها وسكانها
أمام السفينة التي تقترب .

أوه ، لطرواة الأصباح التي يتم الوصول فيها
وشحوبُ الأصباح التي يُرحل فيها ،
عندما تقلص أحشاؤنا

وينتابنا إحساس غامض يشبه الخوف
- الخوف السحيق المتوارث من الابتعاد والرحيل ،
الارتياح المتوارث والسرى من الوصول ومن
الجديد -

يُقَطَّبُ جلدنا ويُغْتَنَّى ،
وَكُلُّ جسدنا الجَزَعُ يُحسُّ
كما لو كان هو روحنا بالذات ،
برغبة لا تفسير لها في أن يستطيع الشعور بذلك
على نحو مختلف :
أهو حنين إلى شيء ما ،

أم ارتباك في الشاعر ؟ نحو أيّ وطن مبهم ؟
نحو أيّ ساحل ؟ أية سفينة ؟ وأيّ رصيف ؟
ويمرض الفكر فينا

ولا يبقى في داخلنا سوى فراغ هائل ،
امتلاء أجوف بلحظات البحر
ونهم غامض كان سيكون حجراً أو ألماً
لو عرّف كيف يكونه ...
الصباح الصيفي بارد قليلاً مع ذلك ، ثمت
سبات خفيف من ليلة الأمس ما يزال عالقاً بهبات
الهواء .

في داخلي يتسارع دوران المقود .
سفينة المحيط تدخل الآن ؛ لأنها داخلة ولا ريب .
ولو لم أرها تتحرك في مداها البعيد .
تبدو قريبة في المخيلة ومرئية تماماً
بجميع الامتدادات الخطية لكوائتها ،
كلّ ما في يرتعش ، كل اللحم وكل الجلد ،
لأجل ذلك الكائن الذي لن يصل أبداً في أية سفينة
والذي جئت اليوم لانتظاره على الرصيف تلبية
لتوكيل غامض .

السفن التى تَلَجُ العارضة ،
 السفن التى تغادرُ الموانئ ،
 السفن التى تمرُّ من بعيد
 (أفترض رؤيتَهنَّ من شاطئٍ مقفر)
 - كل تلك السفن ، المجرّدة تقريباً فى مَخُورها
 العباب ،
 تهزُننى كما لو كانت شيئاً آخر ،
 لا مجردَ سفن ، سفن تمضى وتجى .
 لأنَّ السفن المشاهدة عن قرب وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بقصد
 الإبحار فيهنَّ ،
 المشاهدة من أسفل ، من التَّنَكَات ، أعالى الأسوار
 الصفيحية ،
 والمرئية من الداخل ، عبر القُمرات ، الصالونات ،
 غرف الطعام ،
 الصواري وهى ترفرف فى الأعلى ،
 وقد جُرُفت الحبال وأنزلت السلاالم المُتعبة ،
 واستُنشِقَ كل ذلك المزيج الطلائى المعدنى
 والبحرى
 - تلك السفن ، مرئية عن قرب . هى نفس السفن

وهى شئ آخر ،
إنها تَهَبُ نفس الحنين ونفس الجزع بصيغة
مختلفة .

يا حياة البحر كلها ! كل شئ فى الحياة البحرية !
لقد تشرب دَمى كل ذلك الإغواء الرهيف
وأغرق فى تأمل جميع الأسفار بلا تحديد .
أوه . يا لخطوط السواحل البعيدة المسقوفة
بالأفق !

أوه . للأطراف ، الجزر ، الشطآن الرملية !
عزلات البحار كعزلة تلك اللحظات فى المحيط
الهادى
التي جعلنا نشعر ، فى أعصابنا ، لا أدري بتأثير
من أية
أوهام تلقيناها فى المدرسة .

يكون ذلك المحيط هو الأكبر بين المحيطات
وبالعالم كله وبطعم الأشياء وهى تتحول
إلى صحراء قاحلة داخل أنفسنا !

يا لشساعة المحيط الأكثر إنسانية والأكثر
تلوثاً !

والمحيط الهندي الأكثر غموضاً من كل المحيطات ،
والمتوسط ، العذب ، الخالي من أى غموض ، البحر
الكلاسيكى

الجدير بأن يتكسّر على سهول تتأملها من حدائق
قريبة ، منحوتات بيضاء !

كلُّ البحار ، كلُّ المضائق ، كلُّ الخلجان
أريدُ أن أضُمَّها إلى صدرى ، أن أحسَّ بها جيّداً . ثم
أموت .

وأنتنَّ يا أشياء البحر ، يا لعبى الحُلُمِية العتيقة ،
شكّلن حياتى الباطنية خارج ذاتى !
أيتها الرافدات ، دَفَّات السفن ، الصواري ،
الأشرعة ،

عجلات القيادة ، الحبال ، المداخن ، المراوح ،
البيارق ،

أشرعة الصواري ، الكوَّات السفلية ، الغلايات ،
المصارف ، الصَّمَامات

تَسَاقِطُنَ أكِداساً فى داخلى ، ولتتكوْمُنَ

مَثَلُ المَخْزُونِ الغَامِضِ لَصَنْدُوقِ مُفْرَعٍ عَلَى
الأَرْضِ !

وَلَتَكُنَّ كَنْزَ شُحِّي المَحْمُومِ ،
كُنَّ أَنْتَنَ ثَمَارَ شَجَرَةٍ مَخِيلَتِي ،
مَوْضُوعَ أَغَانِيٍّ ، الدَّمِ السَّارِي فِي شَرَايِينِ ذِكَايِي ،
وَلَتَكُنَّ الْآصِرَةُ الَّتِي تَصِلُنِي عَبْرَ الْجَمَالِ بِمَا هُوَ
خَارِجِي ،

زَوَّدَنِي بِالْإِسْتِعَارَاتِ ، بِالصُّورِ ، بِالْأَدَبِ .
لَأَنَّ مِشَاعِرِي ، فِي الْحَقِيقَةِ ، وَبِكُلِّ جَدِيَّةٍ وَحَرْفِيَّةٍ ،
مَجَرَّدُ مَرْكَبٍ بِدَفَّةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي الْهَوَاءِ .
مَخِيلَتِي مَرَسَاةٌ مَغْمُورَةٌ لِلنَّصْفِ بِالمِيَاهِ ،
قَلَقِي مَجْذَافٌ مَكْسُورٌ ،
وَنَسِيجُ أَعْصَابِي شَبَكَةٌ عَلَى الشَّاطِئِ تَجْفُ !
فِي صُدْفَةِ النِّهْرِ ثَمَّتْ صَفَارَةٌ تَرْنُ ، صَفَّارَةٌ
وَحِيدَةٌ .

أَرْضِيَّةٌ دَخِيلَتِي كُلُّهَا تَرْتَجِفُ .
وَسُرْعَةُ المَقَوْدِ تَتَزَايِدُ فِي دَاخِلِي أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ .

أَوْه . يَا لَسُفْنِ المَحِيطَاتِ ، الْأَسْفَارِ ، أَلَا يُعْرِفُ مَكَانُ

فُلان الفُلانى ، البَحَّار ، المعروف لدينا !
أوه يالْمَجْد أنْ نعرف أن رجلاً كان معنا
قَدْ ماتَ غريقاً حذاءَ إحدى جزر المحيط الهادى !
نحن الذين معه كُنَّا سوف نتحدَّثُ عن ذلك مع
الجميع .

بالزهو المشروع ، بالثقة اللامرئية
بأنَّ لذلك كُلَّه معنى أجمل وأشْمَل
من مجرد فَقْد المركب الذى كان مُبحراً فيه
أو من كونه قَدْ مَضَى إلى الأعماق لأنَّ رِئتِيه غَصَّتَا
بالمياه .

أوه ، سفن المحيطات ، البواخر الفحمية ، السفن
الشراعية !

لقد صارت نادرة - يا ويحى - السفن الشراعية
فى البحر .

لأنَّنى أنا الذى أعشق الحضارة الحديثة ، الذى
أقبلُ الآلات بروحى ،
أنا المهندس ، أنا المتحضر ، أنا الذى تَرَبُّى فى
الخارج ،

لا أريدُ أن أرى أمام عينيَّ سوى السفن الشراعية
والمراكب الخشبية

ولا أرغب فى أن أعرف عن الحياة البحرية أكثر مما
هو معروف

عن حياة البحار القديمة.

لأنَّ البحار القديمة هى المدى المطلق

هى البعد الخالص مُحرراً من ثقل الراهن ...

أوه ، لَكُمْ يُذَكِّرُنِي كُلُّ شَيْءٍ هُنَا بِتِلْكَ الْحَيَاةِ
الْمُتْلَى ،

بتلك البحار السالفة لأنَّ الإبحار فيهنَّ كان
أبطأ .

تلك البحار العامرة بالأسرار إذ ما كَانَ يَعْرِفُ عَنْهَا
إِلَّا الْقَلِيلَ .

كُلُّ بُخَارٍ بَعِيدٍ هُوَ سَفِينَةٌ شَرَاعٍ تَدْنُو .

كُلُّ سَفِينَةٍ نَرَاهَا الْآنَ مِنْ بَعِيدٍ هِيَ سَفِينَةٌ قَدْ
شَوَّهَتْ قَرِيبَةً فِي الْمَاضِي .

كل الملاحين اللأمريئين على متن السفن فى الأفق

هم الملاحون المرثيون من زمن السفن القديمة

من العهد الشراعى البطي للملاحات الخطرة ،
عَهْدِ الخَشَبِ والخيش والأسفار التى كانت تستمرُّ
شهوراً .

شيئاً فشيئاً يغزونى هَذَيَانُ الأشياء البحرية ،
الرصيف ومناخه يخترقاننى فيزيقياً ،
مكر نهر التاج يغمر حَوَاسِى
فَأَبْدَأُ فى الحلم ، أبدأ فى ارتياد حلم المياه ،
وتبدأ خيوط الاتِّصال فى إيصال الحركة إلى
روحى .

بينما سرعة المحرِّك تخضُّنى بِجَلَاءِ .

وتنادينى المياه ،
تنادينى البحار ،
تنادينى الأَقاصى بصوتها الجسدي
كل العصور البحرية المحسوسة فى الماضى
تنادينى

أنت أَيُّهَا البَحَّارُ الإنجليزى ، جيم بارنس ،
ياصديقى ، كنت أنت

من علَّمنى تلك الصيحة الإنجليزية الموهلة فى

القدَم ،

والتي تُلَخِّصُ ، بتسمُّم بالغ ،

للأرواح المعقَّدة مثل روى

نداء الحياة الغامض ،

الصوت غير المسبوق والضمني لأشياء البحر

قاطبةً ،

صوت السفن الغريقة ، الأسفار السحيقة ،

الرحلات الخطيرة .

صيحتك تلك . صيحتك الإنجليزية حَدَثٌ كوني في

دمي

من دون صياح ، ولا شكل إنساني ولا صوت ،

تلك الصيحة المروعة التي تبدو آتيةً

من داخل مغارةٍ قبوُّها في السماء ،

كأنما تحكي عن كل الأشياء الكارثية

التي يمكن أن تحدث في البعيد ، في ليل البحر ...

(دائماً تتظاهر بمناداة سفينة ما

قائلاً هكذا ، ويدك على مجموع فمك ،

ويداك المدبوغتان المسودتان مكبرٌ صوت :

Ahó - óóóóóóóóóó - yyyy...

Schooner ahó - ó - ó - ó - ó - ó - ó - ó - ó - ó - yyy ...

إليك أٌصِيخ السمع من هنا الساعة ، مستيقظاً لأجل
شئٍ مَّا .

ترتعش الريح ، والصبح يصعد رويداً رويداً ،
والدفء يتفتَّحُ .

أشعر بتورُّدٍ في الخدين .

عيناي الصاحيتان تتسعان

يتصاعد الانخطاف في ، ينمو ، يتقدَّم

وبضجيج تمرُّدٍ أعمى يشتدُّ

الدوران الحيُّ للمقود .

أوه ، أيُّها النداء المدوَّى

بفعل سعيرك واحتدامك في داخلى تغلى

كلُّ الأشواق في وحدة متفجرة ،

أحاسيس الضجر غَدَتُ كلها ديناميكية !

أيُّها النداء الموجهُ إلى دمي

مِنْ حُبٍّ غابر ، لا أدري أين ، يَعود إليَّ

وهو مازال يمتلك القدرة على دفعى إلى كراهية

هذه الحياة

التي أمضيها بين اللاشفافية النفسية والفيزيائية

للشعر الواقعيين الذين معهم أعيش .

أوه ، الرحيل الرحيل ، كائناتاً ما كان الحال ، وأياً
كان الاتجاه ،

الرحيل ، الذهاب إلى الأمواج ، إلى الخطر ، إلى
البحر ،

المضي إلى عرض البحر ، المضي إلى الخارج ، نحو
المدى المجرد ،

بلا تحديد ، عبر ليالٍ مبهمة عميقة ،

محمولاً كالعجاج مع الرياح ، مع العواصف !

الذهاب ، الذهاب ، الذهاب ، الذهاب مرةً واحدة !

كُلُّ دَمِي سُعَارٍ مِنْ أَجْلِ الْأَجْنَحَةِ !

جسدي كله ينقذف نحو الأمام !

وأنا أقفز كالسيل طوال تخیلاتي !

أدوسُ ، أزمجر ، أتهاوى .

رغباتي تتفجر رغبةً

ولحمي يغدو موجةً تتكسر في الوهاد الساحلية !

وإذ أفكر في ذلك - ياللغيظ ! - إذ أفكر في ذلك -
ياللغضب ! -

وإذ أفكر في ضيق حياتي هذه المفعمة قلقاً
يجتاحني فجأة ، مرتجفاً ، متخطياً كلَّ حدٍّ ،
بذبذبة داعرة ، عنيفة ، شاسعة ،
لمقود مخيلتي الحي ،
الشبق المظلم والسّادي لحياة البحر الخارقة ،
مُصفرّاً مدوّخاً .

إيه ، أيها البحّارة ، خَفَرَةُ الصواري ! إيه ، أيها
النوتيون ، الربابنة !

الملاحون ، القواد ، البحارة ، المغامرون !
إيه ، يا ربابنة السفن ! رجال الدفّة والصواري !
الرجال النائمون على أسرة خشنة !
وأنتم من تنامون مع الخطر مراقبين كل شيء من
الكوى !

أيُّها الرجال النائمون مع الموت على وسادة واحدة !
الرجال ذوو المظلات ، ذوو الجسور التي منها
تشاهدون

الشساعة الشاسعة للبحر الشاسع !
أيها الرجال ، حمّالي رافعات الشحن !
إيه ، يامنزلي الأشرعة ، وقّادي الآلات ، النوادل !
يا مَنْ تشحنون الأقبية بالبضائع الواردة !
مَنْ تجذبون الحبال على ظهر السفينة !
من تنظفون معدن البُويات السفليّة !
رجال الدّفّة ! رجال الماكينات ! رجال الصواري !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

رجال الخُوذ المَقُونَسَة ! رجال القمصان المتّخذة
من الشّبّاك !
أصحاب المخاطف والرايات المطرّزة بالصليب على
الصدور !
الموشومون ! أصحاب الغلايين !
يا من اسودّوا من فرط تعرّضهم للشمس ،
واندبغت جلودهم من فرط الأمطار ،
أنقياء الأعين بفضل الشساعة المترامية المتاحة
لأبصارهم ،
ذوى الأوجه الجريئة لكثرة ما تلقّوا من سياط
الرياح ،

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

أيُّها الرجال الذين شاهدتم باطاغونيا !
الرجال الذين مرَّرتُم بأستراليا !
يا مَنْ مَلَأْتُم أَبْصاركم بالنظر إلى سواحل لن
أشاهدها أبداً !
وحلَّلتُم أرضاً بأراضٍ لَنْ أحلَّ بها البتَّة !
يا مَنْ اشتريتم أشياء بدائية في مستعمرات جنب
الغابات !
وكلُّ ذلك فعلتموه كمن لا يفعل أيُّ شئ ،
كما لو كان ذلك طبيعياً تماماً ،
كما لو كانت الحياة هي ذلك بالذات ،
كَمَا لَوْ لم تكونوا بصدد إنجاز أيَّة مهمَّة على
الإطلاق .

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

رجال البحر الراهن ! رجال البحر الماضي !
يا كوميساري السفينة ! عبيد المراكب القديمة !
محاربى الليبانطو !
قراصنة عهد روما ! بحارة اليونان !
أيُّها الفنيقيون ! القرطاجنيون ! البرتغاليون

المنطلقون من ساغريس صوب المغامرة اللامحددة ،
صوب البحر المطلق ، لتحقيق المستحيل !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

أيها الرجال ! يا من رفعتُم نُصْباً تذكارية ، وأطلقتُم
على رؤوس البحار الأسماء !

الرجال الذين تاجرتم مع الزنوج للمرة الأولى !
مَنْ تاجرْتُم فى البداية برقيق العالم الجديد !
مَنْ منحتُم الزنجيات الذاهلات أولى تشنجات اللذة
الأوروبية !

أنتم مَنْ جَلَبْتُم الذهب ، الحلي الرخيصة ، الخشب
المعطر ، السهام المتخذة من النبات الأخضر !
أيها الرجال الذين نهبتُم بلداناً إفريقية آمنة ،
وجعلْتُم أولئك الناس يسمعون ضجيج المدافع ،
يا من قتلتم ، عَذَّبْتُم ، سَرَقْتُم ، فُرِئْتُم بالجوائز على
بدعة ذلك المحنّي الرأس⁽¹⁾

الذى كان يُهاجم أسرار البحار الجديدة

Eh-eh-eh-eh-eh !

إليكم كُلُّكُمْ فى واحد ، أنتم كُلُّكم فى الكلِّ كأنَّكُمْ
الواحد ،

أنتم كُلُّكُمْ ممزوجون ، متبادلون ،
إليكم جميعاً أيُّها السفاكون ، القساة ، المقوتون ،
المرعبون ، المقدَّسون ،
إليكم جميعاً تحياتى ، تحياتى ، تحياتى !

Eh-eh-eh-eh-eh ! Eh-eh-eh-eh-eh ! Eh-eh

Eh-eh-eh-eh-eh !

EL Lahó - Lahó - Lahó - Lahá - á- á- á- á- á!

أريدُ الذهابَ معكم ، أريدُ الذهابَ معكم ،
معكم كلُّكم فى نفس الوقت ،
إلى جميع الأماكن التى ذهبتُم إليها !
أريد أن ألقى وجهاً لوجه ما لأقيتم من مخاطر ،
أن أحس فى وجهى بالرياح التى خَدَّدَتْ
وُجُوْهَكُمْ ،
أن أبصقَ من شَفَتَيَّ ملحَ البحار التى لثمتها
شفاهكم ،
أن أشارككُمْ أفعالكم ، أقاسمكُمْ ، عواصفكم ،

أَنْ أَصِلَ مِثْلَكُمْ ، فِى النِّهَايَةِ ، إِلَى مَوَانِىءَ رَاضِعَةٍ ،
أُرِيدُ الْفِرَارَ مَعَكُمْ مِنَ الْحَضَارَةِ !
مَعَكُمْ أُرِيدُ أَنْ أَفْقِدَ الْحَسَّ الْأَخْلَاقِي !
أَنْ أَحْسُ بِتَغْيِيرِ إِنْسَانِيَّتِي هُنَاكَ فِى عَرْضِ الْبَحْرِ !
أَنْ أَتَشْرَبَ مَعَكُمْ ، فِى بَحَارِ الْجَنُوبِ ، هَمَجِيَّاتٍ
جَدِيدَةٍ ،
خَضَّاتٍ جَدِيدَةٍ لِلرُّوحِ ، نِيرَانًا جَدِيدَةً لِرُوحِي
الْبِرْكَانِيَّةِ !
أُرِيدُ الْمَضِيَّ مَعَكُمْ وَالتَّجَرُّدَ - أَوْهَ لَتَغْرُبُ مِنْ هُنَا ! -
مِنْ بَدَلَةِ الْمُتَحَضَّرِ ، مِنْ رَخَاوَةِ أَفْعَالِي ،
مَنْ خَوْفِي الْفَطْرِي مِنَ السَّجُونِ ،
مَنْ حَيَاتِي الْمَسَالِمَةِ ،
مَنْ حَيَاتِي الْقَعِيدَةِ ، الْجَامِدَةِ ، الْمَضْبُوطَةِ
وَالرَّصِينَةِ !
إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ،
إِيَّاهُ ، إِلَى الْبَحْرِ اقْذِفُوا بِحَيَاتِي ، إِلَى الرِّيحِ ، إِلَى
الْأَمْوَاجِ !
مَلَّحُوا بِالزَّبْدِ الَّذِي تَذُرُّوهُ الرِّيحُ
ذَوْقِي الْمَتَعَطِّشَ لِلْأَسْفَارِ الْكَبِيرِ !

اجلدوا بسوط المياه لحوم مغامرتي ،
بذلوا ببرد المحيطات عظام كينونتي ،
اجلدوا ، اقطعوا ، ادبغوا بالرياح ، بالزبد ،
بالشموس كينونتي الإعصارية والمحيطية ،
أعصابي المشدودة مثل الحبال ،
مثل قيثارة في يد الريح !

أجل ، أجل ، أجل ... اصلبوني على مَئْتَنِ
الإبحارات ،
وَلْيَلْتَدَّ بالصليب ظهري ،
أو ثَقُونِي إلى الأسفار كما لو إلى عمودٍ
يتوغَّلُ في حَتَّى عمودي الفقري
وسأحسُّ به مثل تشنُّج فسيح وَلَيْن !
افعلوا ما تشاؤون بي ، عَلَى أن يتمَّ ذلك في
البحار .

على جسور السفن ، مع هدير الأمواج
خَوْزُقُونِي ، اقتلونِي ، اطعنونِي !
مَا أرغب فيه هو أن أحمل إلى الموت
روحاً طافحة بالبحر ،

سَكْرَى حَتَّى التَّرْنُجِ بِأَشْيَاءِ الْبَحْرِ ،
بِالْبَحَّارِينَ ، كَمَا بِالسَّوَاهِلِ الْبَعِيدَةِ ، كَمَا بِعَوِيلِ
الرِّيَّاحِ بِالْمَرَّاسِي وَالْحَبَالِ
بِعُرْضِ الْبَحْرِ مِثْلَمَا بِالرَّصِيفِ ، بِالْغُرُقِ فِي السَّفَنِ
كَمَا بِالْإِبْحَارِ التِّجَارِيِّ الْهَادِي ،
بِالصَّوَارِي كَمَا بِالْأَمْوَاجِ .
أَنْ أَحْمَلَ إِلَى الْمَوْتِ بِأَلَمٍ وَشَهْوَانِيَّةٍ ،
كَأْسًا مِزْجَةً بِأَعْلَاقٍ تَمْتَصُّ ، وَتَمْتَصُّ ،
أَعْلَاقٌ غَرِيبَةٌ خَضِرَاءُ بِحَرِيَّةٍ تَمْتَصُّ !
اصْنَعُوا حَبَالَكُمْ مِنْ عُرُوقِي !
ارْبِطُونِي مِنْ عَضَلَاتِي !
اسْحَلُّوا جِلْدِي ، سَمِّرُونِي عَلَى الرَّافِدَاتِ ،
وَلَا تُكُنْ قَادِرًا أَنَا عَلَى الْإِحْسَاسِ بِأَلَمِ الْمَسَامِيرِ ،
إِحْسَاسًا لَا أَتَخَلَّى عَنْهُ أَبَدًا !
مَنْ قَلْبِي اصْنَعُوا رَايَةَ أَمِيرَالِ
كَسَاعَةِ الْحَرْبِ عَلَى السَّفَنِ الْعَتِيقَةِ ،
لِتَدْعَسُوا عَلَى جَسُورِ السَّفِينَةِ عَيْنِي الْمَسْمُوتَتَيْنِ !
كَسِّرُوا عِظَامِي عَلَى وَاجِهَاتِ السَّفَنِ !

اجلدوني مُوثَقاً إلى الصواري ، اجلدوني
اجعلوني عُرضة لرياح كل الجهات ، عرضاً وطولاً
اسفحوا دمي فوق المياه مندفعاً
تجرُّ مظلة السفينة من جهة إلى أخرى
نحو رَجَّة العواصف الهوجاء .
أريدُ أن أملك الإقدام إزاء الريح العاصفة
بالأشعة !
أن أكون ، مثل الصواري العالية ، الصغير المعول
للرياح !
قيثارةُ القدر العتيقة قَدَر البحار التي تعجُّ
بالأخطار ، أن أصيرَ أغنيةً كي يَسْمَعَهَا البحارة من غير
أن يُردِّدوها أبداً !
البحارة المتمردون منْ
شَنَقُوا رَبَّانَهُمْ على إحدى العوارض .
وَأَنزَلُوا غَيْرَهُ على جزيرة خالية .
شمس المدارات هي التي دَسَّتْ حُمَى القرصنة
القديمة هذه في شراييني الحامية .
رياح ياطاغونيا وَشَمَتْ مُخِيلَتِي
بمشاهد فاجرة مأسوية .

النار ، النار ، النار بِداخلي

الدم ! الدم ! الدم ! الدم !

دماغى كُلُّه ينفجر !

العالم أجمع يتشظى حمماً حمراء

فى داخلى تتفجّر ، وحشية شرهة

أغنية القرصان الأكبر ،

احتضارُ القرصان الأكبر الهادرُ مغنياً ،

مالتاً رجاله رُعباً حتّى كَوُثِلَ السفينة ،

مُحتَضِراً ، زاعقاً ، مُغنياً .

« خمسة عشر رجلاً فوق صدر الرجل الميت

يَاهُو - هُو مع قنينة من رُوم ! »

ثم صارخاً بصوت غريب يُدَوِّى فى الهواء :

Darby M' Graw - aw - aw - aw - aw !

Darby M' Graw - aw - aw - aw - aw - aw !

Fetch - a - a - afthé ru - u-u-u-u-u-u-u-u-u-u, Darby !

أَلَا مَا أُرَوِّعَ تلك الحياة ! تلك كانت الحياة ... أَلَا

I Eh - eh- eh-eh-eh - eh- eh !

Eh - Lahó - Lahó - Lahó - Lagó - á-á-á-á-á !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh !

رافداتٌ مكسَّرة ، سَفُنٌ مُغرَقة ، دَمٌ فى البحار !

جُسُور سَفُنٌ مُترعة بالدماء ، مِرَقٌ أجساد !

أصابعٌ مبتورةٌ فوق حبال السفينة !

رُؤُوس أطفالٍ هنا وهناك !

أشخاصٌ بأعينٍ مَسْمُولةٍ يصرُخون ، وَيَعُوون !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh -eh !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh -eh !

أطُوقُ بَكلِّ ذلكِ نفسى كَمَنْ يَتَدَثَّرُ بمعطفٍ فى

البرد .

وأحْتَكُ بِذلكِ كُلهُ احتكاكِ قِطَّةٍ متهيجَةٍ بجدار .

أزأرُ مثلَ أسدٍ يتضورُ جُوعاً لذلكِ كله !

أندفعُ مثلَ ثورٍ مجنونٍ نحو تلكِ الأشياءِ كلها !

أغرِزُ الأظافرَ ، أقطعُ المخالبَ حَتَّى لَتَدْمَى من العَضِّ

نواجذى !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh !

فجأة تنفجر الصيحة جنب الأذان
مثل بُوق مُجاور ،

الصيحة القديمة مزلزلةً مَعْدَنِيَّة ، فى هذه الساعة ،
صيحة نداء الفريسة التى تُرى ،
نداء السفينة الشراعية التى سَتُمَتِّطِى :

Ahó - óóóóóóóóóóóóóóóó-yyy...

Schooner ahó - óóóóóóóóóóóóóóóó-yyy...

العالم أجمع لا وُجود له بالنسبة إليَّ ! أَشْتَعِل
احمراراً !

أُزْمَجِرُ فى هيجان نزاعٍ للصدام !
أنا القرصان - الأعلى ، القيصر - القرصان أَنْهَبُ ،
أَقْتُلُ ، أَفْتَرَسُ ، أَمَزَّقُ !

لا أَحسُّ سوى بالبحر ، بالفريسة ، بالنَّهْب !
لا أَحسُّ سوى بخفقان الأوردة فى داخلى !
ما تُحسُّه عيناى يجرى دَمًا ساخناً أمامى :

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh- eh !

أوه ، أيُّها القراصنة ، القراصنة ، القراصنة !
أُمَقِّتُونِى وَأَحْبُونِى أيُّها القراصنة !

اعجنوني بكم أيها القراصنة !

يا الهيأجكم وفظاظتكم كيف يخاطبان دم جسد
أنثوي كان جسدي من قبل وما زال شبقه على قيد
الحياة !

أريد أن أكون حيواناً يمثل جميع إشاراتكم،
حيواناً يغرزُ الأسنان في الحبال ، في الرافدات ،
يلتهم الصواري ، يشرب الدم والقطران في جسور
السفن ،

يمزق الأشرعة ، المجاذيف ، البكرات والحبال ،

أريد أن أكون

حية بحر أنثوية فظيعة لا تُسمنُّها سوى الجرائم !

ثمة سنفونية إحساسات متنافرة متناظرة ،

في دمي تصدح أوركسترا ضجّات وجرائم ،

ضجّات متشنّجة من تهتك الدم في البحار ،

فوّارة كعاصفة من حرارة في الروح ،

ثمت غمامة من عجاج تُغيم صحوي فتجعلني أرى

وأحلم بذلك كله بالجلد والأوردة فحسب .

القراصنة ، القرصنة ، المراكب ، الساعة ،

تلك الساعة البحرية التي هُوجِمَتْ فيها الفرائس ،

تلك التي يغدو فيها رُعب الأسارى هروباً نحو

الجنون - تلك الساعة بمجموع جرائمها ، بالرعب ،

المراكب ، البشر ، البحر ، السماء ، الغيوم ، النسيم ،

الطول ، العرض ، الصراخ ،

لطالما رغبت لو أن جسدى كان جزءاً من ذلك الكلِّ

معانياً ذلك الكل ، متألماً ، جسدى ودمى ، كينونتى كلها

أحوّلها إلى الأحمر القاني لدى تفتُّحه تَفْتُحَ طَعْنَةٌ تَتَأَكَّلُ

دم رُوحى الوهمى .

آه ، أن أكون كل شئٍ فى الجرائم ! أن أكون كل

العناصر المكوّنة للاعتداءات على المراكب ، للمذابح

والاغتصابات !

أن أكون فى كل أماكن النهب ! أن أكون من نهبوا

ومن نُهبوا !

أن أكون من عَاشَ أو بَلَغَ الأوج فى أماكن

التراجيدياات الدموية !

أن أكون القرصان - المختزل للقرصنة كلها فى

ذروتها

والضحية - الصفوة ، لكن من لحم وعظم ، لجميع
قراصنة العالم !

أن أكون فى جسدي السلبي المرأة - كُلُّ النساء
المغتصابات ، المقتولات ، الطَّعِينات ، الممزَّقات على يد
القراصنة !

أن أكون فى كينونتي المغلولة تلك الأنثى التى
ينبغي ألا تكون إلا هى !

وأن أحسُّ ذلك كله - بجميع تلك الأشياء دفعة
واحدة - فى العمود الفقرى !

أوه ، أبطالى المشعرين الفَظْظَة ، أبطال المغامرة
والجريمة !

وَحُوشى البحرين ، أزواج مخيَّلتى !
أيُّها المعشوقون الصُّدُوقِيُّونَ لحَسَاسِيَّتِي الزائفة !
أريد أن أكون المرأة التى تنتظركم على الموانئ ،
أنتم مَعشوقى دَمِها القَرُصَنى الأثيرين فى
الأحلام .

لأنَّ لها معَكُمْ ، وإنَّ فى الروح وحدها ، ارتعاشات
الجثث العارية للضحايا التى ألقِيتَ بها للبحر .

لأنَّها هى التى رافقتُ جرائمكم ، وفى سهرات

المحيط التهتكية رقصت روحها الكاهنية ، رقصتها
اللامرئية على حركات أجسادكم ، خناجركم ، أيديكم
الخنّاقة .

وإنّها إذ تنتظر على اليابسة مجيئكم ، إن
كنتم تجيئون ، لذاهبة لتعب من زئير عشقكم ،
كلّ الشساعة كلّ العبير الغائم والكارثي
لانتصاراتكم ، وعبر تشنجاتكم سيعلو صفير ضجة
حمراء مصفرة .

اللحم الممزق ، اللحم المفتوح والمبقور ، الدم الجارى !
الآن ، فى أوج الحلم الخاطف بما فعلتموه ،
أهرب من ذاتي كلّها ، فأنا ماعدت منتسباً إليكم ،
لقد أصبحت أنا أنتم ، وأنوثتى هذه التى ترافقكم إنّما
هى أرواحكم بالذات .

أريد أن أكون فى صميم همجيّكم عند ممارستكم
إياها !

أن أمتص من الداخل وعيكم بإحساساتكم عندما
كنتم تخضبون بالدم أعالي البحار ،

عندما كنتم تقذفون من حين إلى آخر لأسماك
القرش بأجساد جرحى مازالوا أحياء وبحلم الأطفال
الوردي ، ثم تأخذون الأمّهات إلى مقدمة السفينة كي

يَتِمَكَّنُ مِنْ مُعَايِنَةِ مَا يَحْدُثُ !

أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ فِي الذَّبْحِ وَالنَّهْبِ !

أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ أَوْ رَكِستِرا لِسَنَفُونِيَةِ الْقَرْصِنَةِ !

آه . وَلَا أَعْرِفُ مَاذَا وَلَا كَمْ مِنْ شَيْءٍ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ

مِنْكُمْ !

لَا فَقَطْ أَنْ أَكُونَكُمْ الْأُنْثَى ، أَكُونَكُمْ الْإِنَاثَ جَمِيعاً ،
أَكُونَ أَنَا أَنْتُمْ الضَّحِيَّةُ ، أَنَا أَنْتُمْ الضَّحَايَا - رَجَالاً ، نِسَاءً ،
أَطْفَالاً ، مُرَاكِبٍ - ، وَلَا أَنْ أَكُونَ السَّاعَةَ وَالْمُرَاكِبَ
وَالْأَمْوَاجَ فَحَسْبُ ، أَوْ أَنْ أَكُونَ أَرْوَاحَكُمْ ذَاتَهَا ،
أَجْسَادَكُمْ ، غَضَبَكُمْ ، تَمَلُّكُمْ ، وَلَا أَنْ أَكُونَ الْفِعْلَ الْمَجْرَدَ
لِتَهْتِكُكُمْ ، كَلّاً ، لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ هَذَا وَحْدَهُ ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ
هَذَا : إِلَهاً - لِهَذَا كُلِّهِ ، عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ إِلَهاً ، إِلَهاً لِعِبَادَةٍ
مَعكُوسَةٍ ، إِلَهاً مُرِيعاً وَشَيْطَانِيَا ، إِلَهاً حُلُولِيَّةَ الدَّمِ ،
حَتَّى أَمْنَحَ الْقُوَّةَ كُلَّهَا لَغَضَبِي الْمَتَخِيلِ ، حَتَّى لَا أَسْتَنْفِدَ
أَبداً رَغْبَاتِي فِي التَّمَاهِي مَعَ انْتِصَارَتِكُمْ بَعْضُنَا وَكَلّاً
وَمَعَ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ .

آه ، عَذِّبُونِي لِأَشْفَى ، مِنْ لَحْمِي اصْنَعُوا الْهَوَاءَ

الذى تقطعه سكاكينكم قبل أن تهوي على الكواهل
والرؤوس !

لتكن سراييني الثياب التى تنفذ السكاكين منها !
ومخيلتي هى جسد النساء الذى اغتصبتموه !
وليكن ذكائى الجسر الذى تمارسون فيه القتل على
قدم وساق !
كل حياتى فى مجموعها العصبى ، الهستيرى ،
اللامعقول ،

هى الجهاز الأكبر الذى فيه يتحول كل فعل قرصنة
مُتترف إلى خلية واعية ، وأنا كلّى ألف وأدوم ،

مثل عفونة شاسعة متموجة

وقد صرت مسرّحاً لذلك كله !

الآلة المحمومة لرؤاى الجموح تدور الآن
بسرعة مفرطة رهيبة ، بينما وعيى ، مقودى
مجرّد دائرة مظلمة تُصفرُ فى الهواء :

« خمسة عشر رجلاً فوق صدر الرجل الميت

يوها - هو - هو قنينة من روم ! »

Eh-Lahó-Lahó-Lahó ... Lahá-á-ááá-ááá ...

أوه ، لوَحشية هذه الوحشية ، إلى الخراء كُلُّ حياةٍ
تشبه حياتنا التي ليست شيئاً من هذا كُلِّه !
ها أنذا طوع أيديكم ، أنا المهندس ، العَملي
الحساس بكل شيء ،
هنا تجدونني ، مشلولاً حتى عندما أمشي ، قياساً
بكم ؛

خاملاً حتى عندما أعمل ؛ وأهناً حتَّى عندما أشتدُّ ؛
جامداً ، مُحبطاً ، مُتناقضاً خائفاً من هالةِ مجدكم ،
من ديناميتكم الهائلة الخارقة ، الساخنة الدموية .
ويحي ! ما أعجز فعلي عن مُجاراتِ هذيانِي !
ويحي ! دائماً أسيرُ متعلقاً بأذيال الحضارة !
أجرُ العادات المهذَّبة فوق ظهري مثل إبالة دانتِلا ،
يألنا من حمالين للإنسانية الحديثة !
إنَّها نوبات مَسْئُول ، نورستيني لمفاوى نوباتُ
شخص بلا شجاعة ولا جسارة ،
ذي رُوح تشبه دجاجةً مُعلَّقة من رجل واحدة !

أوه ، القراصنة ! القراصنة !
إنَّه التعطُّش للهمجي مُتَّحداً باللاقانوني ،

التعطُّشُ للأشياء المطلقة القسوة والوحشية وهى
تَقْضِمُ مِثْلَ اغْتِلَامٍ مَجْرَدٍ أَجْسَامَنَا النَحِيلَةَ ،
أَعْصَابَنَا الأَنْثَوِيَّةَ الرَّقِيقَةَ ،
وَتَدْسُ حُمَى جنونية فظيعة فى نظراتنا الفارغة !
أَجْبِرُونِي عَلَى الرُّكُوعِ أَمَامَكُمْ !
أَهِينُونِي وَاجْلِدُونِي !
صَيِّرُونِي عَبْدًا لَكُمْ وَشَيْئًا مِنْ أَشْيَائِكُمْ !
وَلِيَبْقَ احْتِقَارُكُمْ لِي حَيًّا فِيَّ لَا يَبْرَحُنِي أَبَدًا ، أَوْه ،
يَا أَسْيَادِي ! أَسْيَادِي !

لِنَأْخِذْ دَوْمًا بِاعْتِرَازٍ بِالْجُزْءِ الْخَاضِعِ لِأَحْدَاثِ الدَّمِ
وَالْحَسَاسِيَّاتِ الشَّاقَّةِ !
لِنَنْهَارُوا مِنْ فَوْقِي مِثْلَ جِدْرَانِ هَائِلَةٍ ثَقِيلَةٍ ، أَوْه
يَا بَرَابِرَةَ الْبَحْرِ الْقَدِيمِ !
مَرْقُونِي وَاجْرَحُونِي !
خَطِّطُوا بِالدَّمِ لِحُمَى مِنْ شَرْقِ جَسَدِي إِلَى غَرْبِهِ !
قَبِّلُوا بِالسَّكَائِينِ الْبَحْرِيَّةِ وَالسُّعَارِ وَالسِّيَاطِ رُعْبَى
الْلَحْمِيِّ الْفَرَحَانِ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَيْكُمْ ، عَطَّشِي الْمَازُوحِيَّ

فى أن أَمْنَحَ ذاتى لَغَضَبِكُمْ ، أنْ أَكُونُ مَوْضُوعاً جَامِداً
وَمُطِيعاً لِفِظَاظَتِكُمُ الَّتِى تَلْتَهُمُ كُلُّ شَيْءٍ ، أَيُّهَا الْمَهِيْمَتُونَ ،
الْأَسِيَادُ ، الْبَاطِرَةُ ، الْجِيَادُ !

آه ، عَذِّبُونِى ،

مَرْقُونِى ، افْتَحُونِى !

كَيْ أَتَفَكَّكَ إِلَى قِطْعِ حَيَّةٍ ،

اسْفَحُونِى فَوْقَ الْجَسُورِ ،

بَعَثَرُونِى فِى الْبَحْرِ ، أَسْلَمُونِى

لِلشَّوَاطِئِ الْمَتْلَهِّفَةِ فِى الْجَزْرِ النَّوَّائِى !

سَمِّنُونِى بِكُلِّ الْعَشْقِ التَّصَوِّفِى الَّذِى أَكُنُّهُ لَكُمْ !

انْقَشُوا بِالدَّمِ رُوحِى ،

مَرْقُوا ، شَقُّوا !

أَوْه ، يَا وَشَّامُ مُخِيلَتِى الْجَسَدَانِيَّةِ ،

السَّالِّخِينَ الْمَحْبُوبِينَ لَخُضُوعِى الشَّهَوَانِى ، أَذْلُونِى

كَمَا تُذْلُونَ أَيَّ كَلْبٍ تَقْتُلُونَهُ بِرَأْسِ قَدَمِكُمْ !

اجْعَلُوا مِنِّى بَيْتاً لَزُدِّ رَائِكُمُ التَّسْلُطِ !

اجْعَلُوا مِنِّى كُلَّ ضَحَايَاكُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً !

مِثْلَ الْمَسِيحِ الَّذِى تَأْلَمُ مِنْ أَجْلِ الْبَشَرِ كَافَّةً ، أُرِيدُ

أن أتألم من أجل جميع الضحايا الذين قُتلوا على
أيديكم !

أيديكم الحديدية ، السفّاحة ، المبتورة الأصابع فى
الاعتداءات الغادرة على وأجهات السفن !

اجعلوا منى شيئاً مّا ، أى شىء ، كما لو كنتم
مجروراً - أوه يالللذة ، أوه يا للألم الملتوم ! -

بأذناب خيول ألهبتموها أنتم بالسياط ... ،
لكن ليكن هذا كله فى البحر ، فى البحر ، فى الب - ح -
ح - حر !

Yeh-eh-eh-eh-eh-eh ! Yeh-eh-eh-eh-eh-eh-eh !

كُل شىء يصيح ، كل شىء صياح ! رياح ، أمواج ،
سفن ، بحار ، أشرعة ، قراصنة ، روحى تصيح ، الدم
والهواء ، الهواء !

Eh-eh-eh-eh- ! Yeh-eh-eh-eh ! Yeh-eh-eh-eh !

الكل مع الصياح يغنى :

خمسة عشر رجلاً على صدر الرجل الميت
يو - هو - هو - مع قنينة من روم

Eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh ! Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

Eh-Lahó - Lahó-LaHo-O-O-óó Lahá - áá-ááá !

AHO-o-o-o-o-o-o-o-yyy ! ...

ScHooNERAHO-o-o-o-o-o-o-o--yyyy !...

Darby M' Graw - aw-aw-aw-aw-aw-aw !

DARBY M' GRAW - AW-AW-AW !

FETCHT A-A-AFT THE RU-U-U-U-U-UM

DARBY !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

EH-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

شيءٌ ما يتحطم فجأةً في . بحمرة الأصيل يتلونُ
الإمساء .

لفرط ما أحسستُ لم أعدُ قادراً على مواصلة
الإحساس .

لقد استنفدت الروح ، ولم يبق سوى الصدى في
داخلي .

سرعةُ المقود تنخفض بشكل ملحوظ .
أحلامي تنزعُ قليلاً يديَّ عن عينيَّ .

لا يُوجدُ في داخلي سوى فراغ ، صحراء ، بحر
ليلي .

هو ذلك البحر الليلي الذي ما إن أحس به داخلياً ،
هكذا ،

حتى تصعد من بُعد ، وتولد من صمته ،
مرةً وأخرى الصيحة الشاسعة الموغلة في القدم .

فجأة يطوق كل الأفق البحري ،
صخب بشري ليلي مظلم رطيب ،
صوت حورية بحرية ، بعيد يبكى وينادي ،
قادمًا من أعماق الأقاليم ، من عمق البحر ، من روح
المهاوي ،

وعلى سطحه تطفو كالطحالب أحلامى المحطمة ...

Ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy ...

Schooner ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy ...

أوه ، ياللندي يغمر هيجاني !

ياللطراوة الليلية في محيطى الداخلي !

وهنا كل ما فى بغته وجهاً لوجه أمام ليلة فى البحر
مفعمة بالغوامض الإنسانية المهولة للأمواج الليلية .

البدر يطلع فى الأفق

وطفولتي السعيدة تستيقظ مثل دمة في .

يستيقظ الماضي كما لو أن تلك الصيحة البحرية
كانت عبيراً ، صوتاً ، صدى أغنية ستدعو من ماضي
السحيق تلك السعادة التي لن أحظى بها أبداً من جديد .

كان ذلك فى المنزل العتيق الهادئ على ضفة النهر ...
(نوافذ غرفتي ، نوافذ غرفة الطعام أيضاً كانت
تُطلُّ على بضعة منازل خفيضة جنب النهر القريب ، نهر
التاج ، نفس هذا التاج ، ولو أنه أكثر انخفاضاً فى موقع
آخر ...

لو أطللت الآن من نفس النوافذ

فلن أطل أبداً من النوافذ نفسها .

لقد ولَّى ذلك الزمن مثل دُخان باخرة فى أعالي
البحار) .

حنان لا يُفسر ،

ندم داعم منفعل

من أجل كل الضحايا - خاصة منهم الأطفال -

الذين حلمت بصنعهم وأنا أتخيل نفسى قرصاناً
قديماً ،

انفعال مُربكٌ لأنهم كانوا ضحاياى ،
انفعالٌ حنونٌ عذبٌ لأنهم لم يكونوا ضحاياى فعلاً ،
حنانٌ ملتبسٌ مثل زجاج نافذة مزرقة ، كامد ،
ينشد أغانى عتيقة داخل رُوحى المسكينة المتألّمة .
أوه ، كيف استطعتُ التفكير والحلم بتلك الأشياء ؟
ما أبعدني الآن عمّن كنتُهُ منذ لحظات !
إنها هستيريا أحساسيس متناقضة ، تارة هذه ، تارة
تلك .

كيف فى تنامي شُقرة الصباح لا تختار أذنى
سوى الأشياء المتلازمة مع هذا الإحساس : هدير
الماء ،

الخرير الخفيف لماء النهر مُتكسراً على
الرصيف ... ،
المركب الشراعى لدى مروره قريباً من ضفّة النهر
الأخرى ،

التلال النائبة ، ذات اللأزورد اليابانى ،

منازل الأملادا⁽²⁾ .

لكمُ ثمة من نعومة وطفولية فى السّاعة

الصباحية ... !

يَمُرُّ نَورَس

فَيَكْبُرُ حَنَانِي .

لكن خلال ذلك الزمن كله لَمْ أُنْتَبِهْ لشيء .

كل شيء كان مجرد انطباع فى الجلد يُشبه المداعبة .

طوال ذلك الزمن لم أبعد عَيْنِيَّ عن حُلْمِي البعيد ،

عن منزلى العتيق جنب النهر ،

عن طفولتى النهرية ،

عن نوافذ غرفتى المطلّة على النهر ليلاً

وعلى السكينة النورانية للقمر مبعثراً فوق المياه

وخالتى العجوز التى أَحْبَبْتَنِيَّ بَدِيلاً لابنها الذى

تُكَلِّمُهُ ... ،

خالتى العجوز التى اعتادتُ أَنْ تُهْدِدَنِيَّ نَوْمَتِي

مغنية :

(لَكَمْ صرْتُ كبيراً على ذلك ، قياساً بمن كنتُ !)

أَتَذَكَّرُ ، والدُّمُوع تنهمر على قلبى ، فتغسل منه

الحياة ،

وثمَّتَ نسيم بحريٌّ خفيفٌ يتصاعد بداخلى .

أحيانا كانت تغنى لى « مركب كاطرينيطا » :

« هناك يمضى مركب كاطرينيطا فوق مياه البحر

يمضى ... »

أحيانا أخرى كانت تغنى تلك الميلودراما
القروسطية المشبعة نوسطالجية عن الأميرة الجميلة ...
أتذكر والصوت العجوز ينحفر فى ، وأتذكر كم كان
نادراً فيما بعد تذكرى إياها ؛ كم كان كبيراً حبُّها
إياى !

كم كنت جحوداً معها ! - وفى النهاية ، ماذا فعلتُ
بالحياة ؟

كانت الأميرة الجميلة ... وأنا كنتُ أغمض الجفنين
وهى تغنى :

« بينما الأميرة الجميلة

فى حديقتها جالسة ... »

ثم أفتح العينين فأرى النافذة مغمورة بضياء القمر ،
وبعدَها أطبقُ الجفنين ثانية ، وأنا سعيد بذلك كله .

هى الأميرة الجميلة

فى حديقتها جالسة

تمشط الضفائر

بمشط ذهبى فى اليد ...

أوه ، ماضى الطفولى ، يادُميتى التى حطّموها !

من أين لى أن أسافر إلى الماضى ، إلى تلك الدار ،
إلى ذلك الحزن العطوف ، ثم أمكث هناك على الدوام ،
طفلاً على الدوام ، سعيداً على الدوام ؟!

لكن ذلك كله محض ماضٍ ، مجرد فنار فى زاوية
شارع عتيق .

لا يَهَبُ التفكير فيه غير البرد ، غير الجوع لأشياء
لا يمكن امتلاكها .

التفكير فيه لا يمنحنى سوى نَدَمٍ بلا معنى .

أوه ، أيتها الزوبعة البطيئة لإحساسات متضاربة !
أيّها الدُّوار الخفيف ! دُّوار الأشياء الغامضة فى
النفس !

ثمت هياجات مبهضة ، موجات حنان تشبه بكرة
خيوط يَلْهُو بها الأطفال ، انهيارات هائلة للمخيّلة تحت
أنظار الحواس ، دموع ، دموع لا مُجدية ،

نَسَمَات خفيفة من الإحساس المتناقض تحتك عبر
بالوجه ، بالروح ...

أستعينُ بقوة الإرادة للخروج من هذا الانفعال ،

أستنجد بجهد يائس ، يابس ، فارغ ،
بأغنية القرصان الأكبر عندما ماكان يحتضر :
« خمسة عشر رجلاً على صدر الرجل الميت
يو - هو - هو مع قنينة من روم »
لكنَّ الأغنية خطُّ مستقيم خطُّ فى داخلى برداءه ...
أستجمع قواى ، وأتمكَّن من استحضارها ثانية
أمام أعين روى ،
لكن عبر مخيلة أدبية تقريباً ،
أتمكَّن من استحضار أوج القرصنة ، أعداد الموتى ،
التعطُّشَ الحنكى تقريباً للتخريب ،
المذبحة المجانية للنساء والأطفال ،
التعذيب المجانى للمسافرين المساكين ، فقط بقصد
التسلية ، شهوة تحطيم أعزِّ الأشياء لدى الآخرين .
لكننى أتخيَّل ذلك كُلُّه مع خوفٍ من شئٍ معيَّن
أتنفَّسه من قفاى .
وأفكِّرُ أنه سيكون مفيداً
شنق الأبناء تحت أعين أمهاتهن
(لكننى أحسُّنى أمهاتهن رَغْماً عَنى)

أو دفن صغار من ذوى الأربعة أعوام أحياء فى
جزر خلاء أمام أعين آبائهم المسوقين لرؤيتهم فى
مراكب شراعية

(لكننى أقشعرُّ عند تذكُّرى الابن الذى لا أملكه وهو
ينام بهدوء فى البيت) .

أستثيرُ رغباتٍ فى باردةٍ فى اقتراف جرائم
بحرية ،

فى تفتيش بدون تبرير من الإيمان ،
فى جرائم لا تبررُ حتى القساوة أو الجنون
الأهوج ،

جرائم مقترفة ببرود ، بدون حتى نية الإيذاء ،
ولا حتى التسلية ، وإنما لتمضية الوقت فحسب ،
كَمَنْ يَلْعَبُ الورق بعد العشاء بمفرده على مائدة
طعام ريفية وقد طُويت السفرة حتى الجهة الأخرى من
المائدة ، فقط بقصد التلذذ الناعم بارتكاب جرائم فظيعة
ثم اكتشاف أنها ليست أمراً ذا شأن ، ومشاهدة مَنْ
يتألمون لذلك حتى الجنون ، أو حتى الموت ألماً ، وإن لم
يتم بلوغ الموت أبداً ...

غير أن مخيلتى تأبى مرافقتي

وثمة قشعريرة تستبدُّ بي .

وبغْتةً ، وبأسْرَعٍ ممَّا جرى في المرة السابقة ،

وَمِنْ نقطةٍ أبعد وأعمق ،

بغْتةً - أوه للرعب يسرى في عروقي كلها ،

أوه للبرودة المنبعثة من بوابة السرِّ لدى انفتاحها

لإتاحة دخول تيار هواء ! -

بغْتةً أتذكَّر الله ، أتذكَّر متعاليات هذه الحياة ، بغْتةً

الصوتُ القديم للبحار الإنجليزى جيم بارنس الذى كنت

أكلِّمه ، وَقَدْ غَدَا صوت الحنَّات المبهمة فى داخلى ،

صوت الأشياء الصغيرة والحميمة لحضن الأم

وصوت شريط ضفيرة الأخت لكنْ منبثقاً بخرافية

من وراء ظواهر الأشياء ، إِنَّه الصوت الأصمُّ النَّائى

وقد أضحى صوتَ المطلق ، صوتاً بلا فم قادماً من فوق

ومن داخل العزلة الليلية للبحار ، ينادينى ، ينادينى ،

ينادينى ...

صوتاً أصمَّ يأتى ، كأنَّما يُسمعُ خفيةً ، من البعيد

يأتى كما لو كان يرنُّ فى مكانٍ آخر بدُون أن يُستطاع

سماعُهُ هنا ، مثل نشيج مخنوق ، مثل ضوء يُطفأ ، لهاثٌ

صامت ، لا مِنْ جهة فى المكان أتى ولا مِنْ جهة فى الزمن ،

صَيِّحة ليلية خالدة ، هبَّة عميقة غامضة :

Ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy

Ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy ...

Schooner ahó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-ó-yyy ...

إنني أرتجف من برودة الروح التي يَبْثُّها الجَسَدُ فيَّ
وأفتح بَغْتَةً عينيَّ اللتين لم أغمضهما بعد ،

أوه ، ما أبهج التخلُّص من الأحلام دفعة واحدة !

هَاهُوَ ذَا العالم الواقعي من جديد ، لتهدئة الأعصاب !

هَاهُوَ ذَا في هذه الساعة الصباحية ، حين وصول
سفن المحيطات مبكِّرة !

وصول سفينة المحيط لا يعنيني ، فهي لا تزال
بعيدة .

وحده ماهو قريب الآن يُطهر رُوحى .

مُخِيلَتِي المعافاة ، القوية . العملية ،

منشغلة فحسب بالأشياء العصرية والمفيدة ،

ببواخر الشحن ، عابرات المحيطات والمسافرين ،

بالأشياء الفورية الفعَّالة ، العصرية ، التجارية ،

الحقَّة .

وبداخلي يخفف المقود دورانه .

ما أروع حياة البحر الحديثة !

كلُّها نظافة وصحة وآلات !

كل شيء جيد الترتيب ، ومضبوط بتلقائية ،

كل قطع الغيار ، كل السفن في البحر ،

كل عناصر الحركة التجارية ، من صادرات

وواردات متوافقة فيما بينها على نحو عجيب ، حيث

يسير كل شيء ، كأنما وفق قوانين الطبيعة ، من دون أن

يصطدم أيُّ شيء بشيء !

لم يخسر الشعر شيئاً ، فهناك الآن علاوة عليه ،

هذه الآلات بما تحويه هي كذلك من شعر ، وكل النوع

الحياتي الجديد ، التجاري ، الدينوي ، الثقافي ، الروحي

، هذا الذي جاء عصر الآلات ليزود به أرواحنا .

إن أسفار اليوم جميلة مثل أسفار الأمس وما من

سفينة إلا وستبقى جميلة لمجرد أنها سفينة .

ما زال السفر هو السفر ، والبعد دائماً ما زال حيث

كان .

— حمداً لله ، في اللامكان ! —

موانئ مزدحمة ببواخر من شتى الأصناف ،

صغيرة ، كبيرة ، متعددة الألوان ، بكوى مختلفة

المواقع ، لشركات ملاحية متنوعة !

بواخر راسية فى الموانئ منفردة بسبب الفواصل
بين المراسى !

ما أطف أشياءها التجارية رشيقةً تمخر البحر
بهدوء ، البحر الهوميرى على الدوام ، أوه أو ليس !

مرأى المنارة الإنسانى فى المدى الليلى أو المنارة
الدأنية فجأة فى الليل البهيم

(« لَكُمْ كُنَا قَرِيبِينَ مِنَ الْيَابِسَةِ لَدَى مَرْوَرِنَا ! »
وهديرُ الماء يطرب السمع ...)

كل ذلك هو اليوم مثلما كان ، لكن هناك التجارة
والمصير التجارى للبواخر الكبرى اللذان يَجْعَلَانِنِي
فَخُوراً بعصري .

والخليط البشرى المتزاحم فوق سفن المسافرين
يمنحنى الزهو الحدائى بالعيش فى عصر أصبح
ميسوراً تماماً فيه الاختلاط بين الأجناس ، قهرُ
المسافات ، رؤية كل الأشياء بسهولة والاستمتاع
بالعيش بتحقيق أكبر قدر من الأحلام .

أحاسيسى نقية ، متناسقة ، عصرية مثل بناية
إدارية ذات عوارض من نحاس أصفر ، أحاسيسى الآن
طبيعية ومهذبة مثل جنتلمان ، عملية ، بعيدة عن
الهذيان ، وهى تملأ رئتيَّ بالهواء البحرى كأية

مخلوقات تُدرك مِقْدَار العافية الكامنة فى استنشاق
هواء البحر .

ساعات النهار كُلُّها ساعات عمل متواصل .

كل شئ ينخرط فى الحركة والانتظام .

وبلذة طبيعية عَفوية كبرى تتفقُ رُوحى
جميع العمليات التجارية الضرورية لشحن السفن
التجارية .

جميع الفواتير مطبوعة بطابع عَصْرِى هذا ، وإننى
أحسُّ بأنَّ كافَّة رسائل المؤسسات ينبغى أن تُوجَّهَ
إلى .

مَا مِنْ معرفة بالشحن إلا وَلَهَا خصوصيتها ، وأى
إمضاء يَبْصُمُهُ رُبَّان لا يَخْلُو من عصرية وجمال !
الصرامة المميِّزة لمطالع الرسائل التجارية
ولخواتمها :

Dear Sirs - Messieurs - Muy seniores nuestros,

Yours Faithfully ... Nos salutations empressées ...

وهذا كُلُّه ليس إنسانيا وحسب ، بل هو أيضا
جميل ، وله فى النهاية طرقه البحرية ، باخرةٌ محمَّلةٌ
بالبضائع هى موضوع تلك الرسائل والفواتير .

ما أكثر تعقيدات الحياة ! فالفاتورات أعدُّها أناسٌ

يحبُّون ويكرهون ، ولهم أهواؤهم السياسية ،
وجرائمهم أحياناً ، لكنَّ ما أجودَ كتابتها وتصفيقها و ما
أبعدها عن كل ذلك !

هناك ، مع ذلك ، مَنْ ينظر إلى فاتورة ما ، بدون أن
يستطيع الإحساس بشئ .

لكنك أنتَ بالتأكيد ، يا ثيثاربو بيردى ⁽³⁾ قد
أحسستَ بذلك .

إنَّنى إنسانىُّ جداً لأحسُّ بذلك حتى الدموع .
حَسْناً فَلَا يَأْتِيَنَّ أَحَدٌ ليقول لى بالأشعر ثمت فى
التجارة ، فى المؤسسات !

هَيَّا بنا ... ، إِنَّهُ لَيَنْقُذُ عَبْرَ الْمَسَامِ كُلَّهَا ... فى هذا
الهواء البحرى أستنشقه ، لأنَّ كلَّ ذلك مُلائم تماماً
للبواخر والملاحة الحديثة ، لأنَّ الفواتير والرسائل
التجارية هى مبدأ التاريخ والسفن حاملة البضائع فى
البحر الخالد هى منتهاه .

آه ، لَهَفَى على الأسفار ، الأسفار الترفيحية ،
والأسفار الأخرى فى البحر ، نغدو جميعاً رفاقاً لبعضنا
البعض بطريقة خاصة ، كما لو أنَّ سِرّاً بحرياً يُقَارَب
مَابَيْنَ أرواحنا ويجعلنا لفترة معينة ، مواطنين عابرين
فى وطن ملتبس لَاهَمَّ لَهُمْ غيرُ الترحال الأبدى فوق
شساعة الحياة !

يا فنادقَ اللانهاى الهائلة ! أوه سَفْنَى الأثيرات !

بَكُونِيَّتُكُنَّ الكاملة الشاملة إذ لا تتوقفن عند أيّة
نقطة مَعَ ما تحويّنه مِنْ شَتَّى أنواع الأزياء ، والأوجه ،
والأجناس !

الأسفار ، الأسفار - ما أكثر أنواعها ! -

ما أكثر البلدان والجنسيات فوق هذا العالم ! ما أكثر
المهن ! ما أكثر البشر !

لَكُمْ هو مدهشٌ تنوّعُ المصائر التي يمكن أن تُمنح
للحياة ، للحياة التي هي في النهاية ، في العمق ، دائماً
هي نفسها !

ما أكثر الوجوه المستطلعة ! - كل الوجوه تحب
الاستطلاع ! ... ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ يمنحنا التدين المفرط مثل
إدمان النظر إلى البشر ، أمّا الأخوة فليست فكرة ثورية
في آخر المطاف .

هي شَيْءٌ نتعلّمه طوال حياتنا التي علينا أن نتسامح
فيها مع كل شَيْءٍ ، مع ما قَدْ نَجِدُهُ من نعمة فيما نتسامح
معه ، وما تنتهي إليه من البكاء حناناً تقريباً على مَا
تَسَامَحْنَا بصدده .

أوه ، كل ذلك جميل ، كل ذلك إنساني وموصول
بالعواطف الإنسانية المعاشة والبورجوازية ، الشديدة
التعقيد في بساطتها ، ذات الكآبة الميتافيزيقية جداً !

الحياة الرجراجة ، المتنوعة ، التي تنتهي بتهذيبنا

داخل ما هو إنسانى :

مساكين ! يالهم من أناسٍ مساكين ! الناس ، كل
الناس مساكين !

إننى أودّع هذه الساعة فى جسم المركب الآخر
الذى يغادر الآن . إنه مركب إنجليزى شديد القذارة كما
لو كان سفينة فرنسية ، برائحة البروليتارى الجذّابة ،
بروليتارى البحار الذى أعلنوا ولا ريب عن رحلته فى
الصفحة الأخيرة من الجرائد اليومية⁽⁴⁾ .

الباخرة المسكينة تؤثر فى ، كمّ هى متواضعة
وطبيعية أثناء مرورها .

يبدو أنّها تعاني من وسواس معين من شئ
لا أدري كنهه ، مثل شخص عفيف بصدد إنجاز
واجب ما .

هناك تمضى تاركة حيزاً قبالة الرصيف حيث
أوجد .

هناك تمضى بهدوء من حيث مرّت السفن
الشراعية فى الزمان القديم ، القديم ...

ألى كرديف ذاهبةً هى ؟ ألى ليفربول ؟ إلى لندن ؟
لايهم .

إنها تقوم بواجبها . كذلك نقوم بواجبنا نحن ، ما
أروعها حياة !

سفر طيب ! سفر طيب !

سفر طيب ، يا صديقتى المسكينة والعابرة ، يا مَنْ
أسديت إليّ أفضل معروف بأن حملت معك حُمى
أحلامي وأحزانها ، ورددت إليّ الحياة عندما نظرتُ إليك
فأبصرتك تمضين ...

سفر طيب ! سفر طيب ! إنها الحياة ...

يا لرباطة جأشك الطبيعية ، التى لا يمكن تفاديها
وأنت تُغادرين ميناء لشبونة اليوم !
إننى لأشعر بوُدٍّ مُمتنٍّ حيالك ، لأجل ذلك ...
أى ذلك ؟ وكيف لى أنا أن أعرف ذلك ... هيا ...
امضي ... مري ...

برعشة خفيفة

(t t t t t)

يتوقف فى داخلى المقود الدوّار .
لتمضي ، أيتها الباخرة ، البطيئة ، مري ولا
تمكثى ...

أذهبى عنى ، اغرُبى عن بصرى ،
اغرُبى من داخل قلبى ،
فى البعيد ضيعى ، فى البعيد ، فى عرض البحر يا

سحابة الله ،

ضيعى ، واصلى مصيرك ، واتركيني ...

مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَبْكِيكَ وَأَسْأَلُكَ ؟

مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَكَلِّمَكَ وَأَعْشَقَكَ ؟

مَنْ أَكُونُ أَنَا حَتَّى أَتَكَدَّرَ عِنْدَ رُؤْيَيْكَ ؟

اتركى الرصيف ، فالشمس تنمو ، ذهباً يلتهب ،

تتلاّأ أسقفُ مبانى الرصيف ،

كُلُّ هَذَا الْجَانِبِ مِنَ الْمَدِينَةِ يَلْتَمِعُ ...

إرحلى ، هيا ، دعينى ، تحولى

أولاً إلى سفينة وسط الرصيف النهري ، مرثية

وواضحة ،

ثم إلى مركب أسود على طريق حصباوي ،

ثم إلى نقطة مبهمّة فى الأفق (أوه ، يالْقَلْقَى !)

نقطة تزداد انبهاماً مرّة تلو أخرى ،

ولا شىء بعد ذلك ، لا شىء ، إلا ما كَانَ مِنِّي وحدي

أنا وحزني ،

والمدينة الكبيرة مغمورة بالشمس الآن ،

والساعة الواقعية العارية مثل رصيف بلا سفن ،

ودوران الرافعة البطيء ، مثل بركار دوّار
يخط في صمت روعي المضطرب نصف دائرة
انفعال أجهل كنهه .

. 1915

تزجية الوقت

نشيد حسوى

إلى خوصى المادا نيغريروس .

المادا نيغريروس : لا يمكنك أن

تتصور كم أشكرك على أنك

قد وجدت .

البارودى كامبوس

I

أن أحسَّ كُلَّ الأشياء بجميع الطرق الممكنة ،

أن أعيش الأشياء كُلَّها في كل الجهات ،

أن أكونَ الشَّيْءَ ذاتَه بجميع الصيغ الممكنة في وقت

واحد ،

أن تتحقَّق فيَّ الإنسانية جمعاء لكل اللحظات في

لحظة واحدة مطوَّلة ، مديدة ، كاملة بعيدة .

أريد دائماً أن أكونَ ذلك الذى أتعاطف معه ،
سأتحولُ دائماً ، عاجلاً ، أم آجلاً إلى ذلك الذى أتعاطف
معه ، حجراً كان أم حنيناً ، زهرة أم فكرة مجردة ،
حشداً بشرياً أم طريقة لفهم الله .

متعاطفاً مع الجميع ، أعيش الكل فى الكل ، الرفعاءُ
من الرجال جذابون عندى لأنهم رفعاء ، والوضعاءُ
عندى كذلك لأنهم وُضعاء أيضاً ، إذا كان من هو أدنى
مختلفاً عَمَّنْ هو أعلى فلقد يُحسب ذلك امتيازاً فى
حالات معينة . بحسب الرؤية للأمور . أتعاطف مع
رجال لمزياتهم الخلقية ، وأتعاطف مع سواهم لافتقارهم
إلى تلك المزايا ، ومع آخرين لأنَّهم حُرِّموا من أيةٍ
جاذبية ، وثمت حالاتٌ عضوية جداً يبدو لى كل الرجال
فيها جذابين .

أجل ، بصفتى العاهل المطلق فى مملكة تعاطفى ،
حَسَبُ التعاطف أن يُوجد كى يمتلك مبرراً وجوده .

إلى صدري المختلج أضُمُّ فى عناقِ مؤثِّر ،

(هو نفسُ العناقِ المؤثِّر)

الرجل الذى يهبُ القميص للمسكين المجهول ،
الجنديُّ الذى يموت من أجل الوطن من غير أن يعرف ما
هو الوطن ، و ...

وقاتل أمه ، قاتل أخيه ، منتهك المحارم ، مغتصب
الصبيان ، قاطع الطرق ، لص البحار ، النشال ، الظل
المتربص فى الزوايا ...

جميعهم يُشكّلون عشيقتي الأثيرة على الأقل فى
لحظة معينة من الحياة .

أقبلُ تُغرُّ كلَّ المومسات ،

أقبلُ عيون كلَّ القوادين ،

تتمددُ سلبيّتي عند أقدام كافّة القتلة ، ومعطفي
الإسباني يغطي انسحاب كافّة اللصوص .

كل الأشياء إنما هى مبررٌ لوجودى فى الحياة .

كل أنواع الجرائم اقترفت ،

فى قلب كل الجرائم عشت ،

(وأنا نفسى . لم أكن فى الرذيلة أياً من هؤلاء ،

بل كنتُ الرذيلة نفسها ممارسة من طرفهم ،

ومن ثمة أستمدُّ لحظات الظفر فى حياتى)

تعدّدتُ كى أحسّ بذاتى

ولكى أمارسَ الإحساس ، كنتُ بحاجة إلى

الإحساس بكل شئ ،

طفحتُ وارتشحتُ ،

تعرّيتُ ووهبتُ للغيرِ نفسى ،

وفى كُلِّ زاويةٍ من زوايا الروحِ أقمتُ مذبحاً لإلاه
مغاير .

أذرعُ كلِّ العدائين طَوَّقَتْنِي بغتَةً مِثْلَ أنثى ،
وأنا لمجرد تخيلٍ ذلك أغمى عَليّ بين العضلات
المتخيَّلة .

لِفَمَى منُحِتْ قبلات كُلِّ المواعيد الغرامية ،
فى قَلْبِي تَمَّ التلويح بمناديل الوداعات كلها ،
كُلُّ النداءات البذيئة بالإشارة أو النظرة صفَعَتْ
جسدي المتعطّش فى نُقْطه الحساسة .

كنتُ النُّسَّاكُ كُلُّهُمْ ، كُلُّ المتروكين للحساب ، كُلُّ
أنواع المنسيين ، وكُلُّ اللّواطين - مُطلق اللواطين (من
دون أن ينقص أى واحد منهم) .

آه أيُّها الموعد بالأحمر الأسود فى قاع جحيم
روحي !

(فريدى ، كنت أناديك بابى لأنك كنت أشقر شاحباً
وكنت أحببك ، كم كنتُ أرى فىك من إمبراطورات
متوجّات وأميرات مخلوعات !

ماري التى معها كنتُ أقرأ بيورن فى أيام كئيبة
كآبة الإحساس بالحياة ، ماري ، أنت لَنْ تعرفى أبداً

عَدَدَ الأزواج الشرفاء والعائلات السعيدة التي
عَاشَتْهَا عَيْنَايَ مِنْ خِلَالِكَ وَذِرَاعِي فَوْقَ رِدْفَيْكَ ،
وَوَعْيِي غَائِمَ الْقَسَمَاتِ ، عَدَدَ الْحَيَوَاتِ الْهَادِئَةِ ، الْمَنَازِلِ
ذَوَاتِ الْحَدِيقَةِ فِي الضُّوَا حِي ، أَنْصَافِ الْعُطَلِ غَيْرِ
الْمَتَوَقَّعة ...

مَارِي ، تَعِسٌ أَنَا ...

فَرِيدِي ، أَنَا تَعِسٌ تَعِسٌ ...

أَوْه ، أَنْتُمْ كُلُّكُمْ ، كُلُّكُمْ أَيُّهَا الْعَابِرُونَ ، الْمَتَأَخِرُونَ
كَمْ مَرَّةً خَطَرَ بِأَذْهَانِكُمُ التَّفْكِيرَ فِيَّ وَلَمْ تَفْعَلُوا !
آه ، لَكَمْ كُنْتُ ضَيْئِلَ الشَّأْنِ عِنْدَكُمْ ، كَمْ كُنْتُ ضَيْئِلَ
الشَّأْنِ ...

أَجَلْ ، ثُمَّ مَاذَا كُنْتُ يَا عَالِمِي الْذَاتِي ،

أَوْه ، يَا شَمْسِي ، يَا قَمَرِي ، يَا نَجُومِي ، يَا حِصَّتِي
مِنَ الزَّمَنِ ،

أَوْه ، أَيُّهَا الْجِزَاءُ الْخَارِجِي مِنْ ذَاتِي الضَّائِعَةِ فِي
مَتَاهَاتِ اللَّهِ !

الْكُلُّ يَمُرُّ ، كُلُّ الْأَشْيَاءِ مُصْطَفَّةٌ بِدَاخِلِي تَمْرُ ،

وَبِدَاخِلِي كُلُّ مَدْنِ الْعَالَمِ تُوشِشُ ...

قَلْبِي مُحْكَمَةٌ ، قَلْبِي سُوقٌ ، قَلْبِي صَالَةٌ بِوَرَصَةٍ ،
قَلْبِي طَاوِلَةٌ بِنَكِيَّةٍ ،

قلبي موعد الإنسانية جمعاء ،

قلبي مقعد حديقة عمومية ، نُزْل ، فندق ، زنزانة

رقم كذا

(« هنا أقام ال مانولو قُبيل أن يُساق إلى سقالة

الإعدام »)

قلبي ناد ، صالة ، باحة أرائك ، نجمة ، شَبَّاك ،

بوابة ، جسر ، بابٌ حديد ونزهة ، مسيرة ، مزادٌ ،

معرضٌ موسم حجٍّ ،

قلبي خصاص بابٍ ،

قلبي صندوق بريد ،

قلبي رسالة ، بضاعة ، يضى ، تسليم ،

قلبي الهامش ، الحد ، الموجز ، المؤشّر

قلبي بازأر Eh - Lá , eh - Lá , eh - Lá

.....
.....

أَحْمَلُ في قلبي

كما لو في خزانة مكتظة عصية الإقفال

كُلُّ الأمكنة التي بها حَلَلْتُ ،

كُلُّ الموانئ التي إليها وصلت ،
كلُّ المناظر التي حالما شاهدتها ،
منَ النوافذ أو الكُوى أو الجسور ،
غَيْرَ أَنَّ ذلك كُلُّهُ ، على كثرته ،
أقلُّ بكثير مما أرغب فيه .

مدخل سنغافورة ملوَّناً بالاخضرار مع انبلاجة
الصباح ،

دفع المروور بمرجان جزر المالديف ،
ماكاو في الواحدة صباحاً ... أستيقظ فجأة ...

Yat - Lô - ô- ô- ô- ô- ô- ô ... Ghi ...

وكل ذلك يَرِنُ بداخلي من أعماق واقع آخر ...

القَوام الشمال إفريقي تقريباً من زنجبار تحت
الشمس ...

دار السلام (الخطرة عند الخروج) ...

ماجونگا ، نوسى - بى ، اخضرارات مدغشقر ...

العواصف المحيطة بكواردافوى ...

ورأس الرجاء الصالح ناصعاً تحت أشعة
الصباح ...

ومدينة الرأس بجبل المائدة في خلفية المشهد ...

سافرتُ إلى بلدان كثيرة أكثر من تلك التي زرتها ،
شاهدتُ مناظر كثيرة أكثر مما رأتُ عيناى ..
جربتُ أحاسيس أكثر من كل تلك التي أحسستها ،
لأننى من فرط ما أحسستُ ظل ينقصنى دائماً شئ
أحسه ،

والحياة دائماً عذبتنى الحياة ، ما منحتنى كان دائماً
قليلاً ، أنا التَّعيس .

فى لحظات معينة من النهار أحس بالذعر عندما
أتذكّر ذلك كله ،

وأفكّر فيما سيتبقى لى من هذه الحياة المجزأة ، من
هذا الأوج ،

من هذا الطريق المتعرج ، من هذه السيارة على
حافة الطريق ، من هذا الإنذار ،

من هذا التعكّر الهادئ لأحاسيس ناشزة ،
من هذا الصّفق ، من اللاجوهريّة هذه ، من هذا
التواؤم القزحى ،

من هذا القلق فى قاع كل الأكمّام الزهرية ،
من هذا الضجر المقيم فى أعماق كل الملذّات ،
من هذا الشّبّع الطّافح على عرى القناجين كلّها ،

من لعبة الورق المملّة هذه بين رأس الرجاء الصالح
وجزر الكنارى لا أدري أهى الحياة قليلة بالنسبة إليّ أم
أكثر مما يلزمنى ؟

لا أدري أبالقلّة أحسُّ أم بالكثرة ؟ لا أدري
أينقصنى وسواسٌ روحى ، نقطة ارتكاز فى
الذكاء ،

قربة دموية مع سرّ الأشياء ، صدمة عند
الاتصال ،

دفق الدم تحت الضربات ، ارتجاج عند أقلّ ضجة ،
أم أن لهذا كلّ تفسيراً أدعى للطمأنينة والسعادة ؟

كائناً ما كان الحال ، ألاّ أولدَ كان هو الأفضل ،

لأن الحياة مَهْمَا كانت مشوّقة فى كل اللحظات ،

لا بد أن تعذبنا و تبعث فينا الغثيان ، تبتقنا ،
تستهلكنا ، تحملنا على أن نصير ، تمنحنا الرغبة فى
الصراخ ، فى الوثوب ، فى الالتصاق بالأرض ،
والخروج من كافّة البيوت ، ونبذ كل منطق والقفز من
كل الشرفات ، والمضى إلى حيث نصير متوحّشين
حتى الموت بين الأشجار والنسيان ، بين الزلازل
والمخاطر وغياب الغد .

لكن ذلك كلّهُ كان ينبغي أن يكونَ أيّ شيءٍ آخر مطابق لما
أفكر فيه ومآبِهِ أحسّ ، دُونَ أن أعلم مآهُو ، أوهِ أيتها
الحياة .

أضُمُّ ذراعِي بهيأة صليب على المائدة ،
وبينهما أضَعُ رأسي ،

أنا بحاجة إلى الرغبة في البكاء ، لكن لا أعرف
طريقة لاستثارة الدموع ...

رغم ما أبذل من جهد لأمتلك أكبر قدرٍ من الإشفاق
على نفسي
لأ أنجح في البكاء .

روحي متشققة بفعل السبابة التي تحكُّها
ماذا سيصير مني ؟ تُرى ماذا سيصير مني ؟
دُونَمَا دَاعٍ ضربوا مُهرَج القَصْرِ بالسيّاط ،
أنهضوا المتسوّل من كبوته على الدُّرج ،
جلّدوا الطفل المنبوذ نازعين كِسرة الخُبز من يديه .
أوه يا عذابَ هذا العالم اللامحدود ، ما ينقصني هو
الفعل ...

يَالَهُ من تدهور ، يَالَهُ من تدهور ، يَالَهُ من تدهور ...
لا أكون بحالٍ جيدةٍ إلّا لدى سماعي الموسيقى ، ولا

حتى فى هذه الحال .

يا حداثق القرن الثامن عشر قبل 89 ، أين أنتن ؟
ذلك أنتى أريدُ البكاء بأية وسيلة .

مثل بَلَسْم يُواسينا لمجرد تصوُّر أنه بَلَسْم يواسى
ينزل المساء رتيباً رويداً رويداً ، مساءً هذا اليوم وكل
الأيام .

لقد أنيرت الأضواء ، ينزل المساء ، وتتعاقب
الحياة .

لا بد من مواصلة العيش مهما كانت الوسيلة .
مَثَلٌ يَدِ تَضْطَرُّمُ الرُّوحِ فِيزِيقِيَا لَدِيَّ
وأنا واقف فى طريق الجميع الذى يتعَثَّرون بى ،
يا ضيعتى فى الإقليم الريفى ،
لو أن بينى وبينك قطاراً على الأقل ، عربةً ، قراراً
بالسفر .

وأبقى هنا وأبقى ... أنا من يريد الرحيل دائماً
ودائماً يبقى ، دائماً يبقى ، دائماً يبقى ، حتى الموت يبقى ،
حتى لو رحل يبقى ، يبقى ، يبقى ...
ألا فلتعد إنسانياً إليَّ أيُّها الليل ، عُدْ أخوياً إليَّ
مفعماً عنايةً .

إنسانياً فحسبُ يمكن العيش .

فقط بحب الرجال ، حب الفعل ، حب المهام المبتذلة ،
هكذا فقط - يا ويحي ! - هكذا فقط يمكن العيش
هكذا فقط ، أوه أيُّها الليل ، وأنا لا يمكن أبداً أن
أكون هكذا !

رأيتُ كُلَّ شَيْءٍ وأعجبتُ بكلِّ شَيْءٍ
لكنَّ كلَّ شَيْءٍ كانَ إمَّا زائداً على ما أريد أو أقلَّ
مِمَّا أريد - لا أدري كيف - وهكذا تعذُّبت .
عشتُ كلَّ الانفعالات ، كُلَّ الأفكار ، كلَّ الإشارات
وبقيتُ حزيناً ، مع ذلك ، حزيناً أكثر ممَّا كنتُ
كما لو أنَّني أردتُ أن أعيش ذلك كله من دون أن
أظفر بشيءٍ منه .

مثل كل الناس أحببتُ وكرهتُ ،
لكن إذا كان ذلك بالنسبة إلى الجميع أمراً طبيعياً
وغريزياً
فإنه كان عندي استثناءً ، صدمةً ، صمّاماً ،
وتشنجاً .

تعالَ إلى أيُّها الليل ، وأطفئني ، تعالَ وأغرقني
فيك ،

يا مدلل العالم العلوي ، يا سيّد الحداد اللانهائي ،

يا أَلَم الأرض البرَّاني ، يا بكاء العَالَم الصامت ،
أيتها الأم الناعمة القديمة لانفعالات لا تعبير لها ،
أيتها الأخت الكبرى الحزينة العذراء للأفكار
المشتتة ،

أيتها الخطيبة المترقبةُ أبداً مقصدنا الناقص ،
طريقَ مصيرنا المهجورَ على الدوام ،
شكنا الوثنيَّ الخالي من المسرة ،
ضعفنا المسيحيَّ المجردَ من الإيمان ،
بوزيَّتنا الجامدة المجردة من محبة الأشياء ومن
نشوة الوجد ،

حُمَانَا ، شحوبَنَا ، نَفَادَ صبرنا ،
ياحياتنا ، أوهِ أَمْنًا ، حياتنا الضائعة
لا أعرف كيف أحسُّ ، لا أعرف كيف أكون إنساناً ،
ولا كيف أتعايشُ من أعماق الروح الحزينة مع البشر
إخوتي على الأرض .

لا أعرف أن أكون نافعاَ عندما أحسُّ لا أعرف أن
أكون عملياً ، واضحاً ، مندمجاً في اليومى ،
وَلَا أَنْ أَتَّخِذَ لى مكاناً في الحياة ، وأن أمتلك غايةً
محددة بين الناس ،

عملاً ، قُوَّةً ، إرادةً ، بستاناً ،
وسيلة للراحة ، مبرراً للتسلية ،
شيئاً ما يأتى من الطبيعة مباشرة إليّ .
لذلك كُنْ أمومياً معى أيُّها الليل الهادئ ...
أنت ، من تنتزع العالم من العالم ، أنت ، السلام
أنت ،
أنت الذى ليس لك وجود ، أنت الذى لست سوى
غياب للنور ،
أنت الذى لست بشيء ، لا يمكن ، ولا ذات ، ولا
حياة ،
أنت نسيج بنيلوب المنسول غداً من عتمتك ، بنيلوب
المكَّارة اللاواقعية للمحمومين ، للقانطين بلا سبب ،
تَعَالِ إِلَى أَيُّهَا الليل ، ومُدِّ نحوي اليدين
وكُنْ بَرْدًا وسلاماً على جبيني أيُّها الليل ...
أنت ، يا مَنْ يبدو حُلُولُكَ لفرط نُعومتِه نأياً ،
أنت بجزر ظلامك ومدّه حينما يكون للقمر المتنهد
أمواج حنان ميّت ، برودة بحارٍ من حُلْم ،
نسيمٌ مشاهدٌ يخترعها قنطُنا الطاغى ...
أنت ، شاحباً ، دمعياً ، سائلاً ، أنت

يا عبير الموت بين الزهور ، أنفاس الحمى على
الضفاف ،

أنت ، الملكة ، أنت ، القشتالي ، أنت ، السيد الشاحب ،
تعال .

.....
.....

نَفِيرٌ واضحٌ للصباح فى عمق
نصف الدائرة البارد من الأفق ،
نفير خفيفٌ ناءٍ مثل رايات مبهمة
منشورة من بعيد تتعذرُ رؤية ألوانها ...
نفير مرتعش ، عَجَاجٌ محبوسٌ حيث يتوقف الليل ،
عَجَاجٌ من ذهب محبوس فى قعر الرؤية ...
عربة تُصدر صريراً نظيفاً ، باخرة تُصَفِّرُ ،
رافعة تشرعُ فى الدوران فى أذني ،
سُعالٌ جافٌ ، خَبْرٌ عَمَّنْ يُغادرُ المنزل ،
قشعريرة صباحية خفيفة فى غمرة الابتهاج
بالحياة ،

قهقهة مباغتة مؤرقة ، لا أدرى كيف ، من ضباب
خارجى ،

متعلّمة خياطة مُتّجهة إلى ما هو أسوأ من
الإحساس بالصباح ،

عاملٌ مسلولٌ محطّمٌ محرومٌ من أن يكون سعيداً
فى هذه الساعة ذات الحيويّة التى لا يمكن تفاديها ،
والتي رونق الأشياء فيها ناعم ، حقيقى وجذاب ،
والجدران نديّة لدى لمسها باليد ،
والبيوتُ هنا وهناك تُفركُ أعيناً ذات ستائر
بيضاء ...

كل فجر ستار يهتز ،
ينعش أو هام وذكريات روحى التائهة ، داخل
قلبي الخالى من الروح الوبائية ،
داخل قلبي المتعب المحجّب ...

(...)

(...) والكل آخذٌ طريقه

نحو الساعة المفّعمة ضوءاً حين تفتح المتاجر
أجفانها وضجيج مرور عربة قطار أحسّ أنا بشمس
شعّاء .

دُوار منتصف النهار المسيّج بأنواع الدُوار

- شمس على القمم شمس [....] رؤيتى المثلومة ،

شمس طاحونة الهواء المتوقفة في ذاكرتي
اليابسة ،

شمس البريق المضرب والثابت لوعيي بالحياة .
ضجيج حركة مرور عربية قطار سيارات أحس
الشمس شارعاً ،

طارات براميل ، تراماً ، دكاناً ، شارعاً ، واجهات
تنانير ، عيوناً

بسرعة تخترق قضبان سكة الحديد الشارع عبور
الشارع

تخترق الطوارات دكاكين « Perdôo » الشارع
الشارع المتجول فوقى أيضاً يتجول في الشارع
فوقى

كل مرايا دكاكين الـ هنا داخل دكاكين الـ هناك
سرعة السيارات مقلوبة في المرايا المائلة لواجهات
المتاجر ،

الأرض من فوق الشمس تحت الأقدام الشارع
يسقي ورداً في السلة

ماضي الشارع مرتعش والشاحنة الشارع لا
أتذكرني شارعاً⁽¹⁾ .

أنا الرأس المائل في مركز وعيي بذاتي

شارعٌ بدون إمكانية العثور على مجرد إحساس
بالشارع شارعٌ ، كل مرة شارعٌ إلى الخلف شارع ، إلى
الأمام تحت قدميَّ

شارع في X في Y في Z بين ذارعيَّ

شارع من خلال نظارة عيني الوحيدة مصنوعة
دوائر سينمائية مصغرة ،

مشكلاً لانحناءات قُرَحِيَّة واضحة تغدو شارعاً .

تَمَلُّ أنا بالشارع وبإحساسي ورؤيتي وسماعي
كل شيء في نفس الوقت .

لديَّ خفقان في الصُّدُغين لترنُّحي ما بين هذه
الجهة وتلك .

.....
.....

أطوى الأيام كلها أطوى زوايا كافة الشوارع .
ودائماً حينما أفكر في شيء أفكر في الآن نفسه في
شيء آخر .

لأ أعرف الإذعان إن لم يكن لدافع وراثي⁽²⁾ ،
وما لم أكن طريح الفراش لديَّ دائماً مبررات
للسفر .

من سطوح مقاهي المدن المتاحة للمخيلة .

أراقب الحياة التي تمر ، أتابعها من دون أن
أتحرك ،

إليها أنتمى بدون أن أخرج مجرد إشارة من جيبى
أو أدون ملاحظة عما رأيتُ لكى أظهار فيما بعد
بما رأيت .

فى السيارة الصفراء تمرُّ المرأة النهائية لأحدهم
وأنا بجانبها أسير من غير أن تعلم هى ،
يلتقيان وفق صدفة مدبرة على الطوار المجاور ،
لكن من قبل أن يلتقيا كنت قد سبقتهما إلى هناك .
ما من وسيلة تجنبهما اللقاء بى ،
ما من طريقة تمنعنى من أن أوجد فى كل الجهات .
كل امتيازى هنا

(براءة اختراع ، بدون ضمانه من الله ، آه يا
روحى)

أشهد كلُّ شئ على نحو نهائى
ما من حلي نساء لم أشتريها أنا ولأجلى
ما من موعد أعطي إلا وأنا مانحه بطريقة ما .
ما من فحوى كلام إلا وهو عائد مصادفة إلي .
ما من جرس قُرْع فى لشبونة منذ ثلاثين عاماً ، أو

ليلة أوبرا في سان كارلوس منذ خمسين عاماً ، إلا وهي
احتفاء غزليٍّ مُوجَّهٍ إليَّ .

لقد ربَّتني المخيِّلة

على يدها تَمَّتْ دائماً أسفارِي ،

بواسطتها دائماً أُحِبُّ ، كرهْتُ ، تكلَّمْتُ وفكَّرْتُ ،

ولجميع الأيام هذه النافذة من أمام

جميع الساعات ، على هذا النحو ، تبدو ساعاتي .

.....
.....

أستلقي بكل قامتي على حياتي برُمَّتْها

جاعلاً شِراة العيش تزار بداخلي ...

لا توجد في العالم كُلُّهُ إشاراتُ مسرَّة تُعادلُ

الفرح العجيب الذي لا يملكُ طريقةً أخرى للتعبير

عنه سوى أن يتمرَّغ على الأرض فوق النباتات ويمتزج

بالطين إلى حدِّ تلويث بدلته وشعره ...

مَأمِنٌ أشعارٍ يمكن أن تعبر عن ذلك ...

لننزع (...) النبات ، ولنعضها وعندئذ

ستفهمونني ،

ستفهمون بالكامل ما أعبرُّ عنه ناقصاً .

إنَّ سُعَارَى من أجل أن أكون جذراً
يلاحق أحاسيسي مثل نسغ من الداخل ...
أريد أن أمتلك كل الحواس ، حتى الذكاء ،
حتَّى المخيَّلة والكبح
التصقى بجلدى كى أستطيع التمرُّغ عميقاً داخل
الأرض الخشنة ،
شاعراً أكثر فأكثر بصلابتها وخشونتها .
لن أكون مسروراً إلا إذا كان جسدي هو
روحي ...
هكذا كل الشمس ، كل الرياح ، وكل الأمطار
سأحسُّ بها وفق رغبتى وحدها ...
ولأن ذلك لا يمكن أن يحدث لى أياسُ وأتسعرُ ،
تستبدُّ بى الرغبة فى أن أكون قادراً على تمزيق
بدلتى بأسناني وفى أن تكون لى مخالف أسد قوية
لأسلخ جسدى إلى أن يسيل الدم . يسيل ، يسيل ،
ويسيل ...
أتعذَّب لأن هذا عبث كله
كأنَّ أحداً يخافنى
يخاف إحساسى العدوانى تجاه القدر تجاه الله ،

الإحساس المتولد من كوننا نتطلع إلى ما لا
يوصف ،

فندرك حينئذ ، فجأة ، ضعفنا وضآلتنا

.....

.....

كل الأصباح هي مُطلق الصبح وهي الحياة بِرُمَّتْها
كل الأفجار تبزغ من نفس المكان :
من اللانهائي ...

مباهج كل الطيور تنطلق من نفس الحنجرة ،
ارتعاشات كل الأوراق تصدر من الشجرة ذاتها ،
وكل الذين ينهضون مبكراً إلى أعمالهم
يمضون من نفس البيت إلى نفس المَصْنَع عبر نفس
الطريق ...

دُورِ أَيْتْها الكرة الهائلة ، يا مُحْتَشِد الأوعاء ،
أَيْتْها الأرض
دوري ، برصاصٍ تحت الشَّموس ، مصبحةً ،
مُؤسِّيةً ، مُلِّيلةً ،

دورى فى الفضاء المجرد ، فى الليل المضاء سيئاً
بحق ،

دورى و (...)

أحسُّ سرعة دوران الأرض فى رأسى ،
وجميع البلدان والأجناس بداخلى تدور ،
أيها القانط الطارد ⁽³⁾ ، ياسُعار المضيِّ عبر الأجواء
حتى النجوم ،

أضرب بسياطك دواخل جمجمتى ،
ضع ضماداتٍ من دبابيس على كل مناطق الوعى
فى جسدى ،

اجعلني أنهض ألف مرة وأتجه نحو المجرد ،
نحو ما لا وجود له ، هنالك من دون أى تحديد ،
للهدف اللامرئى لجميع الجهات التى لا أوجد فيها ،
وفى الوقت نفسه .

أوه ، ألا أتوقَّف حتى لكى أمشى ،

ألا أنام ولو واقفاً ،

لا مستيقظاً ولا نائماً ،

لا هنا ولا فى أى مكان آخر ،

أن أجد حلاً لمعادلة هذا القلق المتناسل ،

أن أعرف أين أكون لأستطيع أن أكون فى كل مكان

أن أعرف أين أنام لأتجول فى كل الشوارع ،

أن أعرف أين (...)

Ho - ho - ho - ho - ho - ho - ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

هى

وثبةٌ مَجْنُحةٌ أعلو بها فوق كل الأشياء ،

وثبةٌ متفجرةٌ أنسابُ بها تحت كل الأشياء

وثبةٌ مُجَنَّحةٌ متفجرةٌ مِنى بدافع من الأشياء

كلها ...

هُوبُ - لا من فوق الأشجار ، هُوبُ - لا من تحت

البرك ،

هُوبُ - لا لصق الحيطان ، هُوبُ - لا محسناً

بالجدوع ،

هُوْپ - لَأ فِى الهَوَاء ، هُوْپْ - لَأ فِى الرِّيح ، هُوْپْ -
لَأ فِى الشَّوْاطِئْ

وَفْق سُرْعَة مِتْنَامِيَة ، عَنِيْفَة ، مُلْحَاح ، هُوْپْ -
لَأ هُوْپْ - لَأ هُوْپْ - لَأ

وَثْبَة حُلُولِيَة أَنْفَذَ بِهَا دَاخِلَ الْأَشْيَاء كُلِّهَا ،

وَثْبَة قَوِيَة إِلَى دَوَاخِلِ كُلِّ الطَّاقَاتِ ،

وَثْبَة مَنَى فِى قَلْبِ الْفَحْمِ الْمَشْتَعِلِ لِلْمَصْبَاحِ الْمَتَقَدِّ

لِكُلِّ الطَّاقَاتِ الْمُسْتَهْلَكَةِ

وَتَبَتَّى [.....] ،

وَثْبَة مِتْفَجْرَة مِثْلَ قَنَبِلَة مِتَشْظِيَة ،

وَثْبَة مِتْفَجْرَة مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ فِى وَقْتٍ وَاحِدٍ ،

وَثْبَة فَوْقَ الْفَضَاءِ ، وَثْبَة فَوْقَ الزَّمَنِ ،

شَقْلَبِيَة ، حِصَانِ نِيَو - إِكْتَرُونِي ، نِظَامِ شَمْسِي

مِصْغَرٍّ ،

دَاخِلَ حَرَكَةِ الْمَكَابِسِ ، خَارِجَ دَوْرَانِ الْحَرَكِ ،

دَاخِلَ الْمَكَابِسِ مِتَحَوِّلاً إِلَى سُرْعَة مِجْرَدَة

وَمِجْنُونَة ،

أتحركُ أنا ، ذهاباً إياباً ، على إيقاع من حديد
وسرعة ، جنون ، هيجان مكبوح ،
مشدوداً إلى أثر كُلِّ المُقاوِدِ أدورُ داخل ساعات
مذهلة ،
والكون كله يصيرُ ، يتدثرُ بالنجوم ، ثم يتشوّهُ
بداخلي .

Ho - ho - ho - ho - ho...

تزداد السرعة أكثر فأكثر ، والروح تتخطى الجسد
كُلَّ مرة ،
تسبق الفكرة الخاصّة السريعة ذاتها للجسد
المقذوف ،
والروح من وراء الجسد ، ظلاً ، شرارة ،

He - La - ho - ho... HeLa h ho...

كل طاقة هي نفسها في كل مكان والطبيعة هي
نفس الطبيعة ...

نُسغِ نُسغِ الأشجار هو نفس الطاقة التي تُحرّك
عجلات القاطرات ، عجلات التّرام ، محرّكات
الدّيزل ، وعربة مجرورة بالبغال أو بالبنزين

هى عربية مجرورة دوماً بنفس الشيء .

إنَّه لَسُعَار حُلُولِي أَنْ أَحْسُ فِي دَاخِلِي بِرُعْبٍ ،
عَبَّر حَوَاسِي الْفَوَّارَةَ كُلَّهَا . عَبَّرَ كُلَّ مَسَامِي
الِدَاخِنَةِ ،

بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ سُرْعَةٌ وَاحِدَةٌ ، طَاقَةٌ وَاحِدَةٌ ، خَطٌّ
إِلَهِى وَاحِدٌ

لَا نِهَائِيٌّ مُحْبُوسٌ يَهْمِسُ مِنْ جِهَةٍ لِأُخْرَى بِعَنْفٍ
سُرْعَةً مَجْنُونَةً ...

Ho - ho - ho - ho - ho - ho - ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

مَرَحَى ، مَرَحَى ⁽⁴⁾ ، لَتَحَى وَحْدَةَ السَّرْعَةِ فِي كُلِّ
شَيْءٍ !

مَرَحَى ، مَرَحَى ، لَتَحَى مَسَاوَاةَ كُلِّ الْأَشْيَاءِ وَهِيَ
تَرْتَفِعُ بِسُرْعَةٍ !

مَرَحَى ، مَرَحَى ، لَتَحَى آلَةُ الْكُونِ الْكَبِيرِ

مَرَحَى ، فَأَنْتُنَّ شَيْءٌ وَاحِدٌ أَيْتَهَا الْأَشْجَارُ ، الْأَلَاتُ ،
القوانين ،

مَرَحَى ، أَنْتُنَّ الشَّيْءُ نَفْسُهُ أَيْتَهَا الْيِرْقَاتُ ، الْمَكَابِسُ ،
الأفكار المجردة ،

نَفْسُ النُّسْخِ يَمْلَأُكُنَّ ، نَفْسُ النُّسْخِ يَحُولُكُنَّ ،
شَيْءٌ وَاحِدٌ أَنْتُنَّ ، وَمَا تَبَقَّى خَارِجِي وَزَائِفُ ،
مَا تَبَقَّى فَضْلُهُ جَامِدَةٌ تَبْقَى عَالِقَةٌ بَعِينِي
المشلولتين ،

لَكُنْ لَيْسَ فِي أَعْصَابِي مُحَرِّكٌ تَفْجِيرٌ بِالزِّيُوتِ
الثقيلة أو الخفيفة ،

لَيْسَ فِي أَعْصَابِي كُلُّ الْأَلَاتِ ، كُلُّ التُّرُوسِ .
فِي أَعْصَابِي قَاطِرَةٌ ، تَرَامُ ، سَيَّارَةٌ ، حَصَّادَةٌ
ميكانيكية

فِي أَعْصَابِي آلَةٌ بَحْرِيَّةٌ ، دِيزِلُ ، نَصْفُ دِيزِلُ
كاميل ،

فِي أَعْصَابِي جَهَازٌ كَامِلٌ بِالْبَخَارِ ، بِالْغَازِ ،
الكازوال ، الكهرباء ،

آلَةٌ كَوْنِيَّةٌ مَشْغَلَةٌ بِأَحْزَمَةِ اللَّحْظَاتِ كُلِّهَا .
أَيُّهَا الْقِطَارُ تَحْطُمُ عَلَى مِصَدِّ السَّكَّةِ الزَّائِغَةِ !

أيتها الباخرة أبحري مستقيمة جنب الرصيف ثم
اططدمي لدى اللقاء به !

أيتها السيارة المسوقة من جنون الكون كله عجلي
مسرعة

عبر الهاويات كلها
ثم تحطمي ، trz ! تنائري في قاع قلبي !

أشياء القذائف كلها لي !

لي كل الاتجاهات

كل الأشياء التي تتجاوز أنظار كل سرعة لي !

هيا اضربوني ، اخترقوني ، اسبقوني !

فأنا الذي يضرب ، الذي يخترق ، الذي يسبق !

وفي دائرتي ينغلق سعار كل الاندفاعات !

HeLa - Loho أيها القطار ، السيارة ، يا طيارة ، يا

ضجري ،

أيتها السرعة انفذى إلى داخل كل الأفكار ،

ارتطمي بجميع الأحلام ثم حطّميهن ،

اسحقي كل المثاليين الإنسانيين والنافعين ،

دُوسى كل العواطف العادية ، المحتشمة ، المطيعة ،
انطحى لدى دوران مُحركك المدوّخ والثقيل
أجسام الفلسفات كلها ، مجازات كل القصائد ،
مزقيهنَّ جميعاً ولتبقَى وحدك أنت ، مقوداً مجرداً
فى الأجواء
سيِّداً أعلى للساعة الأوربية ، حرارة معدنية
خالصة .
هيا ، لتكنْ هذه الوثبة ممتدةً لا نهاية لها حتى فى
الله ذاته !
هيا ولأبقَ أنا نفسى وراء الوثبة ، لأبقَ
مَجْروراً فى مؤخرة القطار ، معصوراً ، مفرغاً ،
ضائعاً ،
أنا الفقير ، جسدى وروحى بلغا قمة ارتفاعى ،
حيث أتطلع إلى يوتوبيات مجاوزة للكون ، أتطلع
إلى أن
أترك الله من ورائى مثل صُوَّةِ الألفِ
وَأَن أسلم (....)

تؤلمنى المخيلة ، لا أدرى كيف ، لكن عنها يصدر
الألم ،

من أعالى السماء تنحدر الشمس فى دواخلى .
فى الأفق الأزرق وفى أعصابى يبدأ الإمساء .
هيا ، أيتها الوثبة ، إلى أى كائن آخر ستحوليننى ؟
أنا الذى أردتُ سريعاً ، شرهاً ، نهماً للطاقة المجردة
التهام العالم ، احتساءه ، خدشه وسلخه ،
أنا الذى لن يشفى غليلى سوى أن أدعس الكون
تحت قدمى ،
أن أدعس ، أدعس ، أدعس حتى أفقد الإحساس ...
أنا الذى أحسُّ أن كل ما رغبت فيه قد ظل خارج
إمكان ما تخيلتُ ،
وأُننى رغم اشتهاى كُلُّ شئ ، ظلَّ كُلُّ شئ
ينقصنى .

هى وثبة مفككة فوق كل القمم ،
وثبة منحلة تحت كُلِّ الآبار ،
وثبة طيران ، غارة سهم ، وثبة فكر - برق ،

وثبة أنا ، وثبة أنا ، وثبة الكون - أنا .

Helaho ho - o - o - o - o - o

كينونتي المطاط ، زُنْبُرُكُ ، مِسْلَةٌ ، ارتجاج ...

أن أحسَّ كُلَّ شَيْءٍ بكلِّ الوسائل ،

أن أملك الآراء كلها ،

أن أكون صريحاً ، أناقض نفسي في كل آن

أن أغيظ من أشياء بوحى من الحرية الكاملة للروح

وأن أحب الأشياء مثل الله .

أنا الذى أعتبرني أخاً لشجرة أكثر من كونى أخاً

لِعَامِل ،

أنا الذى أحسُّ الألم المتخيَّل للبحر وهو يجلد

الشُّطَّان

أكثر من إحساسى بالألم الفعلى للأطفال المجلودين

(أوه ، كم هو زائف هذا الذى أقول ، أيتها

المخلوقات المسكينة المجلودة - لكن لماذا تنقلب

أحاسيسى إلى النقيض بهذه السرعة ؟)

أنا ، فى النهاية ، حوار متواصل ،

كلام جهير لآ مَفْهُوم ، أنا ليل سامق فى برج ،
عندما ، فى كَسَل ، تهتز الأبراج من دون أن تقرعها
يد ويُعرَف بالكاد أن ثمة حياةً يمكن أن تُحيا للغد .
أنا ، فى آخر المطاف ، حرفيا أنا ،
ومجازياً كذلك ،
أنا الشاعر الحسّوي⁽⁵⁾ الذى أرسلته الصدفة
إلى الشرائع اللاغبار عليها للحياة ،
أنا مُدخِّن السجائر المحترق
وَمُدخِّن الأفيون ، متعاطى الأيسنط⁽⁶⁾ الذى
يفضل فى النهاية التفكير فى تدخين الأفيون على
تدخينه بالفعل .
ويميل إلى النظر إلى الأيسنط أكثر من ميله إلى
احتسائه ...

أنا ، هذا الوضع الأرفع من دُونِ أرشيف للروح ،
ولا شخصية ذات قيمة معترف بها ،
أنا البحّاة الجليل فى توافه الأشياء ،
قادر على الذهاب للعيش فى سيبيريا لمجرد
الاشمئزاز من ذلك ،

وأعلن أنه ليس مُهماً أن الوطن لا يهتمنى
لأننى لا أملك جذراً كالشجرة ، وإذن ، فأنا من غير
جذورٍ أحياء
أنا الذى أحسُّ مراراً أننى واقعي تماماً مثل أية
استعارة ،
مثل عبارة خطَّها مريض فى كتاب عثرتُ عليه فتاة
فى سطيحة ، أو لعبة شطرنج على متن سفينة
محيطات ،
أنا المربية التى تجرُّ عربة الرضيع فى كل الحداثق
العمومية ،
أنا الحارس الذى يحملق فيها متوقفاً خلف أشجار
الحوَر ،
أنا الرضيع فى عربته يطلق للاوعيه النورانى
إشارات بعقد من الجلاجل ،
أنا المشهد القائم وراء ذلك كله ، سلامُ المدن
المُصفى عبر أشجار الحديقة ،
أنا مَنْ ينتظرُ الجميع فى منزله ،
أنا هو أولئك الجميع الموجودون الآن فى الشارع ،
أنا ذلك الذى لا يعرفونه عن أنفسهم ،

أنا ، ذلك الشيء الذى تفكر فيه أنت فيجعلك تبتسم ،
أنا المتناقض ، الخيالى ، الثقيل ، الرغبة ،
اللافتة الملصقة منذ قليل ، أرداف الفرنسيات ،
نظرة القسيس ،
أنا الميدان حيث تلتقي الأزقة ، ويناام السائقون
فوق سياراتهم ،
ندبة العريف المتجهم ،
أنا الحزاز على عنق المعلم العائد مريضاً إلى المنزل ،
الفنجان المكسور المقبض الذى اعتاد ذلك الطفل
الميت أن يشرب دائماً منه .
(وكل ذلك ينفخ قلب الأم ويخترقها ...)
أنا درس الإملاء الفرنسى للصغيرة التى تقلب
رباط الجوارب ،
أنا القدمان المتحاكّتان على ضوء الثريا تحت
البريدج ،
أنا الرسالة المخبوءة ، دفء المنديل ، النافذة
المفتوحة على الشرفة ،
مدخل « المصلحة » حيث الخادم تُناجى رغبات ابن
عمّها ،

أنا ذلك الحثالة خوصي الذي وعد بالمجئ ولم يجئ
مع أننا كنا نُدبر له مكيدة مازحة ...

أنا كل ذلك وما تبقى من العالم كُلُّه علاوةً على
ذلك ...

كثير من الأشياء ، أنا ، الأبواب التي تُفَتَّحُ ، وما
بسببه تُفَتَّحُ الأبواب ،
وتلك الأشياء صانعةُ الأيدي التي تفتح
الأبواب ...

أنا الفشل الفطري لكل طرق التعبير ،
أنا استحالة التعبير عن جميع الإحساسات ،
ولا يوجد في أية مقبرة قَبْرٌ لآخ هذا كله ⁽⁷⁾ ،
وما يبدو بدون معنى دائماً ينطوي على معنى
معين ...

أجل ، أنا المهندس البحري المؤمن بالخرافات مثل
عرابة قروية

أستعمل نظارة عين واحدة حتى أبدو شبيهاً
بالفكرة الواقعية

التي أكونها عن ذاتي ،
وأمضى ثلاث ساعات كاملة في ارتداء ثيابي

وحدها

دون أن أجد ذلك طبيعياً ،

بل أجد ميتافيزيقياً تماماً ، وإذا أحدهم طرق بابي
أَغْضَبُ

لَا لِأَنَّهُ يفسد عليّ رِبْطَةَ العنق ، بل لِأَنَّهُ يذكّرني أَنَّ
الحياة مستمرة ...

أجل ، أنا من إليه تُوجَّه ، في النهاية ، الرسائل
المختومة بالشمع الأحمر ،

أنا صندوق الأحرف البارزة المستهلكة ،

ترنيمة الأصوات التي لن نسمعها أبداً من جديد
الله يحفظ كل ذلك في الغيب ، نحن نُحِسُّه من حين
لآخر ،

والحياة تغدو فجأة ثقيلة وتَحُلُّ برودة شديدة
أقرب إلينا من الجسد .

إيه بريجيда ، وابنة عمّ خالتي ،

الجنرال الذي كانتا تتحدثان عنه - جنرالاً كَانَ
عندما كانتا صغيرتين -

وكانت الحياة حرباً أهلية فى كل مكان ...
لتحي الميلودراما التى بكت فيها ماركو
دون نظام تسقط الأوراق اليابسة على
الأرض ،

لكنَّ الثابت أنَّ الخريف دائماً هو الخريف
والشتاء بعده آتٍ لا مناصَّ منه
ولأجل الحياة يوجد طريق واحد هو الحياة ...

ذلك العجوز التافه الذى عرف الرومانطيين ،
ذلك المنشور السياسى من عصر الثورات
الدستورية ،
والألم الذى يخلفه ذلك كُله من غير أن يُعرف
السبب
ولا أن تجد دَواعٍ للبكاء غير الإحساس بالبكاء
لذاته .

كُلُّ العشاق فى روى تبادلوا القبل ،
كُلُّ الصعاليك فوقى ناموا لبضع لحظات ،

كل المُهانين على ذراعى أراحوا قليلاً رؤوسهم على
شوارع ذراعى مرَّ جميع الشيوخ والمرضى
ولي أنا باح كلُّ القتلة بأخص أسرارهم .
(تلك التى توحى ابتسامتها بسلام أفتقده ،
وفى إغفاءة عينيها ثمة مشهد لهولندا
بنسائها المحجبات بالكثان
وكل المجهود اليومى لشعب مُسالم نظيف ...

تلك التى نسيت الخاتم فوق خزانة النوم
والشريط مُطلاً من الدُّرج ،
الشريط الوردى الذى لا أحبه لَلْوَنه بل لِعُلُوقه
بالدُّرج
مثلما لا أحبُّ الحياة بل أحبُّ الإحساس بها
فحسب ...

أن أنام مثل كلب ضال فى الطريق ، تحت الشمس ،
بعيداً نهائياً عما تبقى من الكون ،
وأن تمرَّ من فوقى شتى العربات)

ضاجعتُ كلَّ المشاعر
كنتُ قَوَّادَ جميع الانفعالات ،
كلَّ الأحاسيس الصدفويَّة ضَيِّفتني على موائد
الآخرين ،
غازلتُ كلَّ إشارة مؤدِّيَّة إلى فعل اللذة ،
ووضعت يدي في يد كل شهوات الرحيل .
يا للحمَّى الشاسعة لهذه اللحظات !
يا لقلِّق مَصْهر الانفعالات !
السُّعار ، الزُّبد ، الشَّساعة التي لا يسعُها منديلي ،
الكلبة النابحة في الليل ،
بركة الضيعة الريفية تحوم حول أرقى
والغابة حيث كُنَّا نتنزَّة في العشية ، والوردة ،
الضفيرة اللامبالية ، الطحلب ، أشجار
الصَّنوبر ،
وكل السُّعار الناجم عن عدم احتواء كل ذلك ، عن
عدم الإمساك به ،
أوه يا جوع الأشياء المجرَّد ، حماسة اللحظات
العاجزة ،

التهتكُ الفكرى للشعور بالحياة !

أن أنال كلَّ شئٍ بالكفاف الإلهى -

السهاد ، الرضا ، الإشعارات ،

الأشياء الجميلة للحياة -

الموهبة ، العفة ، العفو ،

الميل إلى اصطحاب الآخرين إلى البيت

وضعية المسافر ، امتياز الركوبِ باكراً للحصول

على مقعد ،

فائدةُ السفر إلى مكان آخر ،

لكن ينقصنى شئ ، شئ ما ، كأس ، نسيم ،

عبارة ،

والحياة إنما توجعنا كلما أبدعنا واستمتعنا بها

أكثر .

أن أستطيع الضحك ، الضحك ، الضحك

بإشراق

الضحك مثل كُوبٍ يُراق ،

مجنوناً تماماً لمجرد الإحساس ،

مَمْرُقًا بِفَعْلٍ احْتِكَاكَى مَعَ الْأَشْيَاءِ ،
مَجْرُوحِ الْفَمِ مِنْ جَرَاءِ عَضِي الْأَشْيَاءِ ،
بِالْأَظَافِرِ مُدْمَاةً لَشِدَّةِ مَا اقْتَلَعْتُ مِنْ أَشْيَاءِ
وَبَعْدَئِذٍ هَبُونِي أَيْةَ زَنْزَانَةٍ تَشَاوُونَ
سَأَتَذْكُرُ الْحَيَاةَ .

22 مای 1916 - 10 أبريل 1923

طبكيرية

لا أساوى شيئاً

ولن أكون أبداً لا شئ

لا أستطيع أن أرغب فى أن أكون لا شئ

عداً هذا ، أملك كل أحلام العالم فى دخيلتى .

نوافذ غرفتى ،

غرفة واحد من هؤلاء الملايين فى العالم لا أحد

يعرف من هو

(وحتى لو عُرف ، ماذا سيُعرف عنه ؟)

نوافذ مُظلة على غوامض شارع يجتازه

الناس باستمرار ،

تطل على شارع يصعب على الفكر ارتياده ،

واقعي ، واقعي حتى الاستحالة ، واضح بطريقة لا

تخطر على البال ،

بغوامض الأشياء تحت الأحجار والكائنات ،

بغوامض الموت الذى يُخزّن

الحيطان ويزرع البياض فى شعور الرجال ،

بالمصير الذى يقود عربة الكل فى طريق
الاشئ .

اليوم أنا مهزوم كما لو كنتُ أعرف الحقيقة ،
صاح كما لو كنت على وشك الموت .
لا أخوة مع الأشياء لدى أكثر من
أخوة وداع فيما هذا المنزل وذلك الجانب من
الشارع

يغدوان صفًا من عربات قطار ،
صفارة ممتدة داخل جمجمتى ،
ورجة فى أعصابى وطققة
فى عظامى لحظة الإقلاع ،
أنا اليوم مُبلبل خاطر ، كمن فُكّر فوجد ثم نسي
كل شئ ،

أنا اليوم موزّع بين انحيازى
للطبكيّة المقابلة لى ، كشئ واقعى من الخارج
وبين الإحساس بأن كل شئ هو مجرد حلم ،
بوصفه شيئاً واقعياً من الداخل .
أخفقتُ فى كُلّ شئ .

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي أَىُّ هَدَفٍ مِنْ أَىِّ نَوْعٍ فَقَدْ بَاتَ
كُلُّ شَيْءٍ غَيْرِ ذِي قِيَمَةٍ لَدَىَّ .

مَا لَقَّنُونِي إِيَّاهُ

قَذَفْتُ بِهِ مِنَ النَافِذَةِ الْخَلْفِيَّةِ .

لَقَدْ زَهَبْتُ إِلَى الْحَقُولِ تَحْدُونِي غَايَاتُ كَبِيرَةٍ ،

وَجَدْتُ أَشْجَاراً وَأَعْشَاباً فَحَسَبَ

وَالنَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ كَانُوا مِثْلَ الْآخَرِينَ .

أَتْرَكَ النَافِذَةَ مَفْتُوحَةً وَأَجْلَسَ عَلَى كُرْسَى . فِيمَ

يَنْبَغِي أَنْ أَفَكِّرَ ؟

مَاذَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْرِفَ عَمَّا سَأَكُونُ ، أَنَا الَّذِي لَا

أَعْرِفُ مَنْ أَكُونُ ؟

أَنْ أَكُونُ مَا أَفَكِّرُ فِيهِ ؟ أَفَكِّرُ أَنْ أَكُونُ أَشْيَاءَ عَدِيدَةٍ !

وَهُنَاكَ كَثِيرُونَ يَفَكِّرُونَ أَنْ يَكُونُوا ذَلِكَ الشَّيْءَ

نَفْسَهُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ لِلْكَثِيرِينَ أَنْ يَكُونُوهُ .

أَعْبَقِرِي أَنَا ؟ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ثَمَّةُ

مِئَةِ أَلْفِ دِمَاحٍ تَوْمَنُ مِثْلِي بِأَحْلَامٍ عِبْقَرِيَّةٍ ،

وَمَنْ يَدْرِي هَلْ سَيَحْفَظُ التَّارِيخُ حُلُمًا وَاحِدًا مِنْهَا ،

وَهَلْ سَيَبْقَى غَيْرَ الزَّبَلِ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْمَغْزَوَاتِ

الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ .

كَلَّا . لا أومن بنفسى

أليس ثَمَّتَ فى كثير من غرف السطوح وغيرها
نُبْغَاءٌ لأنفسهم فى هذه الساعة يحملون ؟

كم من تطلُّعات رفيعة ونبيلة وصاحبة
- إن كانت حقاً رفيعة ونبيلة وصاحبة -
رُبما قابلة للتحقيق ،

لن ترى أبداً نور الشمس الفعلية ولن تصل إلى
آذان الناس ؟

العالم مخلوقٌ لمنْ وُلدوا كى يمتلكوه
لا لمن يحلم بأنه قادر على امتلاكه ، ولو
كان على صواب .

لقد حلمتُ بأكثر مما حلم به نابليون نفسه .
ضَمَمْتُ إلى صدرى المفترض إنسانيات
أكثر مما ضَمَّ المسيح .

شيدتُ فى السر فلسفاتٍ أكثر من كل ما كتب
أَيُّ كانط .

لكن كنت وسأكون دائماً مجرد ساكن غرفة فى
سطح

ولو لم أعشُ فيها .

سأبقى دائماً مَنْ لم يخلق لذلك
سأبقى دائماً ذلك الذى امتلك بعض المزايا .
سأكون دائماً ذلك الذى توقّع أن يفتحوا له باباً فى
جدار بلا باب ،

والذى غَنَّى ترنيمة اللانهائى فى خُم الدجاج
الذى سمع صوت الله فى بئر مغلقة .
أَوْ أَوْ مِنْ بِنَفْسِي ؟ لَا بِنَفْسِي وَلَا بِأَيِّ شَيْءٍ .
لتسكب الطبيعة شمسها ومطرها
فوق رأسى المتّقد ولتكنس ريحها شعري
وما تبقى ليأت إذا كان لا بد أن يأتي
أَوْ لَا يَأْتِي أَبَدًا .

عبيدٌ قلوبيون للنجوم نحن ،
نفتح العالم قبل نهوضنا من السرير
نستيقظ فإذا هو صَفِيقٌ
نخرج إلى الشارع فإذا هو غريب عنا ،
وهو الأرض بأكملها والنظام الشمسى ودرج
التبانة وما لا يحدّد .

(كُلى الشوكولاتة ، يا صغيرة .

كُلِّي الشوكولاتة !

سَتَرَيْنَ لا توجد ميتافيزيقا في العالم تُضَاهِي
الشوكولاتة ،

سَتَرَيْنَ كُلَّ الديانات لا تُعَلِّمُ أَكْثَرَ مما تُعَلِّمُهُ
المقشدة .

كُلِّي ، أيتها الصغيرة القذرة ، كُلِّي !

ليَتَنِي أَسْتَطِيعَ أَكْلَ الشوكولاتة بِمِثْلِ اليقين الذي
به تَأْكُلِينَهَا !

غير أنني أفكّر لدى نزع اللُّفافة الفضية التي
هي ورقة من قصدير ،

في أن أقذف إلى الأرض بكل شيء ، مثلما فعلتُ
بحياتي نفسها (

لكن تبقى على الأقل مرارةً مالن أكونُهُ أبداً ،
الخط السريع لهذه الأشعار ،
بوابة منكسرة على المستحيل .

إنني على الأقل أمحض نفسي ازدراء بلا دموع ،
نبيلٌ على الأقل بفعل الحركة الجنتلمانية التي أرمي
بها في تَيَّار الأشياء

التياب القذرة التي هي أنا

لأبقى فى بيتى من غير قميص

(أنت التى تواسين وليس لك وجود ، ولذلك
تواسين ،

إلهة يونانية كنت ، مثل تمثال وُهب الحياة ،

أو نبيلة رومانية ، مستحيلة ومشؤومة ،

أميرة تروبادورين ، مركيزة زاهية من القرن
الثامن عشر ،

لطيفة جداً وملونة ، ذات لباس مكشوف وبعيدة ،

عاهرة شهيرة من زمن أجدادنا ، أو من شئ حديث

لا أستطيع حتى أن أتخيله ،

كوني كُلّ ذلك كيفما كان ، وإذا كان هذا هو الإلهام
فلتلهمنى !

قلبى دَلُوْ مقلوب .

مثل محضري الأرواح

أستحضر رُوحى فلا يظهر شئ .

أدنو من النافذة وأنظر إلى الشارع بوضوح مطلق .

أرى المتاجر ، الرصيف ، أرى السيارات التى تمر ،

أرى الأحياء بملابسهم يتقاطعون ،

أرى الكلاب الموجودة بدورها ،

وكل هذا يُثْقَلُ عليَّ مثْلَ حكم بالنفى ،
كل هذا ، لا يمتُّ بصلة إليَّ ، مثْلَ كل شيء . (
لقد عشتُ ، درستُ ، أحببتُ بل وآمنتُ حتَّى .
واليوم لا يوجد متسوّل لا أحسده على حاله ، فقط
لأنَّه ليس أنا .

فى كل شخص أرى الأسمال ، القرحة والكذب .
وأفكر : ربّما ما عشتَ قط ، ولا أحببتَ ، ولا
آمنت

(إذْ من الممكن أن نغيّر واقعَ هذا كُله بدون
أن نفعلَ أىَّ شيءٍ منه) ،
ربّما كنتَ موجوداً بالكاد مثل سحلية بتّروا لها
الذَّنْب

فالذَّنْب وحده ينطُّ وينطُّ ، مَفْصُولاً عن الجسد .
فعلتُ بنفسى ما لم أكن أعرفه
وما كان بإمكانى أن أفعله بى لم أفعله
القناع الذى ارتديته لم يكن قناعى الأفضل .
وَقَوْرًا حَسِبُونِى ذلك الذى لم أكنه ، لم أفنّد
حسبانهم وضيّعتُ نفسى .
عندما أردتُ نزع القناع ،

التصق بوجهى ،
عندما نظرتُ فى المرآة ،
كنتُ قد شختُ
ثملاً كنتُ ، لم أعدُ أعرف وَضْعَ القناع الذى لم
أنزعهُ
طوّحتُ به ،
وفى خزانة الثياب نمتُ
مثل كلب معتنى به
لكونه غير مؤذ .
لسوف أكتب هذه الحكاية لأبرهن على نبلى .
يا جوهر موسيقى أشعارى اللامجدية
هل أقدر أن القاك كشئ يخصُّنى ، كشئ أنا
صانعُه .
بدلاً من أبقى دائماً قبالة الطبكيرية :
حيث أدوس وعيى بأننى موجود
مثل بساط يتعثّر فوقه سكير
أو حصير سرقة غجر وهو لا يساوى حبة خردل .
لكن صاحب الطبكيرية ظهر فى الباب ولبث

واقفاً هناك .

أنظر إليه بضيق من يحمل رأساً فى وضع غير

مريح

بضيق فهم سيء للروح .

سيموت هو وأموت أنا

هو سيترك يافطته وأنا سأخلف أشعاري .

بعد حين ستتلاشى الياقطة وأشعاري ستغيب

بعد ذلك سيموت الشارع حيث كانت الياقطة

ثم تموت اللغة التى بها كتبت تلك الأشعار

فيما بعد سوف يتلاشى الكوكب السيار الذى حدث

فيه هذا كله .

فى كواكب أخرى لمجموعات أخرى سوف تواصل

كائنات شبيهة بالبشر

وضع أشياء تشبه الأشعار ،

تشبه العيش تحت يافطة متجر .

دائماً شيء ما قبالة شيء آخر

دائماً شيء لا جدوى منه تماماً مثل آخر .

دائماً ما هو مستحيل وما هو واقعي فى البلادة

سواء .

دائماً سرُّ العمق أكيد مثل غوامض السطح .
دائماً هذا الشيء أو دائماً ذاك ، أولاً هذا ولأ ذاك .
لكنُ هناك رجل دخل الطبكيرية (الشراء التبغ ؟)
فإذا الواقع المعقول يَهْوِي بغتةً على مرة واحدة ،
أنتصب ، بحيوية ، مقتنعاً ، إنسانياً .
وأبدأ في كتابة هذه الأبيات التي سأقول فيها
العكس .
أشعل سيجارة لدى التفكير في كتابة الأبيات ،
وأَتذوِّقُ في السيجارة حرية الانعتاق من كل
أشكال التفكير .
أَدخُنُ وَأَتابع الدخان كما لو أَنَّهُ مساري
الخاص
وأَتلذَّذُ ، في لحظة إحساس ،
بالتحرُّر من كُلِّ التأمُّلات .
واعياً أَن الميتافيزيقا إنما هي نتيجة لمزاج
متعكِّر .
وبعد هذا كُلُّهُ أتراجع فوق مقعدى
وأَتابع التدخين
سأتابع طالما القدر يتيح ذلك لى .

(لو تزوّجتُ ابنةَ غَسَّالَتِي لرُبّما كنتُ أصبحتُ
سعيداً !)

أَغَادِرُ مَقْعَدِي ، مادام الأمر كذلك ، أتجه صوب
النافذة

لقد خَرَجَ الرجل من الطبكيريّة (أو دَسَّ بقيّة النقود
في جيب البنطلون ؟)

آه ، إنَّني أعرفه ، إنه إستيبا الذي بلا
ميتافيزيقا

(صاحب الطبكيريّة يعود إلى باب دكانه)

مدفوعاً بغريزة إلهيّة ، إستيبا استدار

ولمحنى :

حيّانى بيده فصَحَّتْ به ! وداعاً ، إستيبا

وإذا! الكون

يتشَيّدُ من جديد فى داخلى بدون مثل أعلى ولا أمل

وصاحب الطبكيريّة يبتسم .

15 يناير 1928

هوامش II

هوامش الدراسة :

- (1) محتذى العادات والتقاليد الإنجليزية .
- (2) نزعة نوسطالجية مَيَّزَت الشعر والغناء البرتغاليين في بداية القرن .
- (3) أقترح هذه اللفظة كمقابل لـ heteronimos المركبة من الكلمة الإغريقية heteros وتعنى « الآخر » و onuma وتعنى الاسم . وقد أطلقها بيسوا على الأسماء - المخلوقات الشعرية التي اخترعها وكتب بها أشعاراً شتى ، والتي اكتسب كل منها وجوداً مستقبلاً ونداً لفرناندو بيسوا نفسه .
- (4) ortonimos هي تلك الأسماء المختلفة التي تظل خارج ذات المؤلف خلافاً لـ heteronimos التي تنتمي إلى عالمه الداخلى .
- (5) ولد في لشبونة عام 1889 وفيها توفي عام 1915 . عاش حياته كلها تقريباً في مزرعة . أعماله : حارس القطعان : 1911 - 1912 ؛ الراعى العاشق ؛ قصائد غير متجانسة 1913 - 1915 .
- (6) لم يعرف أى شئ مماثل في الإسبانية حتى مجئ جيل لوركا ونيرودا . أجل ، لقد كان هناك نثر كوميث دى لاسيرنا . فى المكسيك كانت لدينا بداية خجول ، بداية فحسب : TABALADA . سنة 1918 بزغت ، فعلياً ، القصيدة الحديثة فى اللغة الإسبانية . غير أن رائدها فيسنتى هويدبرو شاعر ذو نغمة مختلفة
- (7) من المستحيل حسبما يبدو ألا يكون بيسوا قد تعرّف على لاربو . فالطبعة

الكاملة لـ Barnabooth هي طبعة 1913 ، أي سنة المراسلات المكثفة لـيسوا مع ساكارنيرو . وهناك تفصيل مثير : لقد زار لاربولشبون عام 1926 . كوميث دي لاسيرنا الذي كان يعيش وقتئذ في تلك المدينة هو الذي قدّمه للكتاب الشبان الذين أقاموا مأدبه له . في التعليق المخصّص لهذا الحدث في lettre de lisbone en jaune bleu blanc يتحدث لاربول بإطراء عن المادانغيريرا . لكنه لا يذكر لـيسوا . ألم يتعارفا إذا ؟ ! .

(8) ولد في أبورطو عام 1887 وهو الشاعر الأكثر متوسطية بين الأنداد . كاييرو كان أشقر بعينين زرقاوين . كامبوس بين البياض والسمرة ، طويل ، نحيل مع مظهر أممي . أما ريبس فأسمر « كامد » أقرب إلى إسباني أو برتغالي من الجنوب . ليست الأناشيد أثره الوحيد . فمن المعروف أنه كتب نقاشا إسطييقيا بين ريكاردو ريبس وألبارودي كامبوس . وملاحظاته النقدية حول كاييرو وكامبوس نموذج للتدقيق والغموض الإسطييقى . (المترجم الإسباني) .

(9) قبل أن يتم نشر هذا الكتاب وبقية الأعمال الكاملة لـيسوا نشرت هذه الدراسة .

هوامش قصيدة نشيد بحرى :

- (1) ربما يقصد إنريكي البحار . (المترجم الإسباني) .
- (2) بلدة صغيرة على الضفة اليسرى لنهر التاج ، قبالة ميناء لشبونة .
(المترجم الإسباني) .
- (3) cesario verde شاعر برتغالى عاش فى النصف الثانى من القرن 19 . يعتبر أول من أدخل قصيدة النثر كاسلوب شعري فى القصيدة البرتغالية الحديثة . وقد أعيدَ له الاعتبار حيث اعتُبره بيسوا وجماعة أورفى قُدوتهم الأدبية (المترجم الإسباني) .
- (4) يقصد الإعلانات الروتينية عن دخول السفن وخروجها من الميناء
(م . الإسباني) .

هوامش قصيدة تزجية الوقت :

- (1) حاولت الحفاظ على إيقاعية هذا المقطع الهذيانى الملتبس .
- (2) جملة ملتبسة فى الأصل .
- (3) centrifugo طارد مركزى مقابل : centripeto جاذب مركزى .
- (4) Ave,Salve باللاتينية فى الأصل .
- (5) الشاعر الحسوى Poeta Sensacionista وهو اسم الحركة الأدبية التى أسسها بيسوا وصديقه الشاعر البرتغالى ماريو ساكرنيرى قبيل الحرب العالمية الأولى (م . س .) وقد فضلنا ترجمة sensacionismo بحسوية بدلا

من حساسوية الشائعة ، لأنها أدل على طبيعة الفعل الشعري المنجز .

(6) Absinto مشروب قوى كان يصنع من الشيبية واشتهر في القرن

18 و 19.

(7) ترجمة حرفية لبيت غامض في الأصل . (م.ع) .

هوامش قصيدة طبكيرية :

(1) فضلت الإبقاء على العنوان الأصلي بدلا من « دكان التبغ » .

فرناندو پيسوا

بطاقة كرونولوجية

- 1887 : الميلاد المفترض لريكاردو ريس .
- 1888 : 13 يونيو : ميلاد فرناندو پيسوا .
- 1889 : - 16 أبريل : الميلاد المفترض لألبرطو كاييرو .
- 15 أكتوبر الميلاد المفترض لألبارودى كامپوس .
- 1893 : موت والده .
- 1895 : ظهور أولى قصائده وهى رباعية مُهداة إلى أمّه .
- 1896 : يسافر إلى دوربان (جنوب إفريقيا) مع أمّه وزوجها الدبلوماسى .
- 1896 - 1898 : الدراسة الابتدائية .
- 1901 : قضاء العطلة مع العائلة في لشبونة وهو

- تلميذ في إحدى المؤسسات الثانوية .
- 1902 : يكتب قصيدته الثانية (رباعيات وثلاثية)
مهداة أيضا إلى أمه .
- 1903 : يلتحق بجامعة الكابو .
- 1905 : يعود بمفرده إلى لشبونه ليستقر في منزل
جدته لأبيه ، ثم في منزل خالته من بعد .
- 1906 : يسجل نفسه في كلية الآداب بلشبونة .
- 1907 : يترك الدراسة في الكلية بصفة نهائية .
- 1908 : يشرع في مزاولة عمله كمحرر للمراسلات
الأجنبية في مؤسسات تجارية للتصدير
والاستيراد .
- 1909 - 1910 : يكتب العديد من السونيتات باسمه
الخاص .
- 1911 : يشرع في تنفيذ مخطط لدراسة الفلسفة
اليونانية والألمانية والآداب الأوروبية
الكبرى . ومن ثم فقد أمضى فترات طويلة
من هذه السنة معتكفاً في صالة القراءة
التابعة للمكتبة الوطنية .
- 1912 : ينشر في مجلة AAgua أولى مقالاته
النقدية للشعر البرتغالي ، وهي نفس
السنة التي ولدت فيها فكرة خلف ند
شعري له ممثل في ريكاردو ريبس .

1913 : ميلاد بعض القصائد ، توطد صداقته
بالرّسام ألماندا نيغريروس وبالشاعر
ماريو ساكر نيرو .

1914 : يوم 8 مارس : يوم تاريخى خارق فى
حياته الإبداعية : كتابة : نشيد الظفر
لكامپوس « مطر مائل » لپيسوا « راعى
القطيع » لألبرطو كاييرو - 12 يونيو :
ظهور أول قصيدة لريكار دو ريس .

1915 : تأسيس مجلة أورفى مع ساكر نيرو وألماندا
نيغريروس .

- 11 يوليو : ساكر نيرو يعود إلى باريس .

- غثت : نشاط أدبى محمود لأنداد پيسوا .

- نوفمبر : الموت المحتمل لألبرطو كاييرو .

1916 : يفكر فى الاستقرار كمنجم فى لشبونة .

- أولى تجاربه فى الوساطات الروحية .

- ساكر نيرو يخبره بوساطة رسالة عن
رغبته فى الانتحار .

- انتحار ساكر نيرو فعلاً فى 26 أبريل فى
باريس .

- تغيير مستمر لأمكنة الإقامة .

1917 : ظهور العدد اليتيم من مجلة ..
المستقبلية البرتغالية .. متضمنة قصيدة
Ultimatum .. لألبارودي كامپوس .

1918 : ينشر قصائد بالإنجليزية .

1919 : ريكاردو ريبس يسافر إلى البرازيل .

- موت زوج أمه فى بريتوريا .

1920 : ينشر أشعاراً بالإنجليزية ويشعر فى
كتابة أخرى .

- يكتب رسالته الغرامية الأولى إلى
أو فيليا كيروث يوم فاتح مارس . وفى 28
منه يستقر مع أمه العائدة من جنوب
إفريقيا بصحبة أبنائها الثلاثة فى
شارع Coelhod Racla حيث أقام حتى
وفاته .

1922 : ظهور العدد الأول من مجلة « المعاصر »
متضمناً لـ « رجل البنك الفوضوى » « بحر
برتغالى » « ثلاث أغان مية (بالفرنسية) »
و « Lisbon Revisted » بالإنجليزية .

1923 : سنة الخصوبة الإبداعية القصوى
لريكاردو ريبس .

- يترجم بضع قصائد لإدغار坡و إلى
البرتغالية .

– ظهور « بيان طلبة المدارس العليا للشبونة
« ضد ألبارودي كامپوس الذى ينشر رده
المضاد : بيان من أجل الأخلاق .

1924 : ظهور مجلة أثينا بإدارة پيسوا وروا باث
حيث توالى صدورها حتى العدد الخامس .

1925 : وفاة أمه .

1926 : يُدير بمعونة صهره « مجلة التجارة
والمحاسبة » التى ظهر منها ستة أعداد
ساهم فيها پيسوا بموضوعات اقتصادية
تجارية .

1928 : ألبارودي كامپوس يكتب قصيدة
« طبكريا » .

1929 : ظهور أول دراسة نقدية حول ف . پيسوا
بقلم جاو غاسپار سيمويس .

1930 : پيير أوركاد يكتب فى مجلة « Cantacs »
عن لقائه بفرناندو پيسوا .

1932 : يتقدم للحصول على منصب محافظ
متحف ومكتبة الكونت كاسطرو غيمارايه ،
لكنه يُقضى لعدم توفّره على تأهيل رسمى .

1933 : يمر بأزمة نوريسيتينية حادة .

1934 : النشاط الشعرى لألبارودي كامپوس
يتضاعف مقابل الصمت شبه الكامل

لرييس وپيسوا .

- حصول قصيدة « رسالة » على جائزة من
« الدرجة الثانية » فى المسابقة الشعرية
التي نظمها « مكتب الإشهار الوطنى » .
1935 - 19 نوفمبر . آخر قصيدة لپيسوا تنتهى
بهذا البيت :

« اسقنى مزيداً من الخمر ، لأن الحياة
لا شئ » .

-30 نوفمبر : وفاة پيسوا من تشمُع فى
الكبد .

المترجم :

شاعر مغربي من مواليد مدينة أصيلة عام 1953

صدر له : I في الشعر :

- ١ - باب البحر : عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت 1983
- ٢ - سماء خفيفة : عن دار النشر المغربية . الدار البيضاء 1989
- ٣ - ترانيم لتسليية البحر : عن دار المعارف المغربية . الرباط 1992
- ٤ - شمس أولى : عن دار المعارف المغربية . الرباط 1995
- ٥ - قبر هيلين : طبع وزارة الثقافة المغربية . الرباط 1998
- ٦ - ضوء تبش في حواشي الفجر : طبع وزارة الثقافة المغربية . الرباط 1998

II . في الترجمة :

- ١ - نشيد بحري : مختارات من شعر فرنادو وبيسوا
(أ) عن هيئة قصور الثقافة : القاهرة 1995 .
(ب) عن دار الرابطة المغربية : الدار البيضاء 1996 .
- ٢ - اللهب المزدوج : لأوكتافيو باث :
عن منشورات المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة 1998 .

المحتويات

إضاءة : المهدى أخريف	3
فرناندو بيسوا : إسطنبول والتنازل	9
أولاً : مختارات شعرية II	13
مطر مائل	15
فصول / المومياء	26
نعم سأفعل	34
كن هادئاً أيها القلب	35
ربما ذات يوم أنظم قصيدة	36
كتابات قبرية	37
مقاطع من « ديوان الأغاني »	44
ثلاث قصائد من « رسالة »	45
الأمير دون إنريكي	45
دون خوان الثاني	55
كتابة على قبر برطلوميودياز	56
قصائد أخرى	57
عيد الميلاد	57

61	سونيتاتان
65	ألبرطو كاييرو : بطاقة حياة
67	مرحى براعى القطيع
69	رعاة فرجيل
70	خفيفة ، خفيفة جداً
71	أحيانا ، فى أيام النور الكامل
73	وهناك شعراء صنّاع
75	مثل لطفة هائلة لنار قذرة
77	كثير من التفكير من الميتافيزيقى
83	أمس مساء
86	سر الأشياء
88	بهذه الطريقة أو تلك
91	من أعلى نافذة فى منزلى
97	كل يوم أكتشف واقع الأشياء المرعب
98	كتبت قصائد كثيرة
99	أصغى لهبوب الريح
100	ذات مرة
101	لو فجأة مت
103	لو أرادوا كتابة سيرتى
105	ريكاردو ريبس : شاعر الوثنية الجديدة
107	أحب ورود حديقة أدونيس
108	أنا لا أغنى الليل

109 لا أريد التذكّر
110 آلهة تمر ، مخلصون إلهيون
111 أن تكون كبيراً
112 لا أطلب من الآلهة
113 ليديا
114 بلا ساعات
115 الأزهار
116 يستطيع القدر
117 رعية لأمجدية
118 تحت وصاية خفيفة
120 توجوني بالورد
121 بسرعة يمرُّ كلُّ مايمرُّ
122 أنتم ، أيها المؤمنون بكل مسيح ومريم
125 ألبارودي كامبوس : الشاعر المستقبلي الجوّال ..
127 نشيد الظفر
144 مقطعات من الأناشيد
155 عبر طريق سينترا
160 رسم تخطيطي
162 أحشاء على طريقة أويرطو
164 Lisbon Revisted
169 فى ساحات المستقبل
173 تأجيل

176 غُيوم
179 تكتّمات
182 شاسعة هي الصحارى
187 ثانياً : مختارات شعرية I
189 تقديّم
193 المجهول من لدن ذاته : دراسة لأولكتافيو باث ...
237 ثلاث قصائد لألبارودى كامپوس
239 نشيد بحرى
301 تزجية الوقت
345 طبكيـرية
361 فرناندو پيسوا : بطاقة كرونولوجية

المشروع القومي للترجمة

اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريكتكوف	ت : أحمد الحضري
ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرائك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إيوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفي عبد الوهاب / فاروق القلضي / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بنوي
الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمني طريف الخولي / بنوي عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
تجلى الجميل	هاتز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبه
رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
الرواية العربية	روجر ألن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ملجود
عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتايفيو پاث	ت : المهدي أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المنغور	روبرت ج دنيا -- جون ف أفارين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوييا وخـ م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرdash
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتن	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور -- سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى نوازل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٧٥٦١ / ١٩٩٨

الترقيم الدولي (5 - 016 - 305 - 977 - I. S. B. N.)

fernando pessoa

Selection

إن الشاعر الواقعي يعلم أن الكلمات والأشياء لا تتماثل ؛ ولذلك يلجأ إلى تسمية الأشياء بواسطة الصور والإيقاعات والرموز والمقارنات .

الكلمات ليست أشياء ، إنها الجسور التي نغدها بيننا وبين الأشياء .

أما الشاعر فهو وعي الكلمات ؛ أي أنه نوسطالجيا واقعية .

لقد كان بيسوا الشاعر الواقعي ، والإنسان المتشكك في حاجة إلى خلق شاعر فطري كي يبرر قصيدته هو ، كما أنه - مثل ريس وكامپوس - يتلفظ بكلمات ميتة ومؤرخة ، كلمات ضياع وتشثيت ، هي بمثابة هاجس أو نوسطالجيا الوحدة المفقودة ، ونحن نسمعها من أعماق تلك الوحدة :

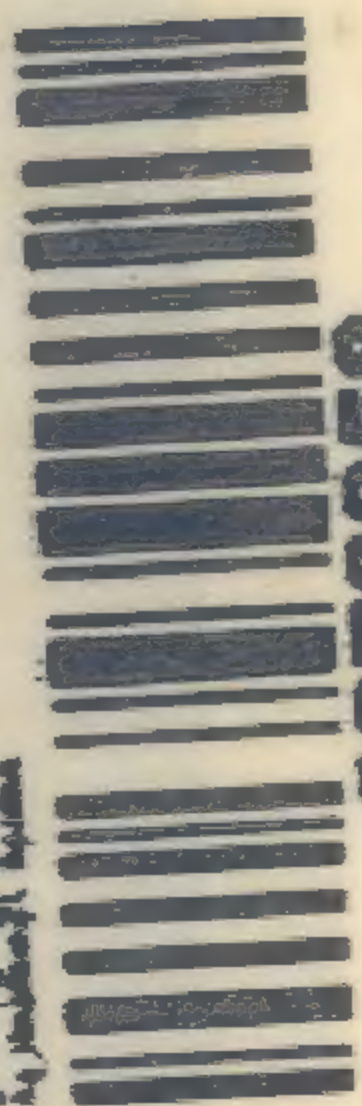
نحن لم نعش الحياة ، الحياة هي التي عاشت
بنفس الطريقة التي يرشف فيها النحلُ الرحي
نرى ، نتكلم ونحيا . الأشجار تن
بينما نحن نيام .

نحب الآلهة تماماً مثلما نُشاهد مركباً
بدون أن نعي أبداً أننا واعون ، نمضي

فرناندو بيسوا

ترجمة: المهدي الخرف

Bibliotheca Alexandrina



0270958

